المقاومة الشعبية في بورسعيد ٣١ أكتوبر – ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦

د. مرسي مختار قطب[١]

الملخص:

تعرضت بورسعيد منذ ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ لعدوان غاشم، حيث حشدت إنجلترا وفرنسا إمكانياتهما لغزوها، فتعرضت لغارات جوية عنيفة على مدار خمسة أيام، ثم إنزال جوي تزامن مع قصف بحري، ثم بدأ اقتحام المدينة بصورة شاملة. وإزاء ذلك كان قرار أهالي بورسعيد محسومًا منذ البداية، فلم تكن عند ظن قادة الغزو الذين توقعوا السيطرة على المدينة في ٤٨ ساعة، بل على العكس من ذلك. وبدأت المقاومة بشكل تلقائي مع بداية الغزو وحاول أبناء المدينة صد العدوان بالتعاون مع رجال الجيش، ولما لم تنجح جهودهم ووقع الاحتلال، عزموا على المضي قدما في المقاومة فتكونت لجان وتنظيمات سرية. وجرى دمجها في لجنة باسم جبهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد فضلا عن لجنة الهاتاشاما. وغمرت الجبهة المتحدة والهاتاشاما بورسعيد بمنشورات كان يجري كتابتها بخط اليد، وإلصاقها على الجدران، وتوزيعها على الأهالي. وكانت من صور المقاومة أيضا المقاطعة، فقد امتنع الأهالي عن التعاون مع المعتدين، ولم يؤثر فيهم الوعد أو الوعيد. ولم تكن عبارة (الموت للخونة) مجرد شعار.

واشتدت المقاومة ولم تعد قاصرة على أبناء بورسعيد، حيث تسلل بعض المتطوعين وعناصر من رجال الصاعقة عبر بحيرة المنزلة إلى بورسعيد. وكان مجيئهم نقلة نوعية في عمليات المقاومة. كما لم تكن المقاومة حكرا على أحد، بل شاركت فيها جميع القوى الاجتماعية والسياسية. وحتى انسحاب القوات المعتدية في ٢٣ ديسمبر شهدت بورسعيد عمليات الفدائية أربكت العدو وكبدته خسائر وجعلته تحت ضغط مستمر. وفي كل بيت وفي كل شارع كانت هناك قصة بطولة سطرها أهالي بورسعيد بدمائهم. وقد فزع المعتدون من أساليب المقاومة الشعبية المتنوعة. ولم تُضعف وحشية القوات المعتدية عزيمة الأهالي.

---

١) أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة بورسعيد.

(ISSN : 2536 - 9555)

مقدمة:

لم تعرف مصر على مدى تاريخها الخنوع والاستسلام لمعتد أو محتل، وقد حفل تاريخنا الحديث والمعاصر بالعديد من صور المقاومة الشعبية، وسطرت العديد من المدن صفحات مضيئة في سجل المقاومة الشعبية؛ فقد استبسلت المدن المصرية أمام الحملة الفرنسية (١٧٩٨–١٨٠١م)، وصمدت رشيد أمام الحملة الإنجليزية عام ١٨٠٧م، وسطرت دنشواي ملحمة في عام ١٩٠٦م، ومع نشوب ثورة ١٩١٩م قدمت المدن المصرية ملحمة جديدة، وابتدعت زفتى تجربة فريدة. وقد ظلت أحداث المقاومة الشعبية حاضرة بقوة؛ حتى برزت في أبهى صورها في منطقة القناة، فيما عُرف بمعارك الفدائيين في منطقة القناة عام ١٩٥١م. أما الصفحة الأبرز والأهم في مسيرة المقاومة الشعبية في تاريخنا الحديث والمعاصر، فقد سطرتها مدينة بورسعيد عام ١٩٥٦م.

وعلى الرغم من أن سقوط المدينة، واحتلالها في ظل التفوق العسكري الكبير للقوات المعتدية، كان لا يمكن تفاديه؛ إلا أن بورسعيد قد استبسلت أمام القوات الأنجلو فرنسية خلال الفترة من ٣١ أكتوبر وحتى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦م، وانخرط أهلها بكافة فئاتهم في المقاومة؛ فحاولوا بكل قوة منع القوات المعتدية من احتلال المدينة، ولما فشلوا، واحتلت القوات الإنجليزية والفرنسية بورسعيد بصعوبة بالغة، لم يستسلم أهلها، وبدأت الدعوات لتشكيل كيانات للمقاومة؛ وذلك بهدف القيام بأي عمل يبث الرعب في نفوس المعتدين، من خلال توزيع منشورات أو القتل أو الخطف؛ فتكونت تنظيمات سرية صغيرة، وانتهج البورسعيديون المقاومة السلبية التي تمثلت في مقاطعة المحتلين. وفضلًا عن المقاطعة، وتوزيع المنشورات ولصقها على الجدران، وفي الشوارع، وعلى سيارات الأعداء؛ لتحطيم الروح المعنوية لدى جنود الأعداء؛ تمثلت المقاومة في تنفيذ عمليات فدائية متنوعة شبه يومية. ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث "المقاومة الشعبية في بورسعيد في الفترة من ٣١ أكتوبر إلى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦"، في محاولة لإلقاء الضوء على ما قدمته بورسعيد من صور المقاومة الشعبية على مدار أكثر من خمسين يومًا.

وستحاول الدراسة الإجابة عن عدة تساؤلات منها : كيف حاول أبناء بورسعيد صد العدوان ؟ وما أهم لجان المقاومة الشعبية وتنظيماتها، وكيف تشكلت جبهة المقاومة

الشعبية المتحدة ببورسعيد؟ وما برنامجها ؟ وما أثر حرب المنشورات ؟ وهل كانت المقاطعة التي انتهجها البورسعيديون ذات تأثير ؟ وما دور لجنة الهاتاشاما في عمليات المقاومة ؟ وما دور المرأة والأطفال في حركة المقاومة ؟ وما دور العناصر الشيوعية ؟ وما أثر تسلل المتطوعين وضباط الصاعقة على حركة المقاومة؟ هل أضعفت وحشية القوات المعتدية عزيمة الأهالي ؟ ما أبرز العمليات الفدائية التي نفذتها المقاومة ؟

واستقت الدراسة مادتها العلمية من مصادر متنوعة، وفي مقدمتها الوثائق المنشورة، لاسيما نشرة الوثائق المعنونة بالاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي، التي أصدرتها وكالة الشئون السياسية بوزارة الخارجية المصرية. ومثلت المذكرات التي سطرها من شاركوا أو عايشوا الأحداث، مصدرًا رصينا، وكشفت تفاصيل مهمة عن عمليات المقاومة الشعبية. أما الدوريات، فقد قدمت مادة علمية حية، ومثلت سجلًا يوميًا لفظائع العدوان، وبطولات أبناء بورسعيد؛ حيث فتحت الصحف والمجلات صفحاتها لتدون ما كان يرويه أبناء بورسعيد. كما جاءت المراجع المتخصصة لتُكمل الصورة.

تمهيد: بورسعيد منذ نشأتها عام ١٨٥٩ وحتى الجلاء عام ١٩٥٦

بورسعيد من المدن المصرية المهمة نظرا لموقعها على مدخل قناة السويس الشمالي، وبالتالي تتحكم في أهم طرق التجارة والملاحة العالمية. وأكسبها ذلك أهمية بالنسبة لمصر والعالم. وجعلها حاضرة بقوة في الأحداث المرتبطة بالقناة. ولما لا وهي بنت القناة، إذ تدين في نشأتها وتطورها إليها، فقد ولدت في ٢٥ إبريل ١٨٥٩ مع أول معول ضُرب في الأرض لحفر القناة[٢]. وكانت شاهدة على الأسى منذ مولدها، إذ شهدت مأساة السخرة وامتهان الكرامة[٣].

٢) عندما حصل ديليسبس على امتياز حفر القناة في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤، نص على أن يؤسس شركة باسم "الشركة العالمية لقناة السويس" لشق برزخ السويس، وإعداد مدخلين للقناة على البحرين. ويعتبر عقد الامتياز الثاني في ٥ يناير ١٨٥٦ الخطوة التنفيذية لميلاد بورسعيد، فنص أن تقوم الشركة بإنشاء قناة تبدأ من ميناء السويس على البحر الأحمر وتنتهي إلى البحر المتوسط في نقطة من خليج الطينة يحددها مهندسو الشركة. وفي أوائل ١٨٥٩ زار ديليسبس المنطقة، وكانت خالية، إلا ما كان يلوح على بعد ٩ كم إلى الغرب، حيث توجد أكواخ قرية الجميل يسكنها عشرات الصيادين. وفي ٢١ إبريل عاد بصحبته ١٥٠ عامل، وكان مقتنعا أن هذا أصلح موقع لإنشاء مدينة تشرف على مدخل القناة. وفي ٢٥ إبريل ضُرب أول معول في الأرض. فكان الشريط المحصور بين البحر المتوسط وبحيرة المنزلة الرحم الذي خرجت منه بورسعيد. مصطفى البغدادي، مدينة بورسعيد، كتاب المدن المصرية، ج٢،

(ISSN : 2536 - 9555)

وفي السنوات التالية لافتتاح القناة أخذت المدينة في النمو والعمران. وضمت ثلاث مناطق: حي الإفرنج، وسكانه من الأجانب والأثرياء، وبدأ إنشاؤه مع حفر القناة. واستأثر بالعناية، وكان يضم المدارس والكنائس والقنصليات. ويمتد من ساحل البحر، ويحده شرقا مجرى القناة، وغربا شارع محمد علي، ويمتد جنوبا حتى قناة الاتصال التي تربط القناة ببحيرة المنزلة، ويعد ميدان ديلسبس أشهر ميادينه(٤).

أما الحي العربي فكان عبارة عن مجموعة من العشش أقامها الأهالي، ولما احترقت استُبدلت بمنازل من مواد البناء والخشب تم إحضارها من المطرية ودمياط(٥). ويمتد الحي شرقا من شارع محمد علي، الذي يفصله عن حي الإفرنج. وسكانه العمال الذين لا يملكون سوى قوت يومهم. وقد أُختير المكان لبعده عن الاختلاط بالأجانب، وقربه من بحيرة المنزلة حيث الصيد وسهولة التنقل لدمياط والمنزلة. وجرى تقسيمه إلى حارات، ويضم ٥ شياخات (أبو الحسن والتوفيقي والعباسي والعزب وسعد)(٦).

أما حي المناخ أو ما يُعرف بقسم ثالث، فيقع أقصي غرب المدينة، ويفصله عن حي العرب شارع الأمين، وترجع تسميته إلى إناخة الإبل، حيث كان مقر قوافل الإبل المحملة بالمواد الغذائية والمياه القادمة من دمياط. ويمتد من البحر حتى شاطئ بحيرة المنزلة. وهو الحي الأكثر شعبية، وكان محروما من العناية، وأقل من العرب في التنظيم ومستوى السكان، وتشغله العشوائيات بين شارعي كسرى والتلاتيني بعد شارع الأمين، فكانت مساكنه أكواخا خشبية وبنايات متواضعة(٧).

ووفقا لإحصاء عام ١٩٤٧، بلغ سكان قسم أول ٣٩٧٣١ شخصا، منهم ٣٩٦٧١ أجنبيا. أما القسم الثاني فيسكنه ٧٣٣٢٦ شخصا، منهم ٢٤ أجنبيا. أما قسم ثالث

المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٧، ص٦؛ عبد العزيز الشناوي وجلال يحيى، وثائق التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٦٩، ص٥٧١، ٥٧٦.

٣) مجلة العربي، عدد ٤٩ في ديسمبر ١٩٦٢، ص٨٤، "بورسعيد عمرها ١٠٣ سنوات واسمها في سجل الخلود، محمد بدر الدين خليل".

٤) محافظة بورسعيد، بورسعيد جوهرة مصر، بمناسبة عيد النصر ٢٣ ديسمبر، بورسعيد ١٩٩٣، ص٣١.

٥) زين العابدين شمس الدين، بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها عام ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ص٣٧، ٣٨. عام ١٨٧٢ كان بالمدينة ٢٠٠٥ منزل، منها ٩٩٠ مسكنا في حي العرب.

٦) محافظة بورسعيد، المصدر السابق، ص٣٥.

٧) مجلة العربي، المصدر السابق، ص٨٤.

فيسكنه ٥٨٣٨٣ شخصا. وقد احتضنت المدينة منذ نشأتها الكثير من الأجانب، وتعد الجالية اليونانية الأكبر، وتليها البريطانية ثم الفرنسية[٨].

وكانت مساحة المدينة حوالي ٨٠٠ فدان، أي ٣.٣٦٠.٥٠٠ مترا مربعا، مخصص للسكنى منها سبعة أثمانها، والباقي للمرافق العامة من شوارع ومتنزهات وغيرها. وكانت كثافة السكان ٢٧٠ نسمة للفدان، إذ كان عدد سكانها ١٥٧ ألف نسمة عام ١٩٤٧. وهي نسبة عالية. وفي حين كانت الكثافة في حي الإفرنج تقل عن ١٨٠ نسمة، كانت تتجاوز ٢٨٠ في حي العرب، ٣٠٠ في حي المناخ. لذا كانت المدينة في حاجة إلى العناية. ولما بدأت الحكومة في الإعداد للمشروعات التخطيطية والإسكانية للمدن، على أساس التوسع العمراني المرتقب سنة ٢٠٠٠، أولت بورسعيد نصيبا من العناية، وكان في مقدمة المشروعات التي وُضعت عام ١٩٥٥، إزالة أنكد أحياء المدينة حظا، وإعادة إنشائه على طراز حديث[٩].

ولبورسعيد شاطئ يمتد بطول المدينة من الشرق إلى الغرب، وكانت تقع عليه كبائن خشبية في أربعة صفوف. وتمتاز المدينة بشوارع رئيسية مستقيمة، كشارع الثلاثيني، والتجاري وهو ملئ بمحلات العطارة وغيرها، وشارع الحميدي.

وفي إطلالة على بورسعيد قبيل عام ١٩٥٦، نجد أنه كان فيها عدد من المقاهي والبارات والمطاعم. وفي الحي العربي تجد المقاهي على جانبي الشارع، وبلغ عدد العاملين فيها ٣٠١٣ رجلا. وبها ١١ دورا للسينما. ويوجد فيها ١٦ صيدلية، ٥٠٧ طبيبا، ٣٤ طبيبة، ٣٣٢ محاميا، ٦ محاميات، ٢٨١٥ خفيرا ورجل بوليس، ١٥٢ مدرسة، مركزان للإسعاف، ثلاث مستشفيات ومستشفى للرمد، وملجآن. وكان المجلس البلدي منذ إنشائه عام ١٩١١ يتولى شئون العمران والإدارة بالمدينة[١٠].

وقد ارتبط تاريخ بورسعيد وما شهدته من أحداث بقناة السويس، وبرز ذلك خلال وقائع الثورة العرابية والاحتلال البريطاني. ومنذ احتلالها في أغسطس ١٨٨٢، تجاوبت مع الحركة الوطنية في كل مراحلها. وخلال سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ –

٨) روز اليوسف، عدد ١١٨٣ في ١٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣٠، "بورسعيد دائما كما كانت"؛ محافظة بورسعيد، المصدر السابق، ص٢٩.
٩) مجلة العربي، المصدر السابق، ص٨٧.
١٠) روز اليوسف، المصدر السابق.

(ISSN : 2536 - 9555)

١٩١٨)، كانت حاضرة في الخطط العسكرية للدفاع عن القناة، فعززت بريطانيا دفاعاتها فيها، وطُبقت فيها الأحكام العرفية. وقد ابتهج سكان المدينة بانتهاء الحرب(١١). وأسهم أهالي بورسعيد في ثورة ١٩١٩، فاندلعت في ٢١ مارس مظاهرة في شارع محمد علي تصدى لها الإنجليز. وتجددت المظاهرات في ٢٥ مارس وأول إبريل ١٩١٩(١٢).

وعلى إثر معاهدة ١٩٣٦، التي رخصت لبريطانيا أن تضع بجوار القناة قوات لضمان الدفاع عن القناة(١٣)؛ باتت بورسعيد معقلا للقوات البريطانية، مما وضعها في مأزق عند نشوب الحرب العالمية الثانية، فتقرر ترحيل سكان بورسعيد والإسماعيلية والسويس للدلتا(١٤). وأُنشئت فيها مستودعات لتموين الأسطول البريطاني. وباتت بحكم تمركز القوات البريطانية فيها هدفا لغارات المحور منذ سبتمبر ١٩٤٠، فتهدمت مبانيها واستُشهد بعض أبنائها، وعانت ويلات الحرب(١٥).

وفي أعقاب الحرب، كانت على موعد مع حدث جلل، ففي يناير ١٩٥٠ سعت حكومة النحاس لتفاوض مع بريطانيا بهدف الجلاء عن منطقة القنال، ولما رفضت اندلعت المظاهرات، وفي بورسعيد طالب المتظاهرون بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وجلاء القوات البريطانية. وفي ٨ أكتوبر ١٩٥١ قامت الحكومة بإلغاء معاهدة ١٩٣٦، فلم يعد لبقاء القوات البريطانية سند قانوني، فعمت المظاهرات بورسعيد ومدن القناة، وبدأ الكفاح المسلح في منطقة القناة. وامتنع العمال في بورسعيد عن تفريغ وشحن السفن الإنجليزية، وهجر آلاف العمل في معسكرات الإنجليز، وتشكلت كتائب الفدائيين. وصعد فدائيو بورسعيد نشاطهم، وسطروا صفحة من صفات النضال الوطني(١٦).

---

١١) زين العابدين، المرجع السابق، ص ص٤٠٤– ٤١٢؛ علي عبده، المرجع السابق، ص٨؛ وفاء عبد المتجلي، المرجع السابق، ص٣٩٦.

١٢) علي عبده الزغبي، محافظة بورسعيد، مطبعة عماد الدين، بورسعيد، ١٩٦٩، ص٨؛ عبد الرحمن الرافعي، ثورة ١٩١٩ تاريخ مصر القومي ١٩١٤ - ١٩٢١، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧، ص ص٥٠، ٢٤١؛ وفاء عبد المتجلي، المرجع نفسه، ص٤٠٣.

١٣) عبد العزيز الشناوي وجلال يحيى، المصدر السابق، ص ص٧٤٧ - ٧٥٦.

١٤) وثائق مجلس النظار والوزراء، ملف ٠٥٤٨٥٥ – ٠٠٧٥، محضر جلسة مجلس الوزراء في ٢٠ مايو ١٩٤٠، المصري، عدد ١٢٩٨ في ١٣ يونيه ١٩٤٠، ص٦، "استعدادات مصر للطوارئ".

١٥) مرسي مختار قطب، العلاقات المصرية الإيطالية ١٩١٩ – ١٩٥٢، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة بنها ٢٠١٣، ص٤٧٩؛ وفاء عبد المتجلي، المرجع السابق، ص٤٣٢.

١٦) راشد البراوي، حقيقة الانقلاب الأخير في مصر، مكتبة النهضة، ١٩٥٢، ص ١٩١؛ سيرانيان، مصر ونضالها من أجل الاستقلال ١٩٤٥- ١٩٥٢، ترجمة عاطف عبد الهادي، دار الثقافة، القاهرة

وبنشوب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بدأت حكومة الثورة بمطالبة بريطانيا بالجلاء عن منطقة القناة، وتحسبا للرفض، أعدت معسكرات لتدريب الشباب على حمل السلاح. وفي بورسعيد تم إعداد معسكر على أرض طابية السلام بجوار رصيف دليسبس، وسارع الشباب للالتحاق بالمعسكر. وامتد الأمر إلى طالبات المدارس، وكان في مقدمة المتطوعات زينب الكفراوي(١٧).

وبدأت المفاوضات المصرية البريطانية في إبريل ١٩٥٣، وإزاء تعنت الإنجليز؛ عاد نشاط الفدائيين في بورسعيد ومنطقة القناة. فعادت إنجلترا إلى طاولة المفاوضات في ٢٧ يوليو ١٩٥٤، وتعهدت في ١٩ أكتوبر بالجلاء خلال عشرين شهرا. وفي ١٣ يونيو ١٩٥٦ خرج آخر جندي بريطاني. وفي ١٨ يونيو رفع جمال عبد الناصر علم مصر ببورسعيد على آخر معقل للقوات البريطانية وهو مبنى البحرية البريطانية (النافي هاوس)، واتُخذ ذلك اليوم عيدا للجلاء، وعمت الاحتفالات بورسعيد(١٨).

لكن كانت المؤامرات تحاك ضد مصر، فتجمعت عدة عوامل حملت الدول الاستعمارية للتفكير في العدوان عليها. وكانت البداية برفضها الأحلاف، وعزوفها عن دخول حلف بغداد، ودعمها حركات التحرر، وانتهاجها سياسة الحياد وعدم الانحياز في باندونج في إبريل ١٩٥٥، ومحاولتها بناء الجيش، وكسر احتكار السلاح بإبرامها في سبتمبر ١٩٥٥ صفقة الأسلحة الشهيرة. وتزامن ذلك مع أمرين: تفكير عبد الناصر في السيطرة على قناة السويس؛ للتخلص من آخر صور الاستغلال والتحكم الأجنبي، والثاني تنفيذ مشروع السد العالي لتعظيم الاستفادة من مياه النيل. وإزاء عدول البنك الدولي وبريطانيا والولايات المتحدة، عن تمويل المشروع؛ عزم جمال عبد الناصر على تأميم القناة(١٩).

١٩٨٥، ص ص٢٤٢- ٢٤٤، ٢٥٢ – ٢٥٦، ص ص٢٨٠– ٣٠٨؛ عبد الرحمن الرافعي، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧، ص ص٥٣ – ٦٠، ١٠٣.

١٧) ضياء الدين حسن القاضي، المرأة البورسعيدية، ضمن أبحاث مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٢٠١١، ص٦٥٠.

١٨) محمد مصطفى صفوت، إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ – ١٩٥٦، المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية ١٩٥٦، ص ص١٩٥ – ٢١٢، وفاء عبد المتجلي، المرجع السابق، ص ص٤٥٥، ٤٥٦.

١٩) محمود رياض، مذكرات، الجزء الثاني، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٨٦، ص ص١٣٩، ١٤٠؛ هنري لورانس، اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية، ترجمة محمد مخلوف، دار قرطبة، قبرص، ١٩٩٢، ص ص١٥٤، ١٥٥.

(ISSN : 2536 - 9555)

وفي ٢٦ يوليو أعلنت مصر تأميم شركة لقناة السويس، وعلى الرغم من تأكيدها أن الملاحة في القناة لن تتأثر، وأن حملة الأسهم سينالون تعويضات[٢٠]؛ فإن الدول التي كانت تأمل في التخلص من نظام عبد الناصر بوصفه معاديا لمصالحها، رأت في التأميم فرصة. فلوح أنتوني إيدن Anthony Eden رئيس وزراء بريطانيا في التليفزيون بورقة سوداء وصرح: "هذا مصير عبد الناصر"[٢١]. وأعلن تجميد ما لمصر من الاسترليني. وقررت بريطانيا وفرنسا توقيع عقوبات اقتصادية على مصر[٢٢].

وسيطر الخيار العسكري على الدولتين، وظلتا تلوحان به وتستعدان له[٢٣]. وأُختيرت قبرص ومالطة كقاعدة للهجوم. وأخذت بريطانيا تزج بقواتها إلى الجزيرتين[٢٤]. وفي ٢٨ أغسطس بدأت فرنسا تحريك قواتها إلى قبرص. وبعد يومين طلبت الدولتان من رعاياهما مغادرة مصر[٢٥]، ورأتا اتخاذ إسرائيل مخلب قط للهجوم على مصر[٢٦]. وحددت الدول الثلاث يوم ٢٩ أكتوبر لبدء العدوان، وكانت أهدافه: إعادة احتلال قاعدة قناة السويس، إلغاء تأميم القناة وعودتها للسيادة الأجنبية، هزيمة ثوار يوليو واعتقالهم ومحاكمتهم مثلما حدث مع العرابيين[٢٧].

٢٠) بريماكوف وأروتيونوف، العدوان المسلح على مصر، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية ، موسكو ١٩٥٧، ص ص٦، ٧.
٢١) محمد عبد الرحمن برج، دور الشعب في معركة العدوان الثلاثي، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٣، ص ص١٥ – ٢٠.
٢٢) محمود رياض، المصدر السابق، ص ص١٤٣، ١٤٧.
٢٣) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، معركة بورسعيد للتاريخ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٨، ص ص٢٥، ٢٦.
٢٤) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص١٢؛ طاهر أبو فاشا، يوم النصر ٢٣ ديسمبر، القاهرة ١٩٦٠، ص ص٦٠، ٦١.
٢٥) محمود رياض، المصدر السابق، ص ص١٤٦، ١٤٧؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص ص٢٥، ٢٦، ٣٤، ١١٧.
٢٦) في ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ بدأت مباحثات في سيفر قرب باريس بين بينو وبن جوريون وسلوين لويد. وزارة الدفاع، هيئة البحوث العسكرية، الجيش المصري وسبعة آلاف عام، ص٢٤٨؛ مذكرات موشيه ديان، ديان يعترف، دار التعاون، القاهرة ١٩٧٧، ص١٣٨.
٢٧) كمال القلش، بورسعيد أيام المقاومة أربعون عاما على العدوان، كتاب الأهالي رقم ٥٩، القاهرة ١٩٩٧، ص١١.

أولا: بورسعيد في مواجهة العدوان ٣١ أكتوبر – ٧ نوفمبر ١٩٥٦:

كانت بورسعيد الهدف الأول للحملة، لأن غزوها يحقق هدفها المباشر، ويتيح لإنجلترا وفرنسا أنسب قاعدة عند القناة تتجمع فيها قواتهما، ويجعل مطارات القناة تحت سيطرتهما، واستخدامها في استكمال الحملة على مصر(٢٨). وقد كتبت مجلة "يونايتد ستيتس" الأمريكية أنه لن تقم أمام الأسطولين الإنجليزي والفرنسي صعوبات لاحتلال بورسعيد عند مدخل قناة السويس، وأن جنود المظلات الذين ستلقيهم الطائرات سيكون بإمكانهم احتلال منطقة القناة(٢٩). وكان ظنهم إنه بمجرد ضرب بورسعيد ستضطرب الأمور وتندلع ثورة داخلية تنتهي بالقضاء على ثورة ٢٣ يوليو .

وحشدت الدولتان كل إمكانياتهما لغزو المدينة الصغيرة، فأعدتا: كتيبة مظلات بريطانية، وأخرى فرنسية، كتيبة الفدائيين رقم ٤٥، أورطة دبابات سنتوريان، فرقة مشاة، ومعها المدفعية اللازمة، ووحدات المهندسين والنقل والخدمات الإدارية، ويعاونها أسطولا الدولتين، وكل ما لديهما من قوات جوية في شرق البحر المتوسط(٣٠). وأعدتا ٨ طرادات، ٢٠ مدمرة، ٢٠ فرقاطة، ٢٢ لنش طوربيد، ٩ غواصات، عدد من سفن نقل الجنود والعتاد والطائرات، ٣٨ سربا من المقاتلات، ٢٥ سربا من قاذفات القنابل(٣١). وبلغ مجموع القوات المخصصة من جانب بريطانيا ٤٥ ألف جندي، ١٢ ألف مركبة مختلفة (دبابات ومصفحات وسيارات مختلفة) علاوة على ٣٠٠ طائرة، ١٢٥ سفينة حربية (فرقاطة وبوارج وسفن إنزال)، خمس حاملات طائرات، وخمس طرادات. أما فرنسا فخصصت للعملية ٤٣ ألف جندي، ٩ آلاف مركبة، ٢٠٠ طائرة، ٢٥ سفينة حربية مختلفة، حاملتين طائرات، بارجة حربية و ثلاثة طرادات. وتم وضع خطة الهجوم التي عُرفت بالخطة (موسكتير المعدلة)(٣٢).

---

٢٨) وزارة الإرشاد القومي، أسرار حرب السويس ٢٩ أكتوبر – ٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٧٠.
٢٩) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص١٣.
٣٠) اللواء أركان الحرب محمد كمال عبد الحميد، معركة سيناء وقناة السويس، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٤، ص١٢٥؛ رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٣٨.
٣١) وزارة الإرشاد، المصدر السابق، ص٦٠؛ الأخبار، عدد ١٤٣٦ في ٧ فبراير ١٩٥٧، ص١، "٧٧ ألف جندي شاركوا في العدوان".
٣٢) يحيى محمود الشاعر، الوجه الآخر للميدالية حرب السويس ١٩٥٦، أخبار اليوم، القاهرة ٢٠٠٦، ص ص٥٩، ٦٣. وضعت الخطة موسكتير للهجوم على الإسكندرية، ثم عُدلت ودُمجت معها الخطة الإسرائيلية قادش، لتخرج (موسكتير المعدلة) للهجوم على بورسعيد.

(ISSN : 2536 - 9555)

وفي مساء ٢٩ أكتوبر هاجمت إسرائيل سيناء، وأعلنت بريطانيا إنها لن تستغل الموقف(٣٣). ولكن في مساء اليوم التالي سلمت الحكومة البريطانية سفير مصر لديها إنذار، تضمن مطالبة مصر وإسرائيل بسحب قواتهما عشرة أميال على جانبي القناة، وأن تقبل مصر احتلال قوات بريطانيا وفرنسا لمواقع في بورسعيد والإسماعيلية والسويس؛ لضمان الملاحة في القناة. ومنحت الدولتان مصر مهلة ١٢ ساعة. وقد رفضت مصر الإنذار، وأكدت في شكواها إلى مجلس الأمن أن بريطانيا وفرنسا تجاهلتا أن القناة جزءا لا يتجزأ من مصر، وأن مصر ضحية للعدوان الإسرائيلي على أراضيها، وليس أمامها خيار سوى الدفاع عن نفسها، ولن تسمح لأية قوة بالنزول في أراضيها(٣٤).

وبانتهاء المهلة صباح ٣١ أكتوبر، أعطت بريطانيا وفرنسا أوامرهما ببدء عملياتهما تحت قيادة تشارلز كيتلي Kitli قائد القوات البريطانية شرق البحر المتوسط، ويعاونه الفرنسي بيير بارجو(٣٥). وفي السابعة مساءً بدأت الغارات ضد القواعد والمطارات الحربية، وتحركت السفن باتجاه بورسعيد. وفي التاسعة اشتدت الغارات على القاهرة والإسكندرية ومدن القناة(٣٦)، وخاصة بورسعيد، باعتبارها المنطقة المختارة لإنزال القوات، ومفتاح القناة. فحلقت الطائرات في سمائها، فدوت صفارات الإنذار، ونشطت المدفعية

٣٣) وزارة الخارجية، وكالة الشئون السياسية، إدارة غرب أوربا، نشرة الوثائق، الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي، ٢٩ أكتوبر – ٤ ديسمبر ١٩٥٦، ج١، القاهرة ١٩٥٧، ص٦٠. لم يدرك عبد الحكيم عامر أن ذلك مجرد طعم، فأمر بدفع القوات المدرعة والميكانيكية والمشاة، المجموعة الأولى المدرعة بقيادة عقيد طلعت حسن، والثانية بقيادة عقيد إبراهيم الموجي، واللواء المشاه الأول بقيادة عقيد أحمد إسماعيل. كمال حسن علي، مشاوير العمر أسرار وخفايا ٧٠ عاما من عمر مصر، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤، ص١٣٢.

٣٤) المساء، عدد ٢٦ في ٣١ أكتوبر ١٩٥٦، ص١، "مصر مستعدة"؛ الجمهورية، عدد ١٠٤٧ في ٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣؛ بنت النيل، عدد ١٣٤ في ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "بنت النيل السياسية". Year Book Of The United Nations 1956, United Nations Publications, New York 1957, p. 27.

٣٥) طاهر أبو فاشا، المصدر السابق، ص١١٩، ١٢٤؛ رابح لطفي جمعة، سحق العدوان الثلاثي، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٢، ص١٢٠.

٣٦) هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٢؛ وزارة الخارجية، مصدر سابق، بلاغ حربي رقم ٩، ص١٥٤.

المضادة للطائرات[٣٧]. وأعلن وزير خارجية بريطانيا في ساعة متأخرة إن الغارات بدأت ضد الأهداف العسكرية فقط، لإجبار مصر على وقف العدوان[٣٨].

وهكذا بدأت معركة بورسعيد تتطور عندما تركزت غارات العدو بقوة بصفة خاصة على المدينة، وصاحب هذا حملة حرب نفسية أذاعتها قيادة العدو من قبرص ولندن وباريس، على أمل إضعاف معنويات أهالي بورسعيد لتقليل مقاومتهم، وكانت تحدد الشوارع والطرقات التي يجب الابتعاد عنها خوفا من إصابتهم من القنابل. ولكن لم يستمع الشعب لهم[٣٩].

والحقيقة إن قرار أهالي بورسعيد كان محسوما منذ البداية، ففي حين كان إيدن يعتقد أنه سيكسب معركة بورسعيد في ٤٨ ساعة، وأن القصف سيؤدي إلى انقلاب الشعب على قائده، كان المشهد يؤكد عزم المدينة على الصمود؛ فقد غمرت الأهالي روح معنوية عالية، وأذاعت عربات الجيش نداء إلى جميع أفراد الحرس الوطني بالتوجه إلى معسكرات منطقة الجولف خلف محطة السكة الحديد، وأُعلنت التعبئة في المدينة. وبدأ في أقسام الشرطة توزيع السلاح بنظام على عناصر المقاومة الشعبية، فتم توزيع ٥٠٠ بندقية إنفيلد، مع كل منها ٥٠ طلقة. وتجمع الكثيرين مطالبين بالسلاح، وهرع الشباب للشاطئ للتدريب على السلاح، فبدأ ضباط الجيش يلقنونهم مبادئ استخدام السلاح[٤٠].

وروى محمد السمان الذي كان يمتلك صندلا ويعمل بمبوطيا، أنه لما بدأت الغارات اندفع هو وولديه مع الأهالي وحملوا السلاح الذي كان متوفر[٤١]. حيث كانت ثلاث عربات سكك حديدية محملة بالسلاح قد غادرت القاهرة متجهة إلى قيادة الحرس الوطني ببورسعيد لتوزيعها على الشعب، غير أن توزيع الأسلحة على أفراد المقاومة الشعبية لم

٣٧) مذكرات إبراهيم هاجوج عن الأيام الأولى للعدوان على بورسعيد عام ١٩٥٦، تحرير أحمد القصير، القاهرة ٢٠١٤، ص١٣.
٣٨) وزارة الخارجية، المصدر السابق، تصريحات سلوين لويد في مجلس العموم في ٣١ /١٠/١٩٥٦، ص١٩٥.
٣٩) أبو الحجاج حافظ، قصة المقاومة الشعبية في مصر، إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة ١٩٦٢، ص٤٠.
٤٠) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، أيام الانتصار، دار الديمقراطية الجديدة، القاهرة ١٩٥٧، ص٧.
٤١) الجمهورية، عدد ١٠٦٥ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "قصة أنجح عملية للمدنيين".

(ISSN : 2536 - 9555)

يتم فورا، وتم توقيف العربات أمام مخزن البضائع جنوب المحطة. وتم توزيع جزء من الأسلحة؛ بينما أُرجئ توزيع الباقي حتى يكتمل تجميع البيانات والسجلات اللازمة(٤٢).

على أية حال، خلال الفترة من ٣١ أكتوبر إلى ٤ نوفمبر، توالت الغارات على المدينة لتعطيل وسائل الدفاع عنها. ففي أول نوفمبر أغارت الطائرات على المدينة ٣٦ ساعة متواصلة، من السادسة صباحا وحتى السادسة مساء الجمعة ٢ نوفمبر(٤٣). فيروى محمد نصر الدين شحبر، الذي كان رقيبا في مدفعية الساحل داخل بوغاز بورسعيد إنه في السادسة صباح أول نوفمبر حلقت قرابة ٣٠ طائرة فوق طاقم مدفعية الساحل الموجود بالبوغاز. وفي صباحا ٢ نوفمبر عاودت الطائرات قصف المواقع العسكرية، وألقت بمنشورات تدعو إلى الاستسلام(٤٤). وحاصرت بريطانيا وفرنسا المدينة لمنع وصول الإمدادات إليها من الشريط الضيق المحاذي للقناة أو عبر بحيرة المنزلة(٤٥).

وتزامنا مع ذلك تنامى المد الوطني في بورسعيد، خاصة بعد قطع مصر علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا ومنع سفر رعاياهما(٤٦)، وساد المدينة جوا من الترقب، والتصقت الآذان بأجهزة الراديو، في انتظار خطبة عبد الناصر بعد صلاة الجمعة ٢ نوفمبر في الجامع الأزهر(٤٧). وفي خطبته كشف المؤامرة الثلاثية، وأعلن "سنقاتل حتى آخر نقطة دم، لن نستسلم، سنعتمد على الله وعلى أنفسنا، وسننتصر بإذن الله"(٤٨). فأججت الخطبة الحماسة الوطنية، وتعالت الهتافات "هنحارب"، وعن طريق الراديو شعر أهالي بورسعيد أن كل مواطن في مصر معهم، وبالتالي زادت معنوياتهم(٤٩).

---

٤٢) يحيى الشاعر، المصدر السابق، ص١٤٠.
٤٣) كمال القلش، بورسعيد أيام المقاومة أربعون عاما على العدوان، كتاب الأهالي، القاهرة ١٩٩٧، ص١٦؛ هاجوج، المصدر السابق، ص١٤؛ محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٢٧.
٤٤) محمد نصر الدين شحبر، مذكرات العدوان الثلاثي على بورسعيد "بورسعيد ١٩٥٦"، مطبعة أخبار بورسعيد، د.ت، ص٧.
٤٥) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٢٠.
٤٦) المساء، عدد ٢٨ في ٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤. كانت الباخرة اليونانية أيونيا تستعد للإبحار من الإسكندرية وعلى متنها ٣٠٠ أسرة إنجليزية وفرنسية، أنزلهم البوليس من على متن الباخرة.
٤٧) يحيى الشاعر، المصدر السابق، ص١٣٣.
٤٨) وزارة الخارجية، المصدر السابق، ص ص٧٣ – ٧٦.
٤٩) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٤٢.

وكانت الأوامر قد صدرت إلى الصاغ عبد الفتاح أبو الفضل[٥٠] عقب التأميم بإعادة تنظيم المقاومة السرية وقيادة العمليات السرية. وانتقى مجموعة من الضباط والمدنيين للتحضير للمقاومة السرية؛ فقد شعر بأن الموقف قد يزداد سوء، فبناء على طلبه؛ طلب مكتب المخابرات العامة بالإسماعيلية من القيادة العامة للقوات المسلحة تزويده بكميات أسلحة إضافية لتوزيعها لتكوين مقاومة شعبية منظمة لصد العدوان تبعا لتوجيهات عبد الناصر. وتولى اليوزباشي سمير محمد غانم من ضباط المخابرات بالإسماعيلية والمسئول عن تسليح المقاومة السرية، مسئولية تجهيز الحمولة لتوصيلها بورسعيد قبل ضوء السبت ٣ نوفمبر.

وكانت المعلومات عن الوضع في المدينة وتباطؤ توزيع الأسلحة قد وصل المسئولين بالقاهرة، فتم إعداد شحنات من الأسلحة لإرسالها إلى بورسعيد. وفي أول ضوء يوم السبت ٣ نوفمبر، غادر الإسماعيلية سمير غانم برفقته سيارتي نقل محملتين بكميات من الأسلحة، وانطلقت السيارتان، وسبقهما سمير غانم في سيارته، وفور وصوله التقى الصاغ يحيى القاضى المنتدب من القوات المسلحة لقيادة المقاومة السرية لكونه من بورسعيد، وسلمه حمولة السيارتين، بحضور يوزباشي مصطفى كمال الصياد من ضباط البوليس وحسنى عوض من رجال المخابرات، والذى عُين مساعدا ليحيى القاضي، وعاد سمير غانم إلى الإسماعيلية ليرفع تقريره عن الموقف في المدينة[٥١].

---

٥٠) عبد الفتاح أبو الفضل، كنت نائبا لرئيس المخابرات، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١، ص ص١٢٢، ١٥٠. ولد أبو الفضل في ٢٨ أبريل ١٩٢١، تخرج عام ١٩٤٣ في الكلية الحربية. وشارك في الحرب العالمية الثانية وحرب ١٩٤٨، وكان ينتمي للصف الثاني من الضباط الأحرار، عمل في جهاز المخابرات، وبعد اتفاقية الجلاء في ٢٧ يوليو ١٩٥٤، كُلف بالسفر للسودان ليعمل كمراسل لصحيفة الجمهورية ومندوبا لشركة الإعلانات، فسافر في يناير ١٩٥٥، وفي يونيو ١٩٥٦ حضر للقاهرة في إجازة.

٥١) يحيى الشاعر، المصدر السابق، ص ص١٣٩– ١٤١؛ سمير غانم، دور جهاز المخابرات العامة الرئيسي في عيد النصر - بوسعيد ١٩٥٦، مقال بتاريخ ٢٣ ديسمبر ٢٠١٢ (https://www.facebook.com/groups/samehseifelyazal/)، عبد الفتاح أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٥٠. بعد تأميم القناة وتحرك إنجلترا وفرنسا قامت المخابرات العامة بقيادة زكريا محيى الدين بتكليف ضباط المخابرات الذين سبق لهم قيادة الكفاح المسلح فى منطقة القناة عام ١٩٥٤ بإعداد مراكز للمقاومة السرية: ففى بورسعيد تم انتداب الصاغ يحيى القاضي لكونه من بورسعيد، وفى القنطرة الملازم سلامة عثمان، وفى السويس الملازم يحيى راشد، وفى الشرقية الصاغ لطفى واكد، وفى الاسماعيلية حيث المركز الرئيسى للمقاومة فى منطقة القناة؛ كان الصاغات: عبد الفتاح أبو الفضل وكمال رفعت واليوزباشى سمير غانم.

(ISSN : 2536 - 9555)

وعمليا لم توهن الغارات وما أحدثته من دمار عزيمة الأهالي، فأبوا أن تكون مدينتهم منفذا للمحتل، وهي التي شيعته قبل ١٤٥ يوما، وتُرجمت حماستهم الوطنية؛ فكانت خطتهم: (١) يحاول كل شخص الحصول على سلاح للدفاع عن مدينته، (٢) تدريب الشباب على حمل السلاح، (٣) تكوين كتائب منظمة للدفاع عن المدينة، (٤) إصدار نشرة لرفع الروح المعنوية للأهالي، (٥) القضاء على الشائعات التي يروجها الطابور الخامس الذي تقوده أقوى مخابرات استعمارية[٥٢].

ورسميا تقرر الدفاع عن بورسعيد بست كتائب مشاة منها ثلاث كتائب حرس وطني[٥٣]: (أ) كتيبة ٢٩١ مشاة بقيادة بكباشي صالح صالح، وصلت في ٣١ أكتوبر، وتوزعت سرية في مطار الجميل غرب المدينة، وأخرى على الشاطئ، وسرية بمباني شركة القناة. (ب) الكتيبة ٢٧٥ مشاة بقيادة بكباشي حسين توفيق، ووصلت مساء أول نوفمبر. (ج) الكتيبة الرابعة مشاة بقيادة البكباشي سعدي بخيت، وصلت في ٣ نوفمبر من سيناء، وأخذت أماكنها في الجبانة للاختفاء عن طائرات العدو التي تستهدف مناطق الدفاعات. وكُلفت الكتيبة باحتلال منطقة الجبانة غرب المدينة، وتقاطع الطرق المؤدية لقلب المدينة، واحتلال موقع جنوب معسكر الجولف وشمال كوبري الرسوة، فتوزعت سريتان في منطقة الجبانات، وسرية بالرسوة، وسرية احتياط بالرسوة. (د) بطارية مدافع صاروخية في منطقة المناخ، (هـ) كتيبة حرس وطني منها سرية في مطار الجميل. (و) فرق المقاومة الشعبية، (ي) بطاريتي مدفعية ساحلية، وأخرى مضادة للطائرات، بإجمالي ألف فرد. وكانت الأوامر قد صدرت إلى عبد الرحيم قدري قائد اللواء ٩٧ مشاة في قاعدة غرب القاهرة الجوية بالتحرك عدا كتيبة إلى بورسعيد، فوصل عصر ٣ نوفمبر، وتكون من الكتيبتين ٢٧٥ و٢٩١، وفور وصوله قام بتقسيم المدينة ٣ قطاعات: تقوم الكتيبة ٢٧٥ (عدا سرية) وسرية من جيش التحرير وبطارية مدفعية بالدفاع عن بورفؤاد. وتقوم الكتيبة ٢٩١ وسرية من الكتيبة ٢٧٥ وكتيبة من جيش التحرير وبطارية مدفعية ساحلية للدفاع عن بورسعيد من مطار الجميل غربا حتى الميناء، مع تركيز الدفاع عن

٥٢) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٨.
٥٣) هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٥.

مطار الجميل والجبانة. أما قطاع الرسوة، فتولى الدفاع عنه سرية من جيش التحرير، لتأمين مدخل بورسعيد الجنوبي وكوبري الرسوة للسكة الحديد والكوبري العائم. وتوزعت بطاريات المدافع: بمنطقة المناخ، وبورفؤاد، وحاجز الأمواج برصيف ديليسبس(٥٤).

وقد أبلت بطاريات المدافع المضادة للطائرات ومدفعية السواحل بلاء حسنا. وكان أحد المدافع يقف تحت الكبائن، ويقذف الأسطول ثم يتراجع، ليوهم العدو أنه أُصيب، وبسرعة يُنقل إلى كبينة أخرى، فاضطر العدو لاستخدام مزيد من الطائرات لإسكات مدفعية الساحل(٥٥).

وجدير بالذكر أن القيادة المصرية منذ قرار التأميم لم تكن تستبعد العدوان، فأُنشئ في أغسطس ١٩٥٦ جيش التحرير من المتطوعين، وعُين كمال الدين حسين قائدا له، وأنشئت بالمدن مراكزا لإعداد المتطوعين. وفي ٣٠ أكتوبر أُعلنت التعبئة العامة. ونُودي على من يريد الحصول على السلاح بالتوجه إلى معسكرات جيش التحرير. وتضامنا مع بورسعيد، تدفق المتطوعين، وعُطلت الدراسة، وباتت الجامعات ساحات للتدريب، ودوت عبارات "إلى القناة – النصر أو الاستشهاد"(٥٦). فتدفق الشباب على معسكر جامعة القاهرة، وكان يتدرب يوميا ٣٠٠٠ طالب(٥٧). وتحولت مصر إلى معسكر القاهرة قلبه.

ومع أن الغارات لم تنقطع، اشتد القصف في ٣ نوفمبر، ويعتبر ذلك بداية تنفيذ خطة مهاجمة بورسعيد، فقامت ٤ طائرات طراز (فينوم) في العاشرة صباحا بدوريات استطلاعية. وأدى ظهورها ودوي طلقات المدفعية المضادة إلى اشتعال الحماسة؛ فتدافع

٥٤) الأهرام، عدد ٢٥٥٥٥ في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢، "تماثيل خشبية يلقيها العدو بالباراشوت"؛ حسن أحمد البدري وفطين أحمد، حرب التواطؤ الثلاثي، القاهرة ١٩٩٧، ص٣٥٢ ـ ٣٥٥؛ محمد كمال، المصدر السابق، ص١٢٤؛ رابح لطفي، المصدر السابق، ص١٣٧. تضم الكتيبة من ٤ إلى ٦ سرايا، واللواء من ٢ إلى ٥ كتائب.

٥٥) سمير صادق، قصة العدوان الثلاثي على مصر، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦١، ص٢٠٢؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٢٠؛ شهدي عطية، تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ – ١٩٥٦، دار شهدي، القاهرة ١٩٥٧، ص١٧٧.

٥٦) الجمهورية، عدد ١٠٤٦، أول نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "آلاف المتطوعين يتقدمون لجيش التحرير"؛ روز اليوسف، عدد ١٤٨٣ في ١٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص١٧، "كيف تحصل على السلاح"؛ بريماكوف، المصدر السابق، ص٢٦؛ محمد برج، المرجع السابق، ص٣٥.

٥٧) آخر ساعة، عدد ١٩٥٠ في ٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢، "ثلاثة آلاف محارب كل يوم".

(ISSN : 2536 - 9555)

المواطنون إلى الشاطئ لمشاهدة المنظر(٥٨). وأسفرت الغارات عن خسائر طفيفة في المعدات، وأربعة قتلى وستة جرحى(٥٩).

وفي ٤ نوفمبر بدأ هجوم مركز على المدينة، وتعاونت البحرية وسلاح الجو في قصف الأهداف الحيوية والمدفعية الساحلية والمضادة للطائرات. فتعرضت المدينة إلى ٤٧٠ غارة، بمعدل غارة كل ثلاث دقائق، وتركزت على الساحل ومطار الجميل. ودخلت قطع الأسطول الغاطس إلى مسافة ٤٠٠ متر، وأطلقت قذائفها على المدينة التي تبلغ مساحتها ٤ كم^{٢}، فتم تدمير غالبية المدافع المضادة للسفن والطائرات(٦٠). وحطمت الغارات طريق المعاهدة ومحطة القطار، وأغرقت ٢١ قطعة بحرية تابعة لهيئة القناة، فسدت مدخل الميناء، وغرقت مهمات أخرى بطول مجرى القناة، وحُجزت ١٣ سفينة من عدة جنسيات عند الكيلو ٦٢(٦١).

ووزعت الطائرات غاراتها على جهات بالمدينة: الجبهة الشرقية وتشمل بورفؤاد وساحل القناة ومستودعات البترول. والجبهة الغربية وتشمل منطقة الجميل والمطار والجبانات وبحيرة المنزلة. والجبهة الشمالية وتشمل ساحل البحر من تمثال ديليسبس شرقا حتى منطقة الجميل غربا. أما الجبهة الجنوبية فشملت كوبري الرسوة ووابور المياه. وكانت الطائرات تحلق على ارتفاع لتكون في مأمن، وكانت تبحث عن المناطق المناسبة لإنزال جنود المظلات لاحتلال المدينة حسب الخطة(٦٢). وصاحب الغارات قصف الأسطول للمدينة، بقصد إرهاب الأهالي وهدم معنوياتهم(٦٣).

وتوهم إيدن وموليه أن بورسعيد ستسقط كما سقطت بلجيكا وهولندا في يد هتلر، حيث ستثير الغارات الهلع بين المدنيين، فيندفعون يحاولون النجاة ومغادرة المدينة، وأن طوابير العربات والدراجات والنساء والشيوخ والأطفال المندفعين ستعرقل تحركات القوات

٥٨) يحيى الشاعر، المصدر السابق، ص١٣٦.
٥٩) وزارة الخارجية، المصدر السابق، برقية في ١٩٥٦/١١/٤، البلاغ الحربي (١٨، ٢١، ٢٢)، ص١٥٦.
٦٠) المساء، عدد ٣٩ في ١٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢، "بورسعيد هيبة شعب وثورة الإنسان"، عدد ٤١ في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٨، "من صميم المعركة"؛ هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص ص٢٥٠، ٢٥٥؛ أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٥٦.
٦١) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٦؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص٦٤.
٦٢) مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص ص١٤، ١٥.
٦٣) لواء أركان حرب محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٢٤.

المدافعة عن المدينة، فتصبح المدينة فريسة سهلة. ومع أن كل الظروف كانت ضد أهالي بورسعيد، الإنذار المفاجئ، والغارات العنيفة، وحصار المدينة، سجلت بطولة في ضبط النفس والصمود؛ فلم تخرج طوابير الهالعين الفارين مع بدء الغارات(٦٤). فكان الأهالي يتجمعون في الشوارع، يتابعون مسار الطائرات، ويتشاورون(٦٥).

ودفعت القيادة الشرقية بتعزيزات، لم تزد عن تروب مضاد للدبابات، وآخر مضاد للطائرات، وقوة من الفدائيين دخلت المدينة ليلا(٦٦). واستمرت في تنظيم الدفاع، فقامت بتأمين مطار الجميل وإنشاء دُشم حوله، وقطع كوبري الجميل لمنع قوات البريطانية من استخدامه للوصول للمدينة(٦٧).

وتضافرت قوى الشعب والجيش والحرس الوطني، فأخذ عناصر المقاومة أماكنها استعدادا للمعركة، وسيطرت على الأهالي روح معنوية عالية توحي بالاطمئنان للنصر(٦٨). وكتب بعض الأهالي منشورا بالآلة الكاتبة لشرح أهداف العدوان، والدفاع عن عبد الناصر، وكتبوا على الجدران (حافظ على سلاحك لن يمر العدو إلا على جثثنا)(٦٩). وتحولت بورسعيد إلى معسكر يضم أبناء المدينة الذين قرروا حمل السلاح، وخوض المعركة التي كانت بالنسبة لهم معركة حياة أو موت(٧٠).

وإزاء الحرب النفسية، لم يلتفت البورسعيديون لما توجهه إذاعة (صوت بريطانيا) من نداءات(٧١). وشعر كل مواطن وهو يحمل أحدث الأسلحة التي وزعت على الجميع بلا تمييز ولا حساب بالطمانينة والثقة وصمم الجميع على رد العدوان بأي صورة وبأي ثمن. وفي الوقت الذي كانت المدينة في ذروة حماسها، مهد البورسعيديون السبيل للأطفال

٦٤) الجمهورية، عدد ١٠٦٥، المصدر السابق، ص٣، "الخطة التي فشلت في مصر نجحت في بلجيكا وهولندا".
٦٥) مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص١٥.
٦٦) حسن أحمد البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص٣٥٦. التروب أو الفصيلة عدد أفرادها (١٦-٤٤) ويقودها ضابط برتبة ملازم.
٦٧) هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٥.
٦٨) المساء، عدد ٢٩ في ٣ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢، "مدن القناة على استعداد لمقاتلة العدو"
٦٩) كمال القلش، المصدر السابق، ص٢٣.
٧٠) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، المصدر السابق، ص٢٤٢.؛ علي عبده الزغبي، المرجع السابق، ص٩.
٧١) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٣٩.

(ISSN : 2536 - 9555)

والنساء وكبار السن لمغادرة المدينة عن طريق بحيرة المنزلة إلى دمياط والمطرية[٧٢]. في حين تدفق المتطوعين من المدن المجاورة كالزقازيق والإسماعيلية على بورسعيد لمشاركة أهلها في كفاحهم[٧٣]، فأصبحت قبلة كل مصري، وأخذت الإذاعة تنادي على أبناء بورسعيد وتحثهم على القتال والصمود، فزادوا إصرارا على الدفاع[٧٤].

وتوزعت المقاومة، واختلط رجال الجيش بالأهالي والمتطوعين، فكانوا بملابسهم الصفراء مع الأهالي في الشوارع، والأهالي ينقلون الجرحى ويحضرون الطعام للجنود. والشوارع مكتظة، في شارع عبادي، وبجوار مبنى المحافظة، وقرب الكبائن، وشارع ٦ في بورفؤاد، مع أن الغارات لا تتوقف[٧٥].

وعلى الرغم من تركيز القصف الجوي والبحري على المدينة، صمدت بطاريات المدافع المضادة للطائرات، ولم تسكت في يوم وليلة كما كان إيدن يعتقد، فقد كان داخل بوغاز بورسعيد بطارية مدفعية مضادة للطائرات بقيادة الضابط محمد خطاب، واستطاع في ٢ نوفمبر إسقاط (٦ طائرات)، فكان هذا دافعا لمواصلة القتال. وكان المنظر العام لأهالي بورسعيد حين يرون المدفعية المضادة للطائرات بقيادة الضابط محمد خطاب مكان نادي الصيد، تُسقط طائرة، يهللون (أهي أهي) أي الطائرة المعادية لحظة سقوطها[٧٦]. وكان الطقم يتغير على البطارية الواحدة أربع مرات في اليوم، حتى خشي أن تنصهر المدافع من كثرة ما أطلقته من قذائف. وكانت البطاريات لا تطلق النيران على الطائرات المغيرة إلا عن قرب، لتزداد فرصة إصابتها، وكان الناس يهللون ويصفقون. لكن إزاء كثافة الطائرات المغيرة، سقط الكثير من الجنود، وسكتت بطاريات المدفعية[٧٧]. واستمر مدفع بجوار مبنى القناة، وكان آخر مدفع تسكته طائرات، فكانت تحلق فوقه على ارتفاع

٧٢) أبو الحجاج حافظ، المصدر السابق، ص٤٥.
٧٣) روز اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣٠، "عائدون من بورسعيد بقلم عبد المنعم صبحي".
٧٤) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص٤٤.
٧٥) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص١٦، ٢٣.
٧٦) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص ص٧، ٩.
٧٧) رابح لطفي، المصدر السابق، ص١٣٩؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص ص١٢٠، ١٢١.

منخفض تكاد تلامسه لتبيد طاقمه، ولم يبق منه إلا جندي، فكان الأهالي يناولونه الذخيرة حتى أُصيب وفقد بصره. وهكذا سكت آخر مدفع(٧٨).

وانتهى يوم الأحد ٤ نوفمبر بعد أن تم تدمير المواقع الثابتة للمدفعية المضادة للطائرات والمدفعية الساحلية، وباتت المدينة شبه خالية من الأسلحة الثقيلة، لم يعد فيها إلا الأسلحة الصغيرة التي كانت مع وحدات المشاة وأفراد المقاومة الشعبية.

وكان العميد صلاح الدين الموجي رئيس أركان القيادة الشرقية قد تطوع في ٤ نوفمبر بتنظيم دفاعات بورسعيد، فوصلها مساءً، وقام بتعديل بعض الدفاعات(٧٩). أما الأهالي المسلحون فأخذوا يتفرقون في جماعات إلى جهات مختلفة في المدينة وإلى أسطح المنازل والمبيت فوقها، وفق تعليمات القيادة(٨٠).

وجدير بالذكر أنه إزاء قصف المدينة، زاد غضب الجماهير ومطالباتهم بالسلاح للدفاع عن مدينتهم، وقامت القيادة بتوزيع آلاف من قطع السلاح، فكانت عربات الجيش تأتي لتوزيع السلاح(٨١). فقد جاء ضابط شاب بعربة نقل مُحملة بالبنادق والذخيرة، أفرغ حمولتها في شارع كسرى صائحا في الناس "السلاح أهه خدوه"، فتزاحم الرجال والنساء والأطفال ليأخذوا السلاح. ثم عاد بعربة ثانية ثم عربة ثالثة، وما لبث أن أخذ الناس معه واتجه إلى محطة السكة الحديد، حيث كان هناك قطار بضاعة محملا بالأسلحة، فاندفع الناس يوزعون السلاح على أنفسهم، وبذلك تسلح غالبية الأهالي(٨٢).

ويذكر إبراهيم هاجوج في مذكراته أن الأهالي أجمعوا على المطالبة بالسلاح للدفاع عن مدينتهم، وكانت كلماتهم (نريد السلاح). ويضيف أن رجال القوات المسلحة استجابوا، ونادى مناديهم (ها هو السلاح، لكل مواطن قادر على حمله). وجاءوا بكميات من الأسلحة في عربات الجيش وعربات النقل، وأخذوا يلقون الأسلحة على المواطنين، فتسابقوا للحصول عليها بشكل لم يسبق له مثيل. وخلال ساعات كان معظم الأهالي

٧٨) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٧.
٧٩) حسن أحمد البدري وفطين أحمد، المرجع السابق، ص٣٥٩. كان العقيد الموجي على دراية بأساليب القادة البريطانيين في القتال، لملازمته إياهم ٥ سنوات في دراسات عليا في الكليات البريطانية والمناورات الميدانية.
٨٠) مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص١٩.
٨١) هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٥.
٨٢) كمال القلش، المصدر السابق، ص٢٠.

(ISSN : 2536 - 9555)

مسلحين حتى من لم يتجاوزوا السادسة عشر. كانوا يأخذون السلاح ويتوجهون إلى أطراف المدينة حيث معسكرات الحرس الوطني، فيتدربون على استعمال السلاح(٨٣). وذكر مراسل مجلة التايم أنه شاهد فتيان في الثانية عشر يحملون السلاح(٨٤).

لكن توزيع السلاح بهذه الصورة، جعله يقع في أيدي الصبية وفي يد أُناس غير مدربين. وباتت المشكلة كيفية تنظيم الجماهير المسلحة، خاصة أنه لم يكن هناك وقت، فالغارات تتوالى، وفي كل دقيقة يسقط شهداء ومصابين، مما كان ينذر بأن المعركة ستسير بشكل يفتقد للتنظيم(٨٥).

وقد قام عدد من الشيوعيين الذين سبق لها التدريب على استخدام السلاح بدور في إعادة توزيع السلاح، واشتركوا مع بقية الكتيبة الرابعة مشاة في إعادة توزيع السلاح في نقاط محددة من الشوارع والنواصي على أساس أن يُدرب كل من يعرف استخدام السلاح من لا يعرف، ويتبادلوا الطلقات بطلقات صالحة لكل سلاح حيث لم يكن كثير ممن أخذوا الأسلحة يعرف الفرق، ومع ذلك قُتل عدد ليس قليل من الطلقات الخاطئة وانفجار القانبل اليدوية بطريق الخطأ(٨٦).

وهكذا أُتيح إلى أهل بورسعيد من الأسلحة والذخيرة فوق ما كانوا يتوقعون، وبات الأهالي في كل مكان يحملون الأسلحة. وباتت المدينة معسكر كبير جنوده من الجيش والبوليس والحرس الوطني وأهالي بورسعيد من الرجال والصبية والنساء(٨٧).

وبدأت المقاومة الشعبية بقيادة مصطفى كمال الصياد وحسني عوض التنسيق مع ما تبقى من وحدات الجيش للتعاون معها في الدفاع عن المدينة، حيث كانت عناصر الجيش منتشرة بأعداد قليلة في الجميل والجبانة والشاطئ والرسوة ومكاتب القناة. وقد رحب البكباشي حسين توفيق باشتراك رجال المقاومة الشعبية مع قواته، وقال إنه كان

٨٣) مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص ص١٦، ١٧.
٨٤) القاهرة، عدد ١١٢٤ في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "مجلة التايم تصف معركة بورسعيد".
٨٥) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٧٧؛ أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٩.
٨٦) محمود الورداني، حدتو سيرة ذاتية لمنظمة شيوعية، دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٧ ، ص٢٥٢.
٨٧) نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٩؛ الأهرام، عدد ٢٥٥٣٩ في ٦ نوفمبر١٩٥٦، ص٢، "أهالي بورسعيد يخرجون للمعركة".

يشعر بضعف وقلة قوته، لكن الشعب المسلح رفع روحه المعنوية. وأقسم أنه وجنوده سيقاتلون حتى آخر طلقة(٨٨).

ومع بزوغ فجر يوم الاثنين ٥ نوفمبر، وبعدما تأكدت إنجلترا وفرنسا أنهما دمرتا في الأيام السابقة المدفعية المضادة للطائرات؛ بدأتا هجوما جويا موسعا؛ تمهيدا للقيام بعملية إنزال المظليين(٨٩). ومع أن العدو في الأيام الماضية كان يقصف أهدافا محددة؛ راح يضرب بلا تمييز، فواجهت بورسعيد أفظع قصف جوي وبحري منذ العدوان(٩٠).

وبعد هذا القصف المركز، بدأ الجزء الثاني من خطة العدوان، فصرح وزير الدفاع البريطاني أن حكومة مصر وضعت مدافع واتخذت أماكن حصينة بمحاذاة البحر، ولذا تقرر قبل الهجوم بأربعة وعشرين ساعة إنزال جنود المظلات لإزالة هذه المواقع الحصينة(٩١). وبالفعل شرع العدو في السابعة والنصف في إنزال قوات المظلات في ثلاث مواقع: مطار الجميل والجبانة غرب بورسعيد، وبورفؤاد، منطقة الرسوة في الجنوب(٩٢)، فاسقطت الطائرات البريطانية في مطار الجميل قرابة ٢٥٠ من المظليين الإنجليز المعروفين بالشياطين الحمر(٩٣). في حين اسقطت الطائرات الفرنسية ٥٠٠ مظلي جنوب كوبري الرسوة وقرب القناة التي تربط قناة السويس ببحيرة المنزلة(٩٤). وكان معظم هؤلاء المظليين من الموريشيان والسنغاليين(٩٥).

---

٨٨) أبو الفضل، المصدر السابق، ص ص١٥٦، ١٥٧؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٢٠.

89) Foreign Relations of the United States, 1955-1957. Suez Crisis, July 26-December 31, 1956 , P. 984, Message from Prime Minister Eden To President Eisenhower, London, November 5, 1956.

٩٠) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص١٧، ١٨؛ بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٢٩.

٩١) وزارة الخارجية، المصدر السابق، تصريح وزير الدفاع في مجلس العموم ١٩٥٦/١١/٨، ص٢١٧.

٩٢) القاهرة، عدد ١١٠٢ في ٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "جنود المظلات يهبطون في ٣ مواقع ببورسعيد"؛ الأهرام، عدد ٢٥٥٣٩ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد صامدة"؛ عبد اللطيف البغدادي، مذكرات، الجزء الأول، المكتب المصري، القاهرة، د.ت، ص٢١٠.

٩٣) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٠.

٩٤) حسن أحمد البدري وفطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص ص ٧١، ٣٥٦.

٩٥) روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تقرير آخر من بورسعيد".

(ISSN : 2536 - 9555)

وكانت القيادة المشتركة للقوات المعتدية واثقة من نجاح عملية الإنزال، فأذاعت بعد عشر دقائق، وتحديدا الساعة (٧.٤٠) أن غزو بورسعيد بدأ، وأن جنود المظلات نزلوا على الأراضي المصرية، وأن إذاعة صوت بريطانيا في قبرص تذيع تطمينات لسكان بورسعيد. ولكن خاب أملها، فقد تصدى رجال الجيش والبوليس والأهالي للهابطين في منطقة المطار، فاحتموا خلف جدار في الخلاء، وكانوا يصطادونهم[٩٦]. وعلى الرغم من القنابل التي كانت تلقيها الطائرات للتغطية على إنزال الجنود، اندفع الأهالي إلى هذه الأماكن، كل فرد يحمل بندقيته، وخلال ساعة كانت العديد من جنود المظلات قد فارقوا الحياة قبل أن يصلوا إلى الأرض، ولما جاءت الحادية عشر كان قد تم القضاء على قوات العدو في مطار الجميل، وتعالت الأصوات: (تحيا مصر الموت للأعداء)[٩٧].

وقد اعترف الجنرال كيتلي القائد العام للقوات المشتركة بفداحة خسائره وبوجود مقاومة عنيفة وبتصميم المصريين على القتال. فصرح بأن المصريين ليست لديهم نية للسماح للقوات باحتلال منطقة القناة، وسيضطر إلى إجبارهم على ذلك، وأن عملية الصباح تطورت إلى معركة عنيفة، وأنه لم يُقتل أي جندي من القوات التي قامت بهجوم الفجر، وأن ستة من الفرنسيين قد جُرحوا[٩٨].

وفي الحادية عشر، وبعد فشل العدو في عملية إنزال قواته في الجو، ولإنقاذ قواته والضغط على الأهالي، حلقت طائراته بكثافة فوق منطقة الجميل، وكثفت قنابلها على المطار لتأمين هبوط الجنود[٩٩]. والحقيقة إن وحشية المعتدين بعد إبادة الفوج الأول فاقت الحدود، فلم يتركوا هدفا إلا وقصفوه، فذكر عبد الستار عمارة المدرس إن إحدى

---

٩٦) وزارة الخارجية، المصدر السابق، برقية في ١٩٥٦/١١/٥، البلاغ الحربي رقم ٢٣، ٣١، ص١٦٥، ٢٤٩.

٩٧) وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، ميكروفيلم رقم ٢، محفظة رقم ٨، ملف رقم ٢، العدوان الثلاثي على مصر، بلاغ حربي رقم (٣٢)؛ الأهرام، عدد ٢٥٥٣٩ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد صامدة"، ص٢، "أهالي بورسعيد يخرجون للمعركة"؛ روز اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "عائدون من بورسعيد".

٩٨) وزارة الخارجية، المصدر السابق، البرقيات الحربية ١٩٥٦/١١/٥، ص ص٢٥٠، ٢٥١.

٩٩) وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، ميكروفيلم رقم ٢، محفظة رقم ٨، ملف رقم ٢، العدوان الثلاثي على مصر، البيانات الرسمية وتصريحات المسئولين، بلاغ حربي رقم (٣٢)؛ المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "البورسعيدي الذي أغرق ٤٠ جندي بريطاني".

سيارات الإسعاف كانت تسير صباح ٥ نوفمبر بشارع ٢٣ يوليو، فاستهدفتها على ارتفاع منخفض طائرة ودمرتها، ولم ير الطيار في ذلك مخالفة[١٠٠].

وفي الثانية عشر قام العدو بإنزال موجة ثانية من جنود المظلات في منطقة الجبانة وعلى الشاطئ في منطقة الجميل، فتصدى لهم رجال الجيش والمقاومة الشعبية واشتبكوا معها في معارك عنيفة، ونظرا لكثرة خسائر العدو، قام بتعزيز قواته في المنطقة[١٠١]، وتابعت الطائرات والبوارج ضرب المدينة، للضغط على الأهالي، والانتقام من الخسائر الفادحة، وحماية الجنود الهابطين، وإمدادهم بالسلاح[١٠٢]. وكان المدافعون عن مطار الجميل قد نشروا على أرضه عددا من البراميل الفارغة لمنع هبوط طائرات العدو، فوفرت هذه البراميل سواتر للمظليين، اتخذوها مساند لإطلاق النار[١٠٣].

وفي الثانية والنصف بعد الظهر أنزل العدو قوة ثالثة من جنود المظلات، فاشتبكت معها عناصر الجيش والمقاومة الشعبية[١٠٤]، فاستقبلوا بأسلحتهم الصغيرة الهابطين بالمظلات في منطقة الجبانات والجميل، فكانوا يصلون الأرض جثث هامدة، ومن لا يُصاب كان الأهالي يتعقبونه، وكانت تتلقفه سواطير جزارين بورسعيد وبنادق المقاومة، ولم تكن هناك جثة سليمة، وخلال دقائق كانت الأرض مخضبة بالدم[١٠٥]. وكان ضمن الذين هبطوا بعض السنغاليين، وكانت الجملة التي يرددونها (أنا مسلمان)، في محاولة لاستدرار عطفهم، لكن السلاح الأبيض كان أمضى وأسرع[١٠٦]. وهكذا أباد الأهالي

١٠٠) الجمهورية، عدد ١٠٦٥ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "وحشية المعتدين".
١٠١) وثائق الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، بلاغ حربي رقم (٣٢)، المصدر السابق؛ الأهرام، عدد ٢٥٥٣٩ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد صامدة للغزو"؛ رابح لطفي، المصدر السابق، ص١٤٠.
١٠٢) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٧٨.
١٠٣) حسن أحمد البدري وفطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص ص٣٥٨، ٣٥٩.
١٠٤) وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، بلاغ حربي رقم (٣٢)، المصدر السابق؛ وزارة الخارجية، المصدر السابق، ص١٦٩.
١٠٥) الأهرام، عدد ٢٥٥٣٩، المصدر السابق؛ المساء، عدد ٤١ في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٨، "من صميم المعركة".
١٠٦) المساء، عدد ٤٠، المصدر السابق.

(ISSN : 2536 - 9555)

وعناصر الجيش جنود المظلات التي ألقى بها العدو مرة بعد أخرى. وأذاعت قيادة العدو في قبرص أن القوات الهابطة أُبيدت(١٠٧).

وإزاء ذلك؛ قرر العدو إنزال مظليين بأعداد قليلة في مناطق بعيدة عن نيران البنادق، لكي يتسللوا للمدينة وتبدأ المعركة على الأرض(١٠٨). فقام بإنزال جنود غرب المطار، واتخذوا من سوره ساترا، فكانوا بعيدين عن مرمى بنادق رجال الحرس الوطني الذين يكمنون في مكان غير بعيد في (المزرعة) و(الجبانة)، ولم يتقدموا للتصدي لهؤلاء حتى لا تنكشف مكامنهم فتستهدفهم الطائرات. ولم يطل انتظارهم، ففوجئوا بفوج من المظليين يحاول الهبوط في المطار، لكن حملت الرياح بعضهم قرب المساكن الشعبية بحي المناخ، فتلقفهم النساء بالعصي والسكاكين والآلات الحادة، واستطاعت إحداهن قتل أكثر من جندي بيد الهون. أما من هبط داخل المطار فكان في مرمى بنادق المقاومين، الذين أسرعوا للاشتباك معهم، فبادرت القوات المحتمية بسور المطار بنجدة زملائهم(١٠٩). وقد استشهد بعض المقاومين، فاستشهد العقيد حسن توفيق في خندقه بالجبانة(١١٠).

وقام العدو بتعزيز قواته مجددا، فأذاعت الميكروفونات أن جنودا هبطوا في الرسوة وبورفؤاد. ولما كانت الرسوة أقرب؛ اندفع إليها رجال المقاومة، واستعملوا الدراجات للوصول(١١١). وقد لجأ المهاجمون إلى خدعة، فأنزلوا براشوتات تحمل دمي هيكلية، ولم يستطع رجال المقاومة تمييزها، فبادر العدو بإنزال ٥٠٠ جندي(١١٢). وقد اشتبك الأهالي معهم، فصرح الجنرال كيتلي بأن قواته تخوض معارك عنيفة مع حاملي البنادق وجنود المشاه، وأن عدد من الفرنسيين قد أُصيب(١١٣).

ولم يختلف موقف المظليين الفرنسيين في بورفؤاد عن رفاقهم في الرسوة، فكانوا عاجزين عن التقدم لخوض المعركة الدائرة على الضفة الأخرى للقناة في بورسعيد، إذ

١٠٧) القاهرة، عدد ١١٠٢ في ٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "جنود المظلات يهبطون في ٣ مواقع ببورسعيد"؛ المساء، عدد ٣١ في ٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "إبادة قوات العدو الهابطة في بورسعيد"؛ بنت النيل، عدد ١٣٤ في ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "بنت النيل السياسية".
١٠٨) المساء، عدد ٤٤ في ١٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥.
١٠٩) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص ص١٢٦، ١٢٧.
١١٠) أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٥٧.
١١١) روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تقرير آخر من بورسعيد".
١١٢) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٢٧؛ محمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص٣٢.
١١٣) وزارة الخارجية،المصدر السابق، ص١٧٨؛ سمير صادق، المصدر السابق، ص ١٩٧.

كان بعض رجال المقاومة يكمنون على الضفة الغربية للقناة يتربصون بمن يحاول عبورها من بورفؤاد(١١٤).

هكذا انطلقت المقاومة بصورة تلقائية، وقد روى أحد شهود العيان لصحيفة المساء إنه عندما انتشرت الأخبار أن الأعداء ينزلون بالمظلات عند الكامب جنوب بورسعيد، هرع الشباب إلى هناك، وقضوا على مجموعة من المظليين، ثم قيل إن مجموعة تحاول النزول عند كوبري الهويس، فاندفعوا إلى هناك، فلم يجدوا إلا هياكل ودمى، ثم تردد أن المظليين نزلوا عند بحيرة المنزلة، ولما توجهوا إلى هناك وجدوا عددا من الجنود الإنجليز قد سقطوا في البحيرة، فخاض رجال المقاومة في مياه البحيرة، وانقضوا عليهم، وكان يمسكون بهم ويغرقونهم في المياه، ومن نجا كان يلوذ بالفرار بعيدا(١١٥).

وقد رأى أحد المواطنين إن رصاصة خسارة في جسد جندي فرنسي هابط فقتله بالسلاح الأبيض. وكان ضمن من تم أسرهم جندي إنجليزي، وكان يشعر أن مجيئه لمصر لن يكون نزهة كما قيل له، فكتب ورقة بتاريخ حياته ووضعها في جيبه، وذيلها بعبارة (سأحارب في مصر ولست أدري لماذا ولكنني أشعر أنني لن أعود)(١١٦).

وتكرر في الرسوة ما حدث في الجميل، فأجهز المقاومون على كثير ممن نزولوا. وشهدت معركة الرسوة بطولات؛ فقد رابط شوقي خلاف عند الكوبري، وظل يطلق النار حتى استُشهد(١١٧). وكان البمبوطية(١١٨) والصيادين وعمال الميناء والجزارين والمكاريين ضمن قائمة الأبطال، فكان الجزارون يستعملون السكاكين والعربجية يستعملون الكرابيج(١١٩). ولم يتقاعس أصحاب الظروف، فمحمد الذي فقد ساقه في الحرب العالمية الثانية، لم يمنعه عجزه عن الاشتراك في المقاومة، فقفز في إحدى سيارات اللوري مع جيرانه إلى حيث تهبط قوات العدو، فأصيب ونُقل إلى المستشفى(١٢٠).

---

١١٤) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص ص١٢٧، ١٢٨.
١١٥) المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "مدبولي الذي أغرق ٤٠ عسكري إنجليزي".
١١٦) روز اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣٠، "عائدون من بورسعيد بقلم عبد المنعم صبحي".
١١٧) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٨.
١١٨) هم تجار البحر الذين يتعاملون مع السفن العابرة في القناة، وقد عُرفت تلك المهنة منذ افتتاح القناة، فكانوا فور رؤيتهم لسفينة ترابط يتجهون لها بمراكب صغيرة يبيعون ما معهم من بضائع، والبمبوطية يتقنون عدة لغات وبرعوا في البيع والشراء فوق السفن.
١١٩) المساء، عدد ٤١، المصدر السابق؛ روز اليوسف، عدد ١٤٨٥، المصدر السابق.
١٢٠) الجمهورية، عدد ١٠٦٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٨، "بطولات – اليوم أو غدا".

(ISSN : 2536 - 9555)

ونظرا للأهمية الإستراتيجية لموقع الرسوة جنوب بورسعيد حيث يوجد خزان المياه الذي يتحكم في شرب المدينة، استمات الفرنسيون للسيطرة عليه وأنزلوا قوات جديدة، فاحتلوا منطقة الرسوة ووابور المياه خلف قوات المقاومة. وللضغط على الأهالي، قاموا بقطع المياه والكهرباء عن المدينة. وفي الثالثة والربع عصرا، وفي نفس الوقت الذي نزل فيه الفوجان السابقان بمنطقة الرسوة، كان فوج من الفرنسيين (٤٠٠ – ٥٠٠ جندي) يهبط في منطقة بعيدة عن الدفاعات، في منطقة الجلاء جنوب بورفؤاد والمقابلة للرسوة. واحتموا بمنازل الأجانب، واستطاعوا تجميع بعضهم[١٢١].

وفي غضون ذلك عاد العدو وأسقط مجموعة أخرى في مطار الجميل والرسوة، لكنهم ظلوا محصورين في المناطق التي نزلوا فيها بسبب المقاومة[١٢٢]. كما قام بعملية إبرار جوي بالهليكوبتر للاستيلاء على الأهداف الرئيسية وتأمينها. وحلقت مئات الطائرات من قاذفات القنابل وحاملات الجنود في سماء المدينة، فكانت الأولى تطلق قنابل محدثة دخانا كثيفا لتتمكن الثانية من إنزال الجنود في ستار هذا الدخان[١٢٣]. كما قُطعت المواصلات التليفونية، فصرح وزير الدفاع البريطاني أن جنود المظلات قطعوا خطوط التليفون بمجرد نزولهم بورسعيد[١٢٤].

ومع إن أمل القوات المعتدية من إنزال جنود المظلات كان إضعاف الروح المعنوية للشعب ووأد المقاومة، فإن هذا لم يحدث، فقد كان المواطنون بالمرصاد للهابطين. وكان يجوب بورسعيد عربات بميكروفونات ترشد الأهالي عن مكان نزول جنود المظلات، وتناشد الأهالي عدم تصديق أية شائعات يروج لها العدو، وترشدهم عن طريق وقاية أنفسهم من قذائف العدو[١٢٥]. واعترف متحدث باسم القوات المعتدية أن مقاومة الأهالي

١٢١) الجمهورية، عدد ١٠٥٣ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "القتال مستمر في بورسعيد"؛ روزا اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "عائدون من بورسعيد"؛ المساء، عدد ٤١ في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٨، "من صميم المعركة"؛ حسن البدري وفطين أحمد، المرجع السابق، ص ص٣٥٨، ٣٥٩؛ محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٢٨.

١٢٢) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٠.

١٢٣) هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٥؛ شهدي عطية ، المصدر السابق، ص١٧٧.

١٢٤) الأخبار، عدد ١٤٣٦ في ٧ فبراير ١٩٥٧، ص١، "٧٧ ألف جندي بريطاني شاركوا في العدوان على بورسعيد".

١٢٥) الجمهورية، عدد ١٠٥١ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "مكبرات الصوت توجه الأهالي إلى أماكن سقوط المظلات"؛ روزا اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "عائدون من بورسعيد بقلم عبد المنعم صبحي".

أذهلتهم، وتعجب من أن صبية بين ١٢ و١٦ عاما يحملون السلاح ويهاجمون بشجاعة جنود المظلات المدربين على الحرب. فمن مطار الجميل إلى إلى الجبانة إلى حي المناخ إلى شارع محمد علي، كانت الجموع تتدفق بالسلاح والقنابل والعصي، ولم تُرعبهم أسراب الطائرات أو تُخيفهم قوات المظلات الهابطة في كل مكان(١٢٦).

وجدير بالذكر إنه منذ اشتدت الغارات في صباح ٥ نوفمبر، ووجد البورسعيديون المظليين يهبطون أمامهم؛ تأججت الحماسة الوطنية في نفوسهم، وانتظموا في المقاومة، وذهب بعضهم إلى قسم ثالث، وناشدوا المأمور أن يعطيهم ما لديه من أسلحة احتياطية. ففعل ووقفوا بجانب أفراد الجيش والبوليس، وفي إحدى الخنادق القريبة، كان يربض ثلاثة جنود من الحرس الوطني، ولما استُشهد اثنان جراء القصف، تقدم اثنان من الأهالي وأخذا مكانهما(١٢٧).

وبلغ الحماس أقصاه في الحي العربي الذي يعيش فيه معظم تجار بورسعيد، وقد التف كثير من الناس حول شاب مثقف وكانوا يهتفون (تحيا مصر، الموت للأعداء)، ولما جاءت الأخبار أن جنود الأعداء هبطوا بالمظلات على الساحل تمهيدا للزحف إلى الحي الإفرنجي، وفي التاسعة كان الحي كله بعد مشاورات قليلة في طريقه إلى الأعداء وعلى رأسهم الحاج رمضان تاجر الثوم بالحي، وبدأ الأهالي يضعون متاريس على مداخل الشوارع، واستعملوا أخشاب المنازل المهدمة وجذوع النخيل، وعلى ناصية كل شارع كان يقف مدفع مضاد للطائرات(١٢٨).

وانخرط في المقاومة الشعبية عبد العال الشناوي الذي يقطن مع أسرته في عزبة فاروق قرب بحيرة المنزلة. وهذا آخر خرج لعمله، ولما رأى الجنود نازلين بالمظلات، انضم للمقاومة، وظل يقاتل، ولما عاد يطمئن على أبنائه، وجد زوجته مضروبة بالرصاص، والنار مشتعلة في المنزل، فلم يمنعه ذلك من مواصلة القتال(١٢٩). كما تطوع معظم أصحاب اللنشات والبحارة والصيادين(١٣٠). وهذا أحد رجال مدفعية الساحل أصيب

١٢٦) الجمهورية، عدد ١٠٥٥ في ١٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "شباب بورسعيد أذهلوا القوات المعتدية"؛ المساء، عدد ٤٠، المصدر السابق.
١٢٧) آخر ساعة، عدد ١٩٥٠ في ٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص٨، "قصة بطولة".
١٢٨) روز اليوسف، عدد ١٤٨٤، المصدر السابق، ص٣٠، "عائدون من بورسعيد".
١٢٩) الاثنين والدنيا، عدد ١١٧٨ في ٧ يناير ١٩٥٧، ص ص٢٨، ٢٩.
١٣٠) الجمهورية، عدد ١٠٦٩ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "خيبة أمل في البر والبحر يا إيدن، أرادها دنكرك فكانت ستالينجراد".

(ISSN : 2536 - 9555)

برصاصة في ساقه، ورفض أن يحمله زملاؤه للمستشفى، وأمرهم أن ينصرفوا للمقاومة ويعطوه بندقية، وظل يقاوم حتى آخر طلقة وآخر قطرة من دمه[١٣١].

واشترك مرسي عزام صاحب صيدلية المحطة والبالغ ٥٠ عاما وابنه البالغ ١٤ عاما في القتال. وقاتل الريس محمد المصري أحد بحارة شركة إنجلش كوك مع أولاده الثلاثة وآخرين في مطار الجميل، ولما علموا بنزول جنود المظلات قرب مبنى المحافظة، توجهوا إلى هناك، وأخذوا يصوبون بنادقهم عليهم، فكثفت الطائرات غاراتها حول المبنى لحماية الهابطين، فعادوا إلى المطار، وأصيب أحد أولاده. كما اشتركت عائلة بأكملها في القتال، تلك التي تقطن المنزل رقم ٣٢ في المناخ[١٣٢].

وانخرط الصحفي مصطفى شردي في المقاومة الشعبية مع أقرانه الشبان، وكانت أمه كسيحة تنتظره مع أطفالها في المنزل. ولما كانت النار تأكل البيوت الواحد تلو الآخر، عاد وحمل أمه على عربة يد ونقلها وأشقاءه بعيدا، ثم عاد إلى زملائه. ولما اقتربت النار من المنزل الذي وضعها فيه، عدا مرة ثانية ليحملها بعيدا، وقد ناشدته أن يعود إلى زملائه ويترك أشقاءه الصغار يدفعون العربة. ورأت الأم مسجدا، فطلبت من أطفالها أن يحملوها داخله. وقد حرص شردي أن يوثق جرائم الأعداء، فكان يرتدي جلبابا يُخفى تحته كاميرا، وراح يلتقط صور المجازر في بورسعيد[١٣٣].

وانضم الشاب عادل زكي مندور إلى المقاومة الشعبية، ورابط في حي الإفرنج، وظل يتبادل النار مع المعتدين حتى خر شهيدا. وقد عثر والده على جثته، فحمله ليدفنه، ثم عاد ليواصل دوره في المقاومة، فكان يتربص للجنود الإنجليز ويطعنهم بمطواة. أما السيدة حميدة محمود سلامي فكان لها ابن عمره ٢٢ عاما، تزوج قبل عدة أشهر، ثم قرر حمل السلاح والدفاع عن مدينته، فجُرح وجرى اعتقاله وتعذيبه حتى فاضت روحه[١٣٤]. كما أصيب كمال مروان في ساقه[١٣٥]. وكان كثير من المصابين يعالجون بالمستشفى ثم يخرجون للاشتراك في المقاومة، ثم يعودون[١٣٦].

---

١٣١) سمير صادق، المصدر السابق، ص٢٠٢.
١٣٢) روزا اليوسف، عدد ١٤٨٤، المصدر السابق؛ المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "البورسعيدي الذي أغرق ٤٠ جندي".
١٣٣) سمير صادق، المصدر السابق، ص ص٢٠٤، ٢٠٥.
١٣٤) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، " قصص البطولة في بورسعيد"؛ رابح لطفي، المصدر السابق، ص١٤٨؛ بريماكوف، المصدر السابق، ص٣٦.

وضربت النساء بورسعيد أروع الأمثلة، فكُن يستخدمن ما تصل إليه أيديهن لضرب العدو. ولم يفرق رصاص المعتدين بين رجل وإمرأة؛ فقد أُصيبت فتاة في العشرين من عمرها برصاصة في العمود الفقري، وتسبب لها ذلك في شلل نصفي، ورغم حالتها الحرجة، لم تكن تكف عن الكلام عن المعركة(١٣٧). ورفضت كثير من السيدات مغادرة مدينتهن(١٣٨). فعندما قصف المعتدون منزل فاطمة إبراهيم، ذهبت إلى المستشفى ووضعت طفلها، وقد أصيب زوجها، فرفضت مغادرة المدينة وأصرت على البقاء لمساعدة الجرحى، واعتبرت نفسها أختا لكل بطل، وكانت تتنقل بين المستشفيات(١٣٩).

ولم يتقاعس المسجونون، فلما قُصف السجن، وأُصيبت زنزانتان بالدور العلوي، ومات عشرون مسجون، طلب رجال المقاومة من الرائد علاء نائب مأمور السجن، فتح السجن حتى لا يموت من فيه. وخطب أحد رجال المقاومة فيهم إنه سيتم فتح السجن ليخرجوا، ويلتقوا عند تقاطع شارعي كسرى والدقهلية، وينضموا للدفاع عن المدينة. وبالفعل أُطلق سراح ٧٥٠ سجينا، ولم يتقاعسوا عن المساهمة في المقاومة(١٤٠). وكان نصفهم قد شارك في قتال الإنجليز في منطقة القناة قبل ١٩٥٤، وكانت التهم الموجهة إليهم سرقة سلاح الإنجليز ومهاجمة معسكراتهم لنهب مخازنها، ومن ثم كان بينهم ثأر، ولما أُفرج عنهم، راحوا يبحثون عن السلاح، وانطلقوا يقاتلونهم(١٤١).

ولم تكن البطولة حكرا على أحد، فالكل شارك في القتال وفي تحمل الأعباء الأخرى، فالشيوخ لم يهاجروا جميعا، وتشبث بعضهم بمدينته، ولم يطق أن يراها تُحتل، ويؤكد ذلك الدور الذي قام به حامد الألفي الذي تجاوز السبعين عاما. فكان يعمل ٢٤

---

١٣٥) الأخبار، عدد ١٤٢٧ في ٢٨ يناير ١٩٥٧، ص٥، "بورسعيد تضمد جراحها".
١٣٦) الأهرام، عدد ٢٥٥٩٧ في ٣ يناير ١٩٥٧، ص٤، "بورسعيد تنجو من الأوبئة".
١٣٧) بنت النيل، عدد ١٣٦ في فبراير ١٩٥٧، ص٧٦، "بورسعيد الباسلة"؛ شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٧٩.
١٣٨) آخر ساعة، عدد ١١٥٤ في ٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص٢٢، "٧٢ ساعة وسط القنابل والرصاص".
١٣٩) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، " قصص البطولة في بورسعيد - فاطمة التي تحدت جيوش بريطانيا وفرنسا".
١٤٠) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥١؛ روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تقرير آخر من بورسعيد".
١٤١) الاثنين والدنيا، عدد ١١٨٧ في ١١ مارس ١٩٥٧، ص١٧، "قصة لا ينساها مأمور سجن بورسعيد". روى القصة البكباشي أحمد سعد الدين مأمور السجن، وأكد أن هؤلاء السجناء لم يفكروا بعد ذلك في الفرار، وسلموا أنفسهم، بعدما أسهموا في حركة المقاومة.

(ISSN : 2536 - 9555)

ساعة وكأنه شابا، يساعد المقاومة ويسعف المصابين، وقاد رجال الإسعاف لنقل المصابين ودفن الشهداء، واتخذ من إحدى سيارات الإسعاف مركزا متحركا، فكان ينطلق غير مكترس بالرصاص الذي ينهال من جميع الجهات، عازما على إنقاذ الجرحى وجمع الجثث. وبالرغم من إصابة كثير ممن كانوا معه من رجال الإسعاف، لم يتراجع(١٤٢). كما لعب دورا في إخفاء رجال المقاومة داخل المستشفيات، فكان يُلبسهم زى رجال الإسعاف، بحكم أنه كان رئيسا للجنة الإسعاف(١٤٣).

وفي غضون ذلك نشط الطابور الخامس، لتضليل الجماهير بإدعاء نزول العدو في أماكن معينة. ففي شارع كسرى، وقف شخص يُشيع أن الإنجليز نزلوا في شارع الحميدي، مع إنه يبعد عن الأول ٢٠ مترا، فيثير بذلك الذعر بين الناس، فيطلقون الرصاص بشكل عشوائي. ولذا كان لابد من مناشدة الناس بضبط النفس وعدم تصديق الشائعات والمحافظة على الذخيرة(١٤٤).

على أية حال ظلت المعركة دائرة، والشباب يركض صوب كل عملية إنزال، ويتمترسون بأسلحتهم تحت البواكى ووراء أعمدة التراسينات وفوق أسطح المنازل(١٤٥). وأمام ذلك زادت القوات المعتدية من وحشيتها، فالثابت إنها كلما لقيت مقاومة استبد بها الجنون، فقد رأت قيادتها مضاعفة هجماتهم، ونجم عن ذلك تخريب كبير في المدينة، وارتفعت الأنقاض ١٥ مترا، حسبما ذكر مراسل مجلة التايمز الأمريكية. وكانت الطائرات تستهدف بوحشية المدافعين وناقلات الجنود، فقد هاجمت طائرتان ناقلة جنود

١٤٢) الأخبار، عدد ١٤٢٧ في ٢٨ يناير ١٩٥٧، ص٥، "بورسعيد تضمد جراحها"؛ مصطفى الشكعة وفؤاد ، المصدر السابق، ص١٦١.

١٤٣) اليوم السابع، ٥ ديسمبر ٢٠٠٨، "العائلة التي حاربتها المخابرات الإنجليزية". ولد محمد حامد الألفي في دمياط، حفظ القرآن، ثم التحق بالمدرسة التجارية الفرنسية، وعمل كمساريا لترام بورسعيد الذي كان يسير بشارعي الثلاثيني وأوجيني، وأنشأ مطبعة القنال، ثاني مطبعة في القنال بعد مطبعة المستقبل. وشارك في ثورة ١٩١٩، وأُختير سكرتيرا للجنة الوفد ببورسعيد، وتم انتخابه نائبا في مجلس النواب مدة ١٥ عاما ضد رغبة القصر. أنشأ جمعية الإسعاف، والجمعية التعاونية الاستهلاكية لمحاربة جشع التجار، وأسهم في إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية، وجمعية دفن الموتى. ورغم اختلافه مع رجال ثورة يوليو بسبب موقفهم من الأحزاب، ظل محافظا على وفديته، ولم يتوقف عن أداء دوره الوطني إلى أن وافته المنية في سبتمبر ١٩٦٧.

١٤٤) كمال القلش، المصدر السابق، ص٢٠.

١٤٥) قاسم عليوة، خمس وخمسون عاما على انتصارات ١٩٥٦، ٢٥ ديسمبر ٢٠١١، على موقع http://www.portsaidhistory.com

في منطقة المناخ، وتمكن اثنين من الزحف وتفادي الإصابة، ولما كانتا تحلقان على ارتفاع منخفض، صوب أحدهما مدفعه إلى إحداهما فأوقعها بعدما أصاب قائدها(١٤٦).

وتولت الطائرات مهمة دك المدينة وإشعال الحرائق، فكانت تطلق الصواريخ مشتعلة على المنازل الخشبية في حي المناخ، وتضرب مخازن الأخشاب ومستودعات البترول ومخازن شركة شل وطريق السكة الحديد والكبائن الخشبية وكل ما هو قابل للاشتعال، فاشتعلت النار في أرجاء المدينة. كما استهدفت الأهالي الذين كانوا يحاولون مغادرة المدينة عبر بحيرة المنزلة(١٤٧).

وروى أحد رجال المقاومة عن ذلك اليوم، أن الطائرات ملأت سماء بورسعيد، وكانت تُلقي بالجنود في جميع الجهات في وقت واحد خاصة في منطقة الجميل والمطار، في حين كانت قاذفات القنابل تحلق على ارتفاع منخفض فوق المنازل وفي الشوارع، وتُلقي ما تحمله كأنها تريد التخلص من حمولتها؛ فتهدمت كثير من المنازل وتحولت إلى أنقاض مات تحتها كثير من النساء والشيوخ والأطفال. وكان الناس يهرولون في الشوارع يفرون من المنازل المشتعلة ويتجمعون في قلب المدينة أو عند بحيرة المنزلة، نساء بملابس النوم، ورجال بملابسهم الداخلية، أطفال على الأكتاف، إمرأة عجوز يحملها ابنها. وبعض العائلات حاصرتها النيران داخل المنازل، فكانوا يقفزون من الشرفات(١٤٨).

هكذا كان المشهد العام في ٥ نوفمبر مرتبك، المعارك مستعرة والحرائق مشتعلة، والناس موزعون بين صد العدوان وإطفاء الحرائق، فكانوا يندفعون بجرادل المياه وشكائر الرمل، وهرع رجال الإطفاء إلى بحيرة المنزلة ليشفطوا منها المياه لاستخدامها في الإطفاء. وانقطعت المواصلات بين بورسعيد وبورفؤاد، حيث ضُربت المعدية، فاستخدم الناس مراكب صغيرة لعبور القناة إلى بورفؤاد للاطمئنان على ذويهم، فانقلب أغلبها من

١٤٦) روز اليوسف، عدد ١٤٨٤، مصدر سابق؛ القاهرة، عدد ١١٢٤ في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "مجلة التايم تصف معركة بورسعيد".
١٤٧) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٧٨؛ أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٥٨.
١٤٨) مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص ص٢١، ٢٢؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٩، ١٨.

(ISSN : 2536 - 9555)

تكالب الناس أو القصف[١٤٩]. وكان بلاغ القيادة الأعداء قد ذكر أنه تم تنفيذ ٥٠٠ غارة، ولم يذكر ما نجم عنها من قتل وتدمير وحريق[١٥٠].

وبينما كان الأمر على هذا النحو، تابع الأسطول ضرب المدينة، وحاول العدو إنزال قوات من البحر، فاقترب عدد من الزوارق من الشاليهات والكبائن. ولكن مدفع الهاون الذي كان في حديقة المحافظة دك الكبائن التي احتمى بها الجنود الإنجليز. وردا على ذلك استهدفت أكثر من ٤٠ طائرة الموقع، وكثفت مدفعية الأسطول ضربها. في حين اجتهد الأهالي في عمل متاريس، فأخرجوا المناضد وأشياء أخرى وضعوها بعرض الشارع، ووقف رجال المقاومة خلفها[١٥١].

وهكذا لم تتوقف المقاومة، وانفجرت المدينة الصغيرة من تحت الأنقاض ومن فوق أسطح المنازل الباقية، وعلى المقاهي في شارع الحميدي وغيره. والملفت إنه في كل مكان وسط رجال المقاومة تجد صبيا يحمل السلاح[١٥٢]. وجرت محاولة لإعادة توزيع السلاح، فامتلأت الجدران بشعارات: "لا تبخل على زميلك المُدرَب بالسلاح، الوطنية أن تُعطي زميلك الأكثر تدريبا سلاحك، لا تُطلق رصاصتك في الهواء، اقتصد في الذخيرة"، فأمكن بعد جهد إعادة توزيع السلاح[١٥٣].

ولم يخل الأمر من محاولة الأعداء إقناع المدافعين عن المدينة بالاستسلام، ففي الواحدة ظهرا اتصل محسن حافظ المهندس بمحطة المياه بالرسوة، بحسن رشدي رئيس المباحث، وأخطره أن شاتو جوبير قائد قوات المظلات في الرسوة يريد الاجتماع بالمسئولين للتفاوض معهم في شروط تسليم المدينة لتجنيب المدنيين الويلات. فأبلغ رشدي المحافظ محمد رياض، فاتصل بالعقيد صلاح الموجي قائد القوات ببورسعيد[١٥٤]، فرفض إرسال أحد، وأبلغه أن يُسلم نفسه إليه ومن معه[١٥٥].

---

١٤٩) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٢٣، ٢٤، ٢٧.
١٥٠) وزارة الخارجية، المصدر السابق، ص١٢٦؛ الحسيني محمد الديب، في ذكرى العدوان، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٢، ص٦٤.
١٥١) المساء، عدد ٣٢ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "قواتنا مسيطرة على بورسعيد"؛ عدد ٤١، المصدر السابق، "من صميم المعركة".
١٥٢) المساء، عدد ٣٦ في ١٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢، "بورسعيد هيبة شعب وثورة الإنسان"، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الدبابات البريطانية كانت تحمل العلمين المصري والروسي".
١٥٣) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٧٧.
١٥٤) حسن أحمد البدري وفطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٣٦٠.
١٥٥) عبد اللطيف البغدادي، المصدر السابق، ص٢١٠.

وظل الموجي يدير المعركة برباطة جأش حتى عصر ذلك اليوم، لكن ساءت الحالة بالمدينة بعد قطع المياه والحرائق، وانتشار الجثث في الطرقات مما ينذر بانتشار الأوبئة. فأفضى المحافظ للموجي أن الأهالي باتوا يتحملون العبء الأكبر، ومن الضروري إعادة المياه ودفن الجثث وإطفاء الحرائق، وبين القتلى إنجليز وفرنسيين، ولا مانع من الاتصال بقيادتهم للاتفاق على وقف مؤقت لإطلاق النار(١٥٦).

والملاحظ إن الموجي عندما روى هذا الموقف بعد عدة سنين، لم يُشر إلى أن الأمر كان بناء على توجيه المحافظ، حيث قال: "أوجعني الجثث تملأ الشوارع ومياه الشرب والكهرباء مقطوعة تماما والأهالي يستغيثون بي وأنا لا أملك لهم ولا لجنودي ولا لنفسي شيئا، وأحمد سعيد في الإذاعة يتحدث عن انتصارات وهمية أحرزتها قواتنا على قوات الغزو، والاتصالات بالقيادة مقطوعة، فلم يكن أمامي سوى أن أتصرف كمسئول عن آلاف الجنود والمدنيين. فاتصلت بقائد قوات الغزو(١٥٧).

على أية حال، كُلف رشدي بالاتصال بجوبير لتحديد موعد ومكان المقابلة. ولم ينجح في الاتصال به إلا في الخامسة، واتفق معه على المقابلة شمال كوبري السكة الحديد بالرسوة، وأن يرفع الوفد المصري علما أبيض. وبعد مداولة بين الموجي والمحافظ وحسن البنا الحكمدار وآخرين، تقرر أن يذهب الموجي والحكمدار ورشدي.

وصل الموجي ورفاقه، ودخلوا قاعة فيها جوبيير وبتلر ومراسلي الصحف الأجانب. وتحدث بتلر عن ضرورة وقف إطلاق النار حقنا للدماء، ثم أشار إلى صاغ بريطاني ليقرأ من ورقة مكتوبة شروط التسليم، مع تجميع أفراد الجيش دون سلاح قرب الرسوة، ويُصدر بتلر أمر بحظر التجوال ليلا. ثم سلم بتلر الموجي الورقة، ولما وجد عنوانها "شروط التسليم"، أكد رفضه بحث أية شروط للتسليم، وأن المدينة لم ولن تستسلم، وأن البحث يجب أن يكون حول اتفاق وقف مؤقت لاطلاق النار. فعدل باتلر العنوان إلى "شروط إيقاف النار" فاعترض الموجي فعدله بتلر إلى "شروط الإيقاف المؤقت للنار". ولفت الحكمدار نظر بتلر إلى اعتداء جنوده على الأهالي بوحشية واستهداف سيارات

١٥٦) حسن البدري وفطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٣٦٠.
١٥٧) الصباح، في ٢١ يناير ٢٠١٣، "السادات أدخل اللواء الموجي المعتقل عشان يلهف الفيلا بتاعته". روى الموجي هذا إلى الشاعر أحمد فؤاد نجم عندما كانا معتقلين معا في سجن القلعة عام ١٩٧٠. وقد توفي اللواء متقاعد صلاح الدين الموجي في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢.

(ISSN : 2536 - 9555)

الإسعاف، وأن قطع المياه يعرقل عمل الإنقاذ. وانتهى اللقاء بالاتفاق على وقف إطلاق النار ٤ ساعات تنتهي في التاسعة والنصف، فطلب بتلر مدها ساعة، ليتمكن من إخلاء جرحاه. وقبل مغادرته، أكد الموجي أن القتال سيُستأنف بعد الهدنة(١٥٨).

وقد تواترت الأنباء أنه تم الاتفاق على هدنة، فتبلبلت الأفكار في بورسعيد، وجاءت الأوامر من القاهرة بالدفاع عن المدينة(١٥٩)، فاتصل عبد الحكيم عامر بالموجي بعد منتصف الليل، وأبلغه بالإنذار السوفيتي، وطلب منه أن يصمد ٢٤ ساعة(١٦٠).

وعلى إثر ذلك خرجت سيارة مصلحة الاستعلامات في منتصف الليل تجوب شوارع المدينة تنبه الأهالي إلى استمرار المعركة والاستماتة في الدفاع، وأشارت إلى الإنذار السوفيتي، وكان المتحدث يصرخ "الروس على الأبواب، قاوموا، روسيا معنا". فاندفع رجال المقاومة للشاطئ للتصدي لأية قوة تحاول دخول المدينة(١٦١).

وعلى الجانب الآخر، اعتبرت القوات المعتدية الاتفاق نصرا لها، فتم إبلاغ كيتلي في قبرص بالاتفاق، فبشر رئيس الوزراء وهو في مجلس العموم، فأعلن في غرور أنه تم إسقاط مظليين في بورسعيد وأنها سلمت، وإن مباحثات تجري مع الحاكم العسكري للمدينة حول شروط التسليم، وأن القوات تتقدم جنوبا في اتجاه الإسماعيلية(١٦٢).

هكذا قلبت قيادة القوات المعتدية اتفاق وقف إطلاق النار المؤقت إلى استسلام، فأعلن إيدن هذا على الرغم من الخسائر التي منيت بها قواته، ومع أن أهالي بورسعيد لم تضعف عزيمتهم، ولم يستطع العدو التقدم لاحتلال باقي المدينة(١٦٣). كما أن الاتفاق لم يزد عن كونه اتفاقا لوقف إطلاق النار خمس ساعات. وهكذا استمرأ إيدن أن يكذب على أعضاء مجلس العموم وعلى العالم ليكسب جولة خاسرة، فالحقيقة إن بورسعيد لم تستسلم بل قاومت وأحبطت خطط أكبر دولتان استعماريتان كانتا تعتقدان أن الغزو سيتم في

١٥٨) حسن البدري وفطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص ص٧٣، ٧٤، ٣٦٠ - ٣٦٢.
١٥٩) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٧٨.
١٦٠) حسن أحمد البدري وفطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٢٦٣.
١٦١) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥٥؛ شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٧٨.
162) House of Commons, Deb 5 November 1956 VoL 558, p.1970 , Egypt Military Situation; F.R.U.S, Op Cit., P. 1015, Telegram from the Embassy in United Kingdom, London, November 6, 1956.
١٦٣) الجمهورية، عدد ١٠٥١ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "قواتنا مسيطرة على بورسعيد"؛ محمد برج، المرجع السابق، ص٣٢.

ساعات. وحتى وإن صح إدعاء إيدن، فإن الهدنة التي عقدها المحافظ لم تُوقف المقاومة لأن سيطرته لا تسري إلا على القوات النظامية، مما يعني أن قوات الاحتلال لن تهنأ خاصة بعد أن توفر السلاح.

ومن جانبها أذاعت الحكومة المصرية بيانا نفت فيه ما ذهب إليه إيدن، وأكدت أن القوات التي هبطت في بورسعيد جرى محاصرتها، وأن المعركة مازالت جارية(١٦٤).

وبوجه عام جاءت الهدنة في مصلحة القوات المعتدية، فأنزلت مجموعة من المظليين، مستغلين الظلام الذي يخيم على المدينة(١٦٥). كما بدأت تقترب من الشاطئ البوارج وحاملات الطائرات والجنود والمعدات، تمهيدا لإنزال الجنود والمعدات، واستمرت البوارج تطلق قذائفها على المدنيين في فترات متقطعة طوال الليل(١٦٦). باتت المدينة ليلة صعبة حوصرت بحرا وجوا.

وتزامنا مع ذلك، بدأت محاولات فردية لتنظيم المقاومة الشعبية، فالرقيب محمد نصر الدين شحبر، الذي عاد إلى مكان إقامته بشارع أبو الحسن، طلب من شباب الشارع المسلحين، تشكيل فرقة مقاومة للدفاع عن حي العرب وشارعهم، خاصة أن الأسلحة كانت منتشرة، فتقدم له ١٧٦ شابا، قام بتدريبهم على السلاح بصورة سريعة، على الشاطئ، وأخذ هؤلاء الشباب مواقعهم، كل فردين في فناء بيت من بيوت شارع محمد علي انتظارا لقدوم القوات المعتدية. ورابطوا في أماكنهم حتى جاء منتصف الليل وتسلل بعض القوات عن طريق فتح مساحة في سور الميناء أمام رصيف دليسبس، ووصل أفرادها إلى ميدان المنشية، فبدأ الهجوم من شباب شارع أبو الحسن، وقضوا على مجموعة من ٨ أفراد، وتم الاستيلاء على أسلحتهم وكارنيهاتهم، ووضعت جثثهم وسط شارع سعد زغلول أمام محل باتا، حتى يرى الجنود زملاءهم(١٦٧)

وهكذا مضى يوم الاثنين ٥ نوفمبر، ومع أن المقاومة لم تفتر، احتفظ العدو بمراكزه في الجميل والرسوة وبورفؤاد، وبالرغم من تعرض المدينة لغارات عنيفة، شارك الأهالي

---

١٦٤) المساء، عدد ٣٢ في ٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "بلاغ رسمي بريطاني فرنسي يكذب إدعاءات إيدن".
١٦٥) كمال القلش، المصدر السابق، ص٢٦.
١٦٦) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤١.
١٦٧) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١١.

(ISSN : 2536 - 9555)

قواتهم المسلحة في قتالهم للعدو. وجدير بالذكر أن صمود بورسعيد في الأيام الماضية، ساعد على تدخل روسيا وتوجيهها إنذارا إلى بريطانيا وفرنسا، لكنه تأخر إلى مساء ٥ نوفمبر.

وجاء يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر، وفيه عزم العدو على اقتحام الشاطئ في حماية نيران الأسطول والطائرات. ويروي مصطفى شردي أنه كان مع المقاومين يرقد خلف متراس يواجه الشاطئ، وطلع الفجر بأسراب من الطائرات والبوارج، فأدركوا أنهم مقبلون على معركة كبيرة وسيضطرون لقتال من منزل إلى آخر(١٦٨). وكان محقا؛ فنتيجة للمقاومة في اليوم السابق؛ سيطرت على قادة الغزو رغبة في إخضاع المدينة بشتى السبل، وانجلى الموقف عن أسطول ضخم، وبدى البحر قبالة بورسعيد وكأنه زُرع بقطع حربية، وكان رجال المقاومة يرون الجنود يتحركون على متنها(١٦٩).

على أية حال استيقظت المدينة على حماس شديد، وكان لسان حال الناس إن بولجانين هدد بضرب لندن وباريس. وشهدت المدينة نشاطا كبيرا، فكان الناس يضعون الصناديق والأثاث والمقاعد ليسدوا الشوارع ويقيموا المتاريس، والكل يحمل السلاح(١٧٠).

واعتبارا من الخامسة والنصف صباحا تابعت القوات المعتدية عدوانها، وبدأ التمهيد النيراني بمدفعية الأسطولين وبمشاركة الطائرات، وفي السادسة والربع وصلت موجات الغزو الأولى إلى الشاطئ(١٧١). واصطفت السفن على مسافة ٣٥٠٠ متر من الشاطئ، وتقدمت سفن الإنزال، وانقسمت مجموعتين، اتجهت الأولى التي تحمل اللواء الثالث فدائيين من ثلاث كتائب إلى شرق بورسعيد، واتجهت الثانية والتي تحمل اللواء ١٩ فدائيين من كتيبتين إلى الغرب، وراحت كل مجموعة تُنزل حاملات الجنود البرمائية وعائمات الدبابات(١٧٢). وذكر أحد رجال المقاومة أن عدد قطع الأسطول بما فيه من حاملات الطائرات التي كانت تقف قبالة الشاطئ ١٠٥ قطعة، وقرابة ٢٥٠ طائرة(١٧٣).

---

١٦٨) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص١٤، "قصة من معركة بورسعيد مات ثم ظهر في القاهرة بقلم مصطفى شردي".
١٦٩) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٣٤.
١٧٠) كمال القلش، المصدر السابق، ص٢٨.
١٧١) هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٦.
١٧٢) حسن أحمد البدري وفطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٢٧٢.
١٧٣) مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص٢٤.

وبدأت الطائرات والبوارج تدك المناطق القريبة من الشاطئ[١٧٤]. وأصيبت معظم المباني، فقد أصابت قذائف جدران مدرسة الثانوية للبنات، وقرر رجال المقاومة التمركز فيها، فامتلأت بالذخيرة، وطلبت ناظرتها فاطمة سعد مدفع للدفاع عن المدرسة[١٧٥].

وفي السابعة صباحا أنزل العدو قوات جديدة من المظليين[١٧٦]، وبدأت قوارب الإنزال تشق الماء، وعلى مسافة قرب الشاطئ بدأ إنزال الجنود، فكانوا يغوصون في الماء إلى نصفهم للوصول إلى الشاطئ. ووقعت اشتباكات مع جيوب المقاومة، حيث استقبلهم عناصر القوات المسلحة والمقاومة التي كانت ترابط في الكبائن الخشبية على الشاطئ، وقتلوا عددا من هذه القوة التي كانت تضم ٥٠٠ فرد. فوجهت البوارج مدفعيتها إلى الكبائن، ثم بدأ إنزال قوة ثانية، ولما تصدى لها المتحصنون في الكبائن، قررت القوات المعتدية نسف الكبائن، فاستشهد من فيها[١٧٧].

وجاء في بلاغ القيادة المشتركة للقوات المعتدية رقم (٢٧) في صباح ٦ نوفمبر أنه تم إنزال وحدات الكوماندوز في الفجر، نظرا لرفض الأهالي التسليم الليلة الماضية، والآن كلها على الشاطئ، وتتعاون مع قوات المظلات التي أُنزلت الليلة الماضية[١٧٨].

ومع إنه لم يكن ممكنا منع اقتراب سفن العدو؛ نظرا لتدمير مدفعية الساحل، قوبلت محاولة إنزال الجنود بمقاومة شرسة، وسطر رجال المقاومة قصص البطولة، إحداها كان بطلها الشاب فوزي حجاب، الذي سبق وحارب الإنجليز في معارك القنال، وكان يهوى القبض على الجنود وقطع آذانهم وتركهم يعودون إلى معسكراتهم، ليشيعوا الخوف بين زملائهم. وأحيانا كان يهاجم المعسكرات ويحصد أرواح بعض الجنود، وكانت كلمته (عمر الشقي بقي). وعندما بدأ العدوان انضم للمقاومة، وفي ٦ نوفمبر كان قائد مجموعة تمركزت في مواجهة الشاطئ، تضم ستين شابا، وقام بتوزيع أفراد مجموعته،

---

١٧٤) الأهرام، عدد ٢٥٥٤٠ في ٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "معارك عنيفة".
١٧٥) الأخبار، عدد ١٤٢٧ في ٢٨ يناير ١٩٥٧، ص٥، "بورسعيد تضمد جراحها – أخبار الناس في بورسعيد".
١٧٦) وزارة الخارجية، المصدر السابق، البلاغ الحربي رقم (٣١)، ص١٦٩.
١٧٧) إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص ص٢٩، ٣٠؛ هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٦.
١٧٨) وزارة الخارجية، المصدر السابق، البرقيات الحربية، بلاغ رقم ٢٧ في ١٩٥٦/١١/٦، ص٢٥١.

(ISSN : 2536 - 9555)

ورقد في المقدمة مع خمسة في خندق حفروه. وعندما اشتد القصف، أيقنوا أن الغزو اقترب، وأن ناقلات الجنود ستتقدم، وبالفعل اصطفت على مقربة من الشاطئ في مجموعات من الجميل غربا إلى الميناء شرقا. وكان تركيز إنزال الجنود في المنطقة التي يرقد فيها حجاب، وعندما اقتربت أول ناقلة من الشاطئ، أخرج مصحفا ووضعوا أيديهم عليه وأقسموا ألا يتراجعوا شبرا وألا يعبر الإنجليز موقعهم إلا على جثثهم.

وصلت إحدى ناقلات الجنود للشاطئ وخرج منها دبابتين وخلفهما عدد من الجنود، وتكرر الأمر على طول الساحل، وعلى طول الساحل أيضا كانت مجموعات المقاومة. وارتدت ناقلات الجنود ولم يستطع الجنود أن يتقدموا. وتلقت سفينة القيادة إشارة بأن مجموعة من الجنود ودبابتين تم القضاء عليها في المنطقة التي تتولى مجموعة حجاب الدفاع عنها. فظهرت ثمانين طائرة في منطقة الشاطئ، وعادت السفن تدك المدينة، وخلال ساعتين تحول حي المناخ إلى كتلة من النار. فاطمئن الجنود، وصدرت إليهم الأوامر بالتقدم عشرين مترا، فكلفتهم هذه الأمتار الكثير.

فقد أصابت حمى القتال الأهالي وكان بعضهم يرفض أوامر الضباط بتغيير مواقعهم التي يحتمل أن يتم قصفها خلال دقائق، فرفض حجاب ورفاقه أن يتخلوا عن موقعهم، وأكد إنه لن يبرح مكانه وسيموت في خندقه. وجاءت الطائرات واستهدفت المواقع التي تنبعث منها المقاومة، واقتربت ناقلة جنود من الشاطئ، وخرجت منها دبابة يسير الجنود خلفها بحذر، فألقى حجاب عليها قنبلة، لكنها ظلت تتقدم صوب الموقع الذي يرقدون فيه، ومرت القوة الإنجليزية قرب جثته وجثث زملاءه الشهداء كما أقسموا[١٧٩].

وكثف العدو عمليات الإنزال الجوي، وكثف الأسطول مدفعيته على الساحل لتأمين الإنزال البحري، وقد أحدثوا ستارا كثيفا من الدخان على طول الساحل، واستطاع العدو إنزال قواته وعدد من الدبابات، واحتل بعد قتال عنيف مناطق متفرقة على الساحل[١٨٠]. وبالتزامن مع محاولة النزول على الشاطئ، رست بعض البوارج على رصيف دليسبس،

١٧٩) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص١٤، "قصة من معركة بورسعيد مات في المعركة ثم ظهر في القاهرة بقلم مصطفى شردي". ظل حجاب على قيد الحياة، وقام بسد جروحه بالرمال ليمنع النزيف، وقد وجده أحد بوابي المنازل التي على الشاطئ، ونقله إلى المستشفى وبعد أيام هرب للقاهرة، وبينما كان شردي يمر بشارع فؤاد بالقاهرة لمحه، فاستوقفه، فروى له ما حدث.
١٨٠) عبد اللطيف البغدادي، المصدر السابق، ص٢١٠.

وتم إنزال كتيبة من الفدائيين الإنجليز وأورطة دبابات، ووقع قتال بين القوات والمواطنيين، وسقط جرحى وقتلى من الجانبين(١٨١).

وتوالى وصول القوات للشاطئ، وتابعت زحفها باتجاه المباني الموجودة على امتداد الشارع الموازي للبحر. وزحفت القوات المعتدية حتى شارع كتشنر (٢٣ يوليو)، للدخول لقلب المدينة(١٨٢). واحتلت جميع مباني طرح البحر الواقعة شمال شارع ٢٣ يوليو(١٨٣). واستولت القيادة البريطانية على فيلا عبد الرحمن لطفي، وجعلتها مقرا لها، كما جعلت فندق بيت الحرية مركزا لها(١٨٤). كما تقدمت قوات المظلات التي هبطت في مطار الجميل، والتقت القوتان. وقامت القوات البريطانية بإبرار كتيبة اقتحام جوي بالهليوكوبتر داخل المدينة من أجل احتلالها(١٨٥). وكانت معركة الشاطئ ضارية، تكبد المهاجمون عددا من جنودهم، وتكبد المدافعون أيضا كثيرا من الجرحى والشهداء. حيث كانت المقاومة شديدة، فكلما زاد الأعداء بطشا زاد المقاومون عزما للدفاع عن مدينتهم(١٨٦).

---

١٨١) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٢٨؛ رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٢.

١٨٢) إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص ص٢٩، ٣٠؛ حسن البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص٢٧٤.

١٨٣) مجلة بورسعيد الجديدة، عدد ١٥ في سبتمبر ١٩٨٦، ص٤٨، "بانوراما على شارع ٢٣ يوليو". شارع ٢٣ يوليو أطول شوارع المدينة، يمتد من شرقها إلى غربها، ولم يكن له أي وجود، حيث كان المنطقة الواقعة شمال المدينة مغمورة بمياه البحر. وظهر الشارع عام ١٨٩٢ بعد انحسار مياه البحر شمالا تاركة أرضا أُطلق عليها طرح البحر، وأصبح الشارع الحد الشمالي للمدينة، وأطلق عليه شارع ٤١. ثم شارع الغربية، وشارع كتشنر في يوليو ١٩١٦، ثم تغير اسمه إلى شارع الملك، وبقيام ثورة عام ١٩٥٢ أطلق عليه ٢٣ يوليو.

١٨٤) روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تقرير آخر من بورسعيد"، ص٩، "مقر قيادة الأعداء". ولد عبد الرحمن لطفي عام ١٨٨٩، عمل بمصلحة البريد وشركة دوري الانجليزية لصيانة السفن، وخلال الحرب العالمية الثانية امتلك الشركة، وأسس شركة ويلز لتمويل السفن. اشترى البيت الحديد (استرن اكستشنج). وكان من المؤسسين للنادي المصري، وانتُخب عضوا أول مجلس إدارة ١٩٣٢ /١٩٣٣. وفي سبتمبر ١٩٣٥ انتُخب عضوا بالمجلس البلدي. وتولي رئاسة النادي في ديسمبر ١٩٤٦. وفي نهاية الأربعينات قام بشراء قطعة أرض في شارع كيتشنر، وقام ببناء فيلته، وبجوارها أسس عام ١٩٥٤ مسجدا، واشترى الثريا والكريستال والرخام من إيطاليا. وتبرع في مارس ١٩٤٤ لإنشاء مستشفي مبرة فوزية، فمنحه الملك الباشوية. وافتتحت المبرة في ٢٠ مارس ١٩٤٨. وفي أكتوبر ١٩٥٥ استقبل حسين الشافعي في افتتاح ملعب النادي. تُوفى ودُفن بمسجده في ١٩٧٠/٩/١٦. (http://www.almasryclub.com)

١٨٥) محمد كمال، المصدر السابق، ص١٢٨؛ هيئة البحوث العسكرية، الجيش المصري وسبعة آلاف، ص٢٥٦.

١٨٦) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٣٥، ١٣٦؛ إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص٢٥.

(ISSN : 2536 - 9555)

وكانت القوات المعتدية قد وجهت في الثامنة صباحا إنذارا إلى الأهالي بالكف عن المقاومة والتسليم، لكن لم يُجد، وقبيل الظهر وجهوا إنذارا آخر(١٨٧). وخاب مجددا ظن قيادة القوات المعتدية التي توهمت أن المدينة ستنهار بعدما احترقت، وكانوا يؤكدون لجنودهم أنهم في نزهة(١٨٨).

ووجهت قيادة العدو طلبا إلى محافظ المدينة بالاستسلام خلال ٢٤ ساعة، وأنذرته بنسف بورسعيد، فرفض، وأصدر أوامره بمواصلة القتال من شارع إلى شارع(١٨٩). واقترح فينشتي ماريري قنصل إيطاليا على ستوكويل قائد القوات البرية ونائبه أندريه بوفر، الحضور للقنصلية للبحث عن مخرج يجنب المدينة الخراب، وجلس ستوكويل يكتب شروط الاستسلام لعرضها على المحافظ والموجي. ولما رفضا عاد ستوكويل إلى سفينة القيادة ليباشر إدارة المعركة ولإصدار التعليمات للقضاء على المقاومة النشطة(١٩٠).

وفي سبيل ذلك؛ لجأ ستوكويل إلى الخداع، فقرر استغلال حالة الإعجاب بالإنذار الروسي لإضعاف روح المقاومة لدى الأهالي، فأوعز للطابور الخامس أن يُشيع أن الأسطول الروسي يتدخل الآن، ولا داعي للمقاومة، وأن الطائرات الروسية تلتحم مع طائرات العدو(١٩١). وطافت سيارات تنادي "يا أهل بورسعيد وصلت الإمدادات الروسية والمتطوعون. توجهوا للشاطئ لاستقبال الدبابات الروسية والطائرات". فاندفع الأهالي نحو الشاطئ وشارع محمد علي الممتد من الشاطئ حتى معسكر الجولف، ووقفوا على الأرصفة ينتظرون القوات الروسية(١٩٢).

وفي الواحدة والنصف ظهرا تهادت من ناحية البحر دبابتان ترفعان العلمين المصري والروسي، أمامهما عربة بمكبر الصوت تقول "يا أبطال بورسعيد جاءتكم النجدة، الجيش الروسي جاء يدافع عن مدينتكم"، فانخدعت الجماهير وانطلق التصفيق والهتاف. وسارت

١٨٧) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥٤؛ مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص٢٦.
١٨٨) روز اليوسف، عدد ١٤٨٧ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٢، "قصة مقاومة".
١٨٩) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٢؛ بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣٠.
١٩٠) حسن البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص ص٢٧٦، ٢٨٤.
١٩١) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٩.
١٩٢) المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الدبابات البريطانية كانت تحمل العلمين"؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٢٨.

الدبابتان وسط الحشود حتى نهاية شارع محمد علي، فكانت المدينة على موعد مع مجزرة، حيث استدارات الدبابتان، وحصدتا أرواح مئات المدنيين. وساد الارتباك وتدافع الناس، فدهس بعضهم بعضا(١٩٣). وهكذا انكشفت المؤامرة البشعة، وأحاط الناس بالدبابات في شارع محمد علي، واستولى رجال المقاومة على خمس، وكلفهم هذا بعض الشهداء(١٩٤)، منهم الشاب عسران محمد عسران، فدهسته دبابة بعدما ألقى قنبلة عليها. فأخفى شقيقه السيد الخبر عن والده، وأبلغه أنه شقيقه غادر المدينة(١٩٥).

وعلى إثر تلك المجزرة، احتلت الدبابات رؤوس بعض الشوارع، وبدأت دبابات أخرى تنزل للشاطئ، وتتجمع في أول شارع محمد علي ناحية البحر، لتشق طريقها مخترقة الشارع المذكور. فتابع الأهالي ورجال المقاومة القتال، وأيقنوا هدف تقدم القوات، فعمدوا إلى عرقلة تقدمها في شارع محمد علي ليشهد معركة عنيفة(١٩٦).

وفي غضون ذلك كان الرصاص ينهال من مبنى المحافظة حيث يرابط بعض الجنود واستطاعوا لمدة ساعة عرقلة تقدم القوات، فتم استدعاء الطائرات، فدكت ميدان إبراهيم باشا ومبنى المحافظة(١٩٧).

واستأنفت الكتيبة ٤٢ سيرها باتجاه شارع محمد علي للاتصال بالفرنسيين بمنطقة الرسوة. ولم يكن اقتحام الشارع سهلا، فبمجرد دخول القوة الإنجليزية إليه، تعرضت لوابل من الرصاص والقنابل من نوافذ وأسطح المنازل على جانبي الشارع، وردت الدبابات بقصف المنازل. واستغرقت الكتيبة ساعتين في عبور الشارع الذي لا يزيد طوله عن كيلو متر، فأمر ستوكويل بتعزيز الكتيبة بالكتيبة ٤٥، وبأورطة دبابات(١٩٨). ومع ذلك استمرت معركة شارع محمد علي ثماني ساعات، فكان البورسعيديون يستهدفون الدبابات

١٩٣) أحمد الرفاعي، المصدر السابق، ص٩؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥٥؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٢٩.
١٩٤) إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص ص٢٧، ٢٨، شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٧٩.
١٩٥) حمدي جمعة، السيد عسران وحياته تاريخ المقاومة، مقال منشور على منتديات الفكر العربي (http://www.alfikralarabi.net).
١٩٦) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٣٦؛ محمد كمال، المصدر السابق، ص١٢٩.
١٩٧) مجلة بورسعيد الجديدة، مصدر سابق. كان ميدان إبراهيم باشا ملئ بالأشجار والنخيل، وكان يطل على الميدان مبنى محافظة عموم القنال والمحكمة والنيابة ومبنى الصحة، وحديقة البلدية (الباشا) ويتوسطها كشك موسيقى وجنوبها كازينو البيل فيو. وأمام الميدان على البحر ثكنات الجيش ومعسكرات تدريب الفدائيين.
١٩٨) حسن البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص ص٢٧٧، ٢٧٨.

(ISSN : 2536 - 9555)

بمدافع البازوكا والقنابل. فأفشلت المقاومة خطة المهاجمين، فلم يستطيعوا الوصول إلى منتصف الشارع، وأخذت الدبابات تتحرك يمين ويسار الشارع، فاختل نظامها[١٩٩].

ولم يكن من المتوقع أن يستشهد في معركة شارع محمد علي الحاج أحمد الزند الذي تجاوز السبعين عاما، وكان يقطن بعمارة (قطاوي باشا) عند تقاطع شارع محمد علي وصفية زغلول (أوجينى) على بعد ٥٠ مترا من المسجد العباسي. وقد خرج إلى بلكونة منزله المطلة على شارع محمد علي، وكان يسير فيه دبابتين وخلفهما الجنود، وعلى مسافة قريبة يكمن خمسون من رجال المقاومة خلف سور المسجد الذي يرتفع عن الأرض نصف متر، كما كان هناك عشرون شابا يحاربون خلف متراس من الخشب والحجارة أقيم بعرض الشارع. وقد أخذت الدبابة تقذف المتراس، فيسارع رجال المقاومة بإعادة رص الحجارة والأخشاب. وإزاء ذلك لم تستطع الدبابات التقدم، ولم يستطع الجنود الاحتماء بالمنازل، حيث كان الرصاص ينهال عليهم من الشوارع المحيطة. وبينما كان الحاج أحمد ونجله (بيومي) يتابعان صمود رجال المقاومة، لمح ولديه صالح وسامي وسط المقاتلين. وفجأة توقف إطلاق النار، ولم يعد يُسمع إلا طلقات الرصاص المنبعثة من الشوارع الأخرى، وأزيز الطائرات التي تستهدف أنحاء متفرقة من المدينة.

وفي غضون ذلك حاولت قوة إنجليزية من ٣٠٠ جندي التقدم في شارع محمد علي من ناحية الشاطئ، فاندفع من وسط أنقاض المحافظة شابا ألقى قنبلة يدوية على الجنود، فسقط بعضهم، لكنه سقط شهيدا. وتابعت القوة تقدمها، وظل الذعر يتملك أفرادها من احتمال وجود فدائيين بين أنقاض المحافظة حتى وصلوا إلى زملائهم المحاصرين عند تقاطع شارعي محمد علي وصفية زغلول. وإزاء صمود المقاومة، قرر الإنجليز إنزال عدد من الجنود بطائرة هليكوبتر فوق سطح أحد المنازل خلف خط دفاع المقاومين؛ لقنصهم من الخلف، واقتحام الشارع دون مقاومة.

وشعر الحاج أحمد بحركة فوق سطح المنزل، وبعد دقائق اقتحم مجموعة من الجنود منزله، وطلب أحدهم، وكان يتحدث العربية بصعوبة، من الحاج أحمد وأولاده وضع أيديهم فوق رؤوسهم. وتفقد قائد الدورية المنزل، ورصد بمنظار المقاومين خلف المتراس، والتفت إلى بقية الجنود وتحدث معهم، فأدرك الحاج أحمد الخطة الخبيثة التي يريدها

١٩٩) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٣٧.

لاقتحام الشارع، وتملك الرعب منه خاصة أن ولديه ضمن من سيتم قنصهم من الخلف. وعندما هم أحد الجنود بقنص المقاتلين، هوى الحاج أحمد عليه بعكازه، فاستدار وأطلق النار عليه، ثم استدار لقنص المقاومين، لكنهم تنبهوا لاطلاق النار عليهم من الخلف، فأخلوا موقعهم(٢٠٠). وهكذا كان الشارع شاهدا على البطولة والخديعة.

على أية حال تقدمت الكتيبة ٤٢ في شارع محمد علي، وظلت متعثرة في منتصفه، نظرا لعنف المقاومة التي تنطلق من المنازل الواقعة غربي الشارع. وكانت الكتيبة ٤٥ تواجه مقاومة في بداية الشارع، فألقت الطائرات عبوات أشعلت الحرائق في المنازل التي تنطلق منها المقاومة(٢٠١)، ومع ذلك تابع جنود الجيش والأهالي صمودهم(٢٠٢).

وتحولت معركة شارع محمد علي إلى قتال شوارع مع الشعب الرابض في المنازل وفوق الأشجار وخلف البواكي، وكانت معركة رهيبة لكنها غير متكافئة. وكانت هناك بطولات كثيرة منها عملية الأشجار، حيث انتشر بعض أفراد المقاومة فوق أشجار حديقة الباشا المواجهة لمبنى المحافظة، وانتظروا مرور إحدى الدبابات وخلفها بعض الجنود، ففتحوا عليهم النيران، ولاذوا بالفرار قبل أن توجه الدبابات فوهاتها إليهم. ثم انتقلوا لشارع عبادى يمينا، فكمن بعض الفدائيين خلف البواكى عند المنزل٤٥ في انتظار مرور إحدى الدوريات، فقتلوا جنديان، وتمكنت الدورية من قنص يسرى بخيت، وتقدم شقيقه ليحمل جثته فاستُشهد، فخرجت والدتهما من المنزل واتجهت صوب الجثتين، وهم جنود الأعداء بقنصها، فبادر مجموعة من الفدائيين بإطلاق النار من إحدى النوافذ على الجنود. وقد وقفت دبابة عند تقاطع شارع محمد علي والحميدي أمام الكنيسة، وأطل الضابط منها برأسه ليراقب المنطقة وخلفه دبابة أخرى، فانطلق عبد الله إبراهيم وألقى قنبلة داخل فتحة الدبابة، فاسهدفته الدبابة الثانية(٢٠٣). كما تقدمت خمس دبابات لاقتحام شارع عباس، فعرقل الأهالي تقدمها، واعتلوا إحداها بعدما استولوا عليها(٢٠٤). ويذكر

٢٠٠) آخر ساعة، عدد ١١٥٧ في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٢٢، "قصص من المعركة، بقلم مصطفى شردي".
٢٠١) حسن البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص٢٧٩.
٢٠٢) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص١١٢؛ بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٢٩.
٢٠٣) أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٥٩؛ البوابة الالكترونية لمحافظة بورسعيد.
٢٠٤) سمير صادق، المصدر السابق، ص ١٩٧.

(ISSN : 2536 - 9555)

نصر الدين شحبر أن أفراد المقاومة تكدسوا نحو شارع كسرى ومحمد علي، وتمكنوا عن طريق بعض القذائف المضادة للدبابات من تدمير ست دبابات بريطانية[٢٠٥].

والحق أن سلاح الطيران كان الحاسم في معركة شارع محمد علي، ولولاه لتحول الشارع إلى مقبرة لجنود العدو. فكانت الدبابات عندما تتعرض لحصار المقاومة؛ تتصل لاسلكيا بقيادتها، انقذونا نحن في منطقة .....، وفي الحال تدك الطائرات المناطق القريبة لتشتيت المقاومين[٢٠٦].

وقد أبلى الكل بلاء حسنا، فالطفل ولاء عبده أبو الخير الذي أهداه والده في عيد ميلاده (ريكوردر)، لم يسجل عليه سوى خطبة عبد الناصر في الجامع الأزهر، فكان يضع الريكورد في نافذة منزله بشارع ٢٣ يوليو والظاهر، ليُسمع المقاومين أسفل المنزل صوت عبد الناصر وعباراته الحماسية. ظل هكذا حتى تعرضت العمارة التي يقطن فيها للقصف وغادرت أسرته المدينة[٢٠٧].

وإزاء الموقف المرتبك يومي ٥ و ٦ نوفمبر، ولما لم يكن بالإمكان كتابة وتوزيع منشور سريع، بادر بعض المواطنين بكتابة شعارات على الحوائط: "كونوا لجان المقاومة"، "لا تستمعوا إلى الإذاعات الاستعمارية، "العالم معنا"، "النصر لنا". ورأى بعضهم إفشال خطط الطابور الخامس وإلقاء خطب حماسية في الأهالي، وإرشادهم إلى الأماكن الصحيحة التي فيها العدو[٢٠٨]. وقام بهذا إبراهيم هاجوج وأحمد شوقي المرجاوي، وهما من العناصر الشيوعية التي نشطت منذ بدء العدوان[٢٠٩]، فاستقلا سيارة مكشوفة من سيارات مصلحة السواحل، وكانا يقفان في كل شارع يوجهون الناس، ويناشدونهم "لا تطلق رصاصة بدون هدف، كل رصاصة بإنجليزي، لن نسمح بمرور العدو، إذا دخل الإنجليز سيهتكون أعراضنا، لن نلقي السلاح". فباتت السيارة هدفا للعدو، فتم قصفها في شارع الحميدي، فاستشهد سائقها وعدد من الناس[٢١٠].

---

٢٠٥) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٤.
٢٠٦) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٣٧.
٢٠٧) الجمهورية، عدد ١٠٧٣ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "طالب يفضل الموت على تسليم خطبة عبد الناصر للأعداء".
٢٠٨) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص١٠.
٢٠٩) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٤١.
٢١٠) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٢١، ٢٢.

وفي الوقت الذي كانت فيه قوات العدو تجاهد للتوغل في المدينة؛ كان طلقات القناصة تدوي في الشوارع[٢١١]. فاحتل قناصة بريطانيين أسطح عدد من المنازل؛ ليؤمنوا تحركات قواتهم على الأرض، وفي منطقة حديقة سعد زغلول أمام رصيف فرقة المطافئ، استهدفوا مجموعة من الفدائيين من أعلى المنازل المجاورة. وكان معهم الفدائي اليوناني (بنايوتي مافرو ماتين) فرصد مكان القناصة، واحتمى بأحد البواكي، وأخذ يُطلق النيران عليهم، فاستشهد مع زملائه المصريين بعد أن تمكن من قتل أحد القناصة[٢١٢].

وكانت المنازل أهدافا، فكانت القوات العدو تقتحمها وتخليها من أهلها أو تهدمها، وتنقل الأثاث والأَسرة إلى مقر قيادتها[٢١٣]. كما باتت الكبائن الموجودة على الشواطئ أعمدة محترقة من الحديد، وأرض سوداء يغطيها حطام المفروشات وبقايا المسروقات من الأثاث[٢١٤]. وفضلا عن المنازل استهدفت القوات المعتدية المباني الحكومية، فنقلت المصالح أعمالها إلى دار البلدية[٢١٥].

وبينما كانت المعارك تدور وسط وجنوب بورسعيد؛ كانت الكتيبة ٤٠ تعاني في حي الإفرنج شرق المدينة في المنطقة المجاورة للميناء بين شارعي التحرير والسلطان حسين. وكانت مهمتها الاستيلاء على الجمرك وأحواض السفن بالميناء. ولم تجد مقاومة في شارع السلطان حسين الموازي لسور الميناء؛ لأن أغلب سكانه أجانب، ووصلت إلى مرسى معدية بورفؤاد جنوب الشارع. ولما انحرفت يمينا لتأمين القنصلية البريطانية، واجهت مقاومة، فبدأت الدبابات تدك المباني التي ينطلق منها الرصاص. وتابع جزء من الكتيبة سيره لاحتلال الجمرك، وتجمعت المقاومة في مبنى البحرية، وفي الساعة الرابعة تم استدعاء الطائرات لتدك المبنى، وتحول إلى أنقاض واستُشهد من فيه[٢١٦].

وحاول المقاومين التصدي للجنود المتدفقين من سور الميناء عند تقاطع شارع السلطان حسين ومحمد محمود؛ فتظاهروا إنهم رجال إسعاف ودخلوا إحدى المباني

٢١١) الأهرام، عدد ٢٥٥٤١ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "القناصة يعملون في بورسعيد الباسلة".
٢١٢) أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٥٩.
٢١٣) المساء، عدد ٤٦ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "المقاومة في كل مكان".
٢١٤) مجلة الشئون البلدية والقروية، السنة الأولى، العدد الثاني، نوفمبر ١٩٥٦، ص١.
٢١٥) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "قصص البطولة في بورسعيد".
٢١٦) حسن البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص ص٢٨٠، ٢٨١.

(ISSN : 2536 - 9555)

وأمطروهم بالرصاص[٢١٧]. وحاول الإنجليز السيطرة على شارع فؤاد (الجمهورية) بدبابة، فراحت تقصف من يحاول الاقتراب منها، وتمكن رجال المقاومة من الاستيلاء عليها وقتل من فيها. وحاول الأعداء استخدام المعديات لنقل الجنود من بورفؤاد، فاستطاع الريس مصطفى عبد العال تخريب إحدى المعديتين حتى لا يستغلهما العدو[٢١٨].

وخلال ذلك برز الطابور الخامس من الفرنسيين والإنجليز والمالطيين، فراحوا يطلقون النار على رجال المقاومة من منازلهم في حي الإفرنج، واحتمى جنود الأعداء بمنازلهم، مما اضطر رجال المقاومة إلى نسف بعض المنازل[٢١٩]. وقد سقط عدد من الشهداء، وأكثر من استشهدوا في ذلك الحي كانت إصاباتهم من الخلف؛ فعادل مندور الذي استبسل في الدفاع عن حي الإفرنج قتلته رصاصة من أحد المنازل التي يقطنها مالطيين[٢٢٠]. وروى الرقيب نصر الدين شحبر إنه عندما صدرت لهم الأوامر بالإنضمام إلى قوات المقاومة الشعبية، ترك وزميله عوض موقعهم قرب نادي الصيد، ووصلا إلى عمارة (جمال أبو علي) أمام مباحث أمن الدولة، ومكثا عدة ساعات قدم لهم بواب العمارة الطعام، ثم توجهوا إلى عمارة الدمياطي أمام حديقة فريال، وظلا فيها حيث كان يتم إطلاق النار على كل من يمشي في الشارع من قبل أُسر الطابور الخامس بالشرفات. فبالقرب من المستشفى الأميري أصابت عوض رصاصة انطلقت من الدور الثاني من عمارة الدكتور جلال الزرقاني، فلمح شحبر بندقية ممتدة من شرفة، فصعد وطرق الباب ليجد أسرة ملطية (زوج وزوجة وابن وابنة) فأطلق عليهم النار انتقاما لزميله[٢٢١]. ولكن لم يكن هذا موقف الأجانب عامةً، فقد لبى الإيطاليون دعوة قنصلهم للتبرع بالدم لمساعدة الجرحى[٢٢٢].

---

٢١٧) البوابة الالكترونية لمحافظة بورسعيد/ تاريخ بورسعيد (http://www.portsaid.gov.eg/art/history).

٢١٨) المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الدبابات البريطانية كانت تحمل العلمين المصري والروسي".

٢١٩) شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٧٩. قررت مصر منع رعايا إنجلترا وفرنسا من مغادرتها، فتأهبوا للسفر مع الرعايا الأمريكيين، ولكن تقرر منعهم من السفر ووضع ممتلكاتهم تحت الحراسة. آخر ساعة، عدد ١٩٥٠ في ٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص١٤، "علم أمريكا لا يحمي رعايا بريطانيا وفرنسا".

٢٢٠) عبد الرحمن برج، المصدر السابق، ص٢٩؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٩٦.

٢٢١) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٠.

٢٢٢) القاهرة، عدد ١١٤٩ ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "قنصل إيطاليا في بورسعيد يودع الإيطاليين".

وفضلا عن الصعوبات التي واجهتها القوات المعتدية في شارع محمد علي، لم يكن الزحف من ناحية البحر واختراق شوارع حي العرب للتسلل إلى قلب المدينة سهلا، فروى أحد رجال المقاومة أن زميله أبلغه أن خمس دبابات قادمة من ناحية البحر، فتجمع ٤٠ من أهل الحي، ومعهم عم محمود الذي شارك في معارك القنال، فكان على بعضهم أن يناوش الدبابات لتعطيلها عن اختراق الشارع، ويصعد بعضهم إلى أسطح العمارات ليلقي القنابل. وأخذت المجموعة الأولى وفيها عم محمود أماكنها في مواجهة الدبابات التي تتحرك ببطء ثم تقف وتحرك مدفعها يمينا ويسارا ثم تستأنف تقدمها. وراح أحد الأفراد يفكر في كيفية تعطيل الدبابة الأولى قبل أن تجنح يمينا وتفسح الطريق لأخرى لتسير بجوارها ليسدا الطريق، فأقنعه عم محمود صاحب الخمسين عاما أن القنابل لن تُجدي، وقررا أن يزحف اثنان على الرصيف بجوار الحائط نحو الدبابات التي كانت تقصف واجهات المنازل. وزحف الفدائيان واقتربا من الدبابة ووضعا حجرين داخل تروسها فتوقفت، وسدت الشارع على باقي الدبابات، وعندما رفع قائد الدبابة الثانية غطاء دبابته ليستحث زملائه في الدبابة الأولى على السير، تم قنصه، وألقى أفراد المجموعة الثانية القنابل على باقي الدبابات، فاختنق من فيها وخرجوا رافعين أيديهم[٢٢٣].

وهكذا أخذت المعركة تتحول إلى قتال شوارع، وفي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر تحصنت عناصر المقاومة الشعبية ومن تبقى من رجال القوات المسلحة في المنازل، واستمر القتال بعنف شديد من منزل إلى منزل[٢٢٤]. ودارت معارك كثيرة لعرقلة تقدم القوات المعتدية إلى قلب المدينة، فوقعت معركة في شارع الروضة وسعد زغلول أمام المسجد التوفيقي بعد تسلل بعض الجنود محاولين الدخول لوسط المدينة، فتصدى لهم رجال فرقة المقاومة بشارع أبو الحسن، وتم القضاء عليهم وأخذ سلاحهم[٢٢٥].

بطولة أخرى سطرها موظفو السنترال، فظلوا يؤدون دورهم، ولما هاجمت قوة السنترال، بادلهم العاملون به إطلاق النار، فبدأ الدبابات تدك المبنى، وتسلل إليه بعض رجال المقاومة، واستماتوا في الدفاع عنه. وطلب العدو منهم الاستسلام، ولما رفضوا،

٢٢٣) روز اليوسف، عدد ١٤٨٨ في ١٧ ديسمبر ١٩٥٦، ص٩، "خمس دبابات بقلم محمد صدقي".
٢٢٤) وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، بلاغ حربي رقم (٣٢)، المصدر السابق.
٢٢٥) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٥.

(ISSN : 2536 - 9555)

لجأ إلى الخداع، فرفع أحد الجنود راية بيضاء، فخرج للتفاهم معهم الموظف لبيب حنا ومعه أحد أفراد البوليس، ولكن أطلقوا عليهم النار، فقُتل الأول وأُسر الثاني. ثم تقدم جندي يريد وضع الراية على باب السنترال ليتوهم رجال المقاومة الذين يدافعون عنه من نوافذ المنازل المجاورة أن من بداخله استسلموا، ولكنهم تابعوا صمودهم. ولما كانت البنادق ملقاة على الأرض بجانب الشهداء، أسرعت عواطف التابعي فأمسكت بإحداها وأطلقت النار على الجندي البريطاني فأردته قتيلا، وتقدم آخر لتنفيذ الخديعة فأردته آمال أحمد سعد، وراحت فهيمة رضوان وسعاد زغلول تطلقان النار على الجنود بالخارج. وتوالى سقوط الشهداء من المدافعين عن المبنى، ولم يعد به إلا الفتيات الأربع وموظف التلغراف، وظلوا حتى وصل رجال المقاومة للدفاع عن المبنى الذي صمد ساعات[٢٢٦].

وبالرغم من أن سيطرة القيادة على المعركة أخذت تتضاءل بعد وقوع العميد الموجي في الأسر بمبنى الفنار[٢٢٧]؛ استمر القتال من شارع لآخر بصورة تلقائية، وكان الاشتباك أحيانا بالسونكي، وكان المهاجمون يقتحمون المنازل ويحتمون بها بعد قتل سكانها[٢٢٨]. ومع ذلك لم تتمكن القوات المعتدية من إحكام سيطرتها على المدينة، وقامت مدفعية الأسطول مجددا بضربها[٢٢٩]. وقامت طائرات بإلقاء منشورات تطالب جميع أفراد المقاومة الشعبية بتسليم سلاحهم[٢٣٠]. ومع ذلك استمر القتال طوال اليوم في بعض شوارع المدينة، وفي الساعة الثامنة مساء احتل العدو وابور المياه جنوبي بورسعيد وقام بقطع المياه عن المدينة، وأخذت قواته من الدبابات والمشاه تعمل على قطع الطريق الجنوبي لمدينة بورسعيد[٢٣١].

وفي حين كانت القوات تعاني من أجل تثبيت أقدامها في شوارع بورسعيد، ضاعفت القوات الفرنسية نشاطها في بورفؤاد، واهتمت بعزلها عن سيناء خشية تسلل

٢٢٦) المساء، عدد ٤١ في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تليفونات بورسعيد موظفوها يصلون القاهرة"، عدد ٤٤ في ١٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "٤ فتيات يدافعن عن مكتب التليفون ببورسعيد".
٢٢٧) حسن البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص ص٢٧٤، ٢٧٩.
٢٢٨) مذكرات إبراهيم هاجوج، المصدر السابق، ص٣١.
٢٢٩) الجمهورية، عدد ١٠٥٣ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "القتال مستمر ببورسعيد".
٢٣٠) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٣.
٢٣١) وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، بلاغ حربي رقم (٣٢)، المصدر السابق.

إمدادات[٢٣٢]. وقد ظل قائد بورفؤاد ومن معه يقاومون، حتى استُشهد أغلبهم. وقد طال بورفؤاد ما طال بورسعيد من الدمار، وامتلأت شوارعها المُشجرة بالحفر جراء القصف. ولم يخل الأمر من المواقف، فقد وجد أحد الأطفال أمام منزله ماسورة بندقية، ولما مر أربعة فرنسيين، صوب الماسورة نحوهم فرفعوا أيديهم، فارتبك الطفل وألقى الماسورة، فأمسكوا به ووجدوا الماسورة فارغة، فضحكوا وأعطوه شيكولاتة[٢٣٣].

وبينما كان القوات المعتدية عاجزة عن فرض سيطرتها بصورة تامة على المدينة، فوجئت بقرار وقف إطلاق النار من منتصف ليل ٦ نوفمبر بتوقيت جرينتش الثانية فجرا بتوقيت القاهرة، حيث أبلغت إنجلترا وفرنسا مجلس الأمن قبولهما القرار الصادر في ٢ نوفمبر، وأن تلزم قواتهما أماكنها ما لم تُهاجم[٢٣٤]. وجدير بالذكر أنه لولا صمود بورسعيد ما قبلتا القرارات التي لم توافقا عليها من قبل. فقد ضربت المدينة الصغيرة المثل في المقاومة الشعبية، وأفسدت خطط الاستعمار للاستيلاء السريع على مدن القناة.

وقد أرسل إيدن برقية إلى كيتلي يأمره فيها بالاستعداد لوقف اطلاق النار مع محاولة كسب أكبر مساحة ممكنة من رأس الشاطئ[٢٣٥]. وفي حين كان ستوكويل في سفينة القيادة يباشر إدارة المعركة ويبحث كيفية القضاء في الغد على المقاومة النشطة، وصلته برقية بوقف إطلاق النار ما لم يهاجم قواته أحد. وعلى الجانب الآخر أذاعت المقاومة الشعبية نداءً للأهالي بالتصدي للعدو إذا تقدم بعد الثانية صباح الأربعاء ٧ نوفمبر، وأن وقف إطلاق النار يعني أن يلزم مكانه ولا يتقدم[٢٣٦].

وبالرغم من قرار وقف إطلاق النار، طوقت القوات المعتدية المدينة، وتابعت عدوانها ضد المدنيين[٢٣٧]، فقد أرادوا قبل حلول موعد وقف إطلاق النار تضييق الخناق

---

٢٣٢) لواء أركان حرب محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٢٩.
٢٣٣) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٥٢ - ٥٤.
٢٣٤) الجمهورية، عدد ١٠٥٣، المصدر السابق؛ Year Book Of United Nations, Op. Cit, p. 31.
٢٣٥) هيئة البحوث العسكرية، المصدر السابق، ص٢٥٦.
٢٣٦) حسن البدري وفطين فريد، المرجع السابق، ص٢٨٤؛ سمير صادق، المصدر السابق، ص ١٩٦.
٢٣٧) وثائق الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، بلاغ حربي رقم (٣٣)، المصدر السابق؛ الجمهورية، عدد ١٠٥٣ في ٨ نوفمبر١٩٥٦، ص١، "العدوان مستمر"؛ وزارة الخارجية، المصدر السابق، بلاغ حربي رقم (٣٢)، ص١٧٠.

(ISSN : 2536 - 9555)

على المدينة بدباباتهم، واقتحام الحي الشعبي الذي تنطلق منه المقاومة. واستمروا في إشعال الحرائق في المباني التي اعتقدوا إنها أوكارا للمقاومة(٢٣٨).

ولتأديب المدينة المستعصية، لجأ ستوكويل لاستخدم مادة النابالم Napalm، وهي عبارة عن مسحوق تلقيه الطائرات وبمجرد اصطدامه بأي جسم يحرقه. واحترق جراء ذلك مناطق المناخ وعبادي وعباس والأمين، وظلت الحرائق تأكل المدينة طوال الليل. وروى مصطفى سالم أن طائرات العدو قامت برش المدينة بمسحوق أبيض، فاشتعلت النيران في المدينة(٢٣٩). وروى شهود عيان أن غالبية الحرائق نشبت جراء استخدام سلاحا جديدا، عبارة عن قذائف من البترول المجمد، تلقيها الطائرات فتتناثر محتوياتها في دائرة قطرها خمسون مترا، تشتعل فور ملامستها الهواء(٢٤٠). وساعد على انتشار الحرائق شدة الرياح وقطع المياه. وقد قام الأهالي بدور في إطفاء الحرائق، فقاموا بإبعاد الأخشاب والأقفاص وما يمكن أن يؤجج النيران(٢٤١).

واضطر كثير من السكان إلى مغادرة منازلهم إلى الشاطئ، وشُردت أُسر كثيرة في الشوارع، وكان معظم ضحايا الحرائق من الأطفال أو العجائز الذين لم يتمكنوا من النجاة. ولم ينقذ الموقف سوى الإرداة الإلهية، فشاء الله أن ينزل المطر ليطفئ الحرائق التي تعمد المعتدون عدم إطفائها(٢٤٢).

وقد كذب متحدث رسمي بلاغ القيادة الحربية البريطانية والفرنسية، وكذلك التقرير الذي أدلى به مولييه بمجلس الوزراء الفرنسي والذي ادعى فيه أنه القوات احتلت بورسعيد ومعظم مدن القناة قبل وقف إطلاق النار، وأن قواتهم موجودة جنوب بورسعيد والقنطرة مباشرة. فأكد المتحدث لأنه لا وجود لأي قوات معادية جنوب بورسعيد(٢٤٣).

---

٢٣٨) عبد اللطيف البغدادي، المصدر السابق، ص٢١١؛ أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٦٠.
٢٣٩) المساء، عدد ٤٦ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "المقاومة في كل مكان"؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٣٨؛ رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص ص١٤٢، ١٤٣.
٢٤٠) آخر ساعة، عدد ١١٥٣ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "السلاح السري الذي استخدمته القوات المعتدية". كان الملحق العسكري بالسفارة الأمريكية بالقاهرة في بورسعيد عندما بدأ العدوان، وأكد أن القوات استخدمت هذه القذائف التي اكتشفتها الولايات المتحدة
٢٤١) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص١٠، ١١.
٢٤٢) المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الدبابات البريطانية كانت تحمل العلمين"؛ شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٧٩.
٢٤٣) وثائق وزارة الخارجية المصرية، المصدر السابق، بلاغ حربي رقم (٣٣).

وهكذا انقضى يوم ٦ نوفمبر، وأسفر عن كثير من القتلى مدنيين وعسكريين. وقد استبسلت بورسعيد وانتزعت إعجاب الأعداء، فذكر صحفي فرنسي رافق الغزو؛ إنه وجد الأهالي يقاتلون بإصرار، وشبابا في الثانية عشر يحملون السلاح. وذكر كيتلي "قاتلنا شعبا استمات في الدفاع بإصرار وعناد"(٢٤٤). فقد أحبطت بورسعيد الحلم الذي ظل إيدن وموليه يرسمونه ثلاثة أشهر(٢٤٥).

على أية حال في صباح الأربعاء ٧ نوفمبر كانت رائحة الموت في كل مكان، الجثث متناثرة في كل مكان، لا يكاد يخلو شبرا من جثة حتى الأرصفة وأحواش المنازل والحدائق، والمستشفيات مكتظة بالقتلى والجرحى، وبعض الجثث لم تكن كاملة، عائلات بأسرها قُتلت غدرا، والدخان يتصاعد، والمدافع والعربات العسكرية محطمة هنا وهناك وداخلها جثث لمدنيين وجنود حرقتهم النيران. وكانت بقع الدم المنتشرة في كل مكان تتحدث عن قصص البطولة وفي وجهها الآخر تؤكد وحشية القوات المعتدية، وتحكي المأساة والمجزرة التي نفذتها، فقد كانت بورسعيد في الفترة من ٥ إلى ٧ نوفمبر كالسلخانات المعدة للذبح(٢٤٦).

وبدأ الأهالي يجمعون جثث ذويهم، وكان المشهد مأساوي، هذا يسأل عن أخيه أو ابنه، وهذه تسأل عن زوجها أو ابنها، فتأتي الإجابة بأنه استُشهد وأن جثته شوهدت في مكان ما. وكثيرا ما شوهدت عربات اليد يدفعها رجل أو إمرأة وفوقها جثة. وبصعوبة أمكن الحصول على بعض سيارات النقل وعربات الكارو فشُحنت بالجثث، وكانت تسير ودماء الشهداء تنزف منها، حيث كانوا يوارون التراب في الحدائق وملاعب الكرة بالنادي المصري(٢٤٧). وكانت الإدارة المحلية عاجزة عن مواجهة الأزمة، فظلت بعض الجثث في الشوارع، فتحرك الأهالي ونقلوها إلى الجبانة. وفي مشرحة المستشفى الأميري كان

٢٤٤) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٣.
٢٤٥) الجمهورية، عدد ١٠٦٥ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الجمهورية تروي قصة أنجح عملية للمدنيين".
٢٤٦) القاهرة، عدد ١١٤٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "بطولة مصر في بورسعيد"؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥٦.
٢٤٧) أصدر جمال عبد الناصر أوامره بإنشاء استاد المصري عام ١٩٥٤، وأناب حسين الشافعى لافتتاحه فى ١٦ أكتوبر ١٩٥٥، وارتبط تاريخ النادى بمعركة بورسعيد، فدُفن تحت ترابه مئات الشهداء. وبعد انتهاء الحرب أُعيد استخراج جثثهم مع باقى الشهداء الذين دفنوا فى الشوارع.

(ISSN : 2536 - 9555)

المشهد مأساوي، الجثث فوق بعضها، يأتي الناس تقلب فيها بحثا عن ذويهم. في حين حرصت قيادة العدو على سحب قتلاهم سريعا حتى لا يُعرف عددهم[٢٤٨]. وفي ٧ نوفمبر صرح وزير دفاع بريطانيا أن خسائرهم ٨٥ منهم ٢٠ قتيلا[٢٤٩] .

وقد صرح محافظ بورسعيد أن عدد القتلى الذين سجلوا في دفاتر الصحة يومي ٦ و ٧ نوفمبر بلغ ٧١٤، منهم ٦١ طفلا و٤٣ سيدة، وإن كثيرين دُفنوا بمعرفة ذويهم دون إخطار أو دُفنوا تحت الأنقاض أو غرقوا في بحيرة المنزلة، وإنه من المستحيل تعداد الضحايا[٢٥٠]. في حين تضاربت بلاغات العدو، فجاء في بلاغ رسمي أن الخسائر من المدنيين طفيفة، وصرح قائد بريطاني أن الخسائر بلغت المئات نتيجة لقتال الشوارع، وأن بين القتلى كثير من النساء والأطفال نتيجة قصف المدينة على إثر اشتداد المقاومة[٢٥١]. وقد كذب مراسل النيوزويك الأمريكية تصريحات العدو عن قلة الخسائر في المدنيين، وأكد أنه لم يشهد في حياته الصحفية هذا النوع من الغدر بالمدنيين[٢٥٢].

والحقيقة أن الموقف صباح ٧ نوفمبر كان مأساويا بشهادة الدبلوماسيين والصحفيين الأجانب، فوصف القنصل الألماني مسلك القوات المعتدية بأنه كان أسوأ من رجال العصابات[٢٥٣]. وذكر مراسل الديلي هيرالد الإنجليزية أنه قام بجولة فظيعة فرأى في كل زاوية جثث الموتى، والنساء نائحات يطفن بين الجثث باحثات عن أقاربهن. وأكد مراسل النيوزويك أن بورسعيد باتت كجرح مقزز، في مقابرها تبعثرت جثث الأموات التي لم يُقيض لهم قبر يرقدون فيه، وأن ردهات المستشفيات تضاء بالشموع، وغصت بالجرحى، وتكدست الجثث في حجرات الأموات[٢٥٤].

٢٤٨) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٤٩، ٥٢؛ الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٤٠.
٢٤٩) وزارة الخارجية، المصدر السابق، خسائر بريطانيا في مصر، ص٢١٧.
٢٥٠) القاهرة، عدد ١١٤٧ في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "مائة حادثة للإنجليز في بورسعيد"؛ بريماكوف، المصدر السابق، ص٣٦.
٢٥١) الجمهورية، عدد ١٠٥٦ في ١١ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "قتلى من النساء والأطفال".
٢٥٢) روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٩، "كلام الناس".
٢٥٣) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "مسلك القوات البريطانية أسوء من العصابات".
٢٥٤) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣٥.

فقد دمر المعتدون الأحياء الشعبية وقتلوا الكثير من المواطنين، وكان كل شبر في بورسعيد وبورفؤاد والمطار والجبانة ملطخ بالدماء[٢٥٥]، فشارع كتشنر البالغ طوله ٤ كم من طابية السلام شرق المدينة حتى الجبانة غربها، تعلوه أنقاض مئات الكبائن التي دُمرت – حيث كانت هذه البقعة أول ما وطئته أقدام المعتدين – وكانت هناك بقايا جثث وآثار دمار على الشاطئ. أما حي المناخ، فقد دُك عن آخره واتمحى من الوجود، وأصبح لا يُرى فيه إلا أطلالا، وشُرد ساكنوه من العمال والفقراء، وتحت أنقاضه دُفنت جثث كثير من الأطفال والنساء[٢٥٦]. ولم يختلف المشهد في شارع عبادي في حي العرب، ففي هذا الشارع كان يواجه الفدائيون المصفحات والدبابات، فقررت القوات المعتدية تدميره، وجرت عمليات اعتقال للنساء والشيوخ والأطفال ليرشدوا عن أوكار الفدائيين. وكانت الأزقة مسرحا للسرقة والنهب من جنود الأعداء[٢٥٧].

ومع كل هذه الصعوبات، تجلت قيم التضامن، فكان المنزل الذي بقي سليم يجمع عائلات الحي التي دُمرت منازلها، فكانت كل عائلة تسكن في حجرة مهما كان عدد أفرادها، حتى المطابخ كانت مخصصة لبعض أفراد الأسر. وكانت السيدة التي تملك علب اللبن الجاف تعطيها لأي طفل[٢٥٨].

كانت قيادة القوات المعتدية تعتقد أن الإرهاب الذي مارسته في ٦ نوفمبر سيأتي بنتيجة، وأن المحافظ سيخضع خاصة بعد قصف مبنى المحافظة، لكنه رفض إدارة المدينة تحت إشرافهم، وانتقل إلى دار البلدية، مؤكدا أنه لا يتلقى أوامر إلا من القيادة المصرية. وفوجئ باستيفن ويليامز قائد المخابرات الحربية البريطانية مبعوثا من قبل ستوكويل، يطلب إنزال العلم المصري ورفع العلمين البريطاني والفرنسي، فأجابه بأن علم مصر سيعلو في بورسعيد مهما كانت الظروف، فأعطاه مهلة للتفكير في تسليم المدينة. وفي ٧ نوفمبر وصلت مبنى البلدية قافلة مدرعة تحمل الكبار في قيادة الأعداء جاءوا ليوقعوا مع المحافظ محضرا بالتسليم. فقابلهم بهدوء، ولما سأله ستوكويل، رد بأن

٢٥٥) مجلة الرسالة الجديدة، عدد ٣٣ في أول ديسمبر ١٩٥٦، ص٣١، "ستالينجراد الثانية".
٢٥٦) القاهرة، عدد ١١٤٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، رسالة من بورسعيد"؛ عدد ١١٤٧، المصدر السابق؛ بنت النيل، عدد ١٣٦ في فبراير ١٩٥٧، ص٧٦، "بورسعيد الباسلة"؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص٧٤.
٢٥٧) مجلة الشئون البلدية والقروية، السنة الأولى، العد الثاني، نوفمبر ١٩٥٦، ص١٦.
٢٥٨) بنت النيل، عدد ١٣٦ في فبراير ١٩٥٧، ص٧٦، "بورسعيد الباسلة".

(ISSN : 2536 - 9555)

المصريين لا يفرطون في شبر من أرضهم، وأن الحديث عن تسليم المدينة غير مقبول، وأنه والأهالي لا يعترفون إلا بسلطة الحكومة المصرية. وقد جاء رده صادما لستوكويل ورفاقه، فانصرفوا، وظل العلم المصري فوق مبنى البلدية[٢٥٩].

ومع ذلك أعلن إيدن في مجلس العموم في ٧ نوفمبر أن بورسعيد "تحت السيطرة"، وأن القوات اتخذت مراكز دفاعية، وتقوم بإزالة العوائق التي تعترض الطريق للميناء[٢٦٠]. والواقع إنه كعادته لم يقل الحقيقة، فقد كثف العدو إنزال وحداته لاستكمال احتلال المدينة[٢٦١]. وامتلأت سماؤها بالأدخنة، وباتت كسمكة تُشوى والدخان يتصاعد في كل مكان، والأعداء نفذت دباباتهم إلى قلب المدينة، وأُعلن حظر التجوال من الساعة الخامسة[٢٦٢].

وطال التخريب مبنى الجمرك وأُتلفت مستنداته، فتم تخريب ثلاث مخازن، ونُهبت بعض المخازن[٢٦٣]. وقامت القوات البريطانية بإحضار بعض الأطفال، والتقطوا صورا وهم يوزعون عليهم حلوى من البضائع الموجودة بالجمرك. وأجبروا بعض الأهالي على اعتلاء دبابة والتقطوا لهم صورا[٢٦٤]. وبعد التصوير قاموا بكسر أبواب الجمرك، فدخل الأهالي واستولوا على الأرز والدقيق والشاي والسكر والبضائع الموجودة في ثلاجات الجمرك[٢٦٥]. كما قاموا بتخريب منشآت الحجر الصحي في الميناء، وبلغت الخسائر ٦٠٠ ألف من الجنيهات. كما خربوا الفنار بعد احتلاله[٢٦٦].

---

٢٥٩) القاهرة، عدد ١١٤٤ في ١٧ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "القصة الكاملة لأكذوبة إيدن".
٢٦٠) وزارة الخارجية، المصدر السابق، مناقشات مجلس العموم ١٩٥٦/١١/٧، ص٢١٥.
٢٦١) الجمهورية، عدد ١٠٥٣ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص ص١،٢، "القتال مستمر في بورسعيد"؛ أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٥٨.
٢٦٢) الاثنين والدنيا، عدد ١٢٢٠ في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٧، ص٤، "أسرار تذاع لأول مرة".
٢٦٣) الأخبار، عدد ١٤٠٧ في ٤ يناير ١٩٥٧، ص٣، "مشروعات اقتصادية عاجلة للنهوض ببورسعيد".
٢٦٤) الجمهورية، عدد ١٠٥٣، المصدر السابق؛ الأهرام، عدد ٢٥٥٤١ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، العدو يخرق قرار وقف إطلاق النار.
٢٦٥) كمال القلش، المصدر السابق، ص٤٩.
٢٦٦) المساء، عدد ٥٤ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "تخريب منشآت الحجر الصحي"؛ الأخبار، عدد ١٤٠٧، المصدر السابق، "الجنود البريطانيون نهبوا الحجر الصحي"؛ فتاة بورسعيد، فبراير ١٩٥٨، ص٣٥.

وقامت القوات المعتدية بتحطيم مخازن التموين وسرقة ما فيها حتى لا يجد الأهالي رصيدا للأيام المقبلة، لتحطيم الروح المعنوية وحملهم على التسليم بالأمر الواقع(٢٦٧).

وطال التخريب دور العبادة، فلم يخجل الإنجليز من انتهاك حرمة مسجد عبد الرحمن لطفي وتبديد محتوياته، وسرقة البسط الفاخرة والنجف والثريات الكهربائية(٢٦٨). وروى محمود البربري إن الإنجليز حولوا المساجد إلى مخازن وجراجات، فجعلوا مسجد عبد الرحمن لطفي مخزنا، والمسجد التوفيقي إلى ورشة ميكانيكية، والعباسي جراجا، أما جامع علوان فقد تساوى مع الأرض(٢٦٩). وروى إبراهيم السيد إنهم أحرقوا منزله ونهبوا محتوياته لأنه وآخرين طالبوا بفتح أبواب المسجد(٢٧٠).

ولم تسلم المستشفيات، فقد تهدمت جدران مستشفى الصدر ومستشفى الحميات(٢٧١). ونُسف جناح من مستشفى المبرة بمدافع الأسطول، وتحطم زجاج غرفة العمليات(٢٧٢). وروت فاطمة غيث الممرضة بمستشفى الصدر إن الأهالي كانوا يهرعون للمستشفى ظنا أن العدو لن يستهدفها، ولكن خاب ظنهم، فمع أن المبنى كان يرفع علما أبيضا، إنهالت عليه القنابل(٢٧٣). ولم يسلم المستشفى العام، وحسبما ذكر مراسل مجلة التايم الأمريكية، قُطعت عنه المياه والكهرباء، وكانت حديقة المستشفى وساحتها تعج بالمصابين(٢٧٤). وكذلك مستشفى المبرة فمع إن عدد أَسرتها ٧٥ سريرا، اتسعت لمئات الجرحى، ورقد الباقون في الطرقات وعلى أرض الغُرف. وكانت العمليات الجراحية تُجرى على ضوء الشموع، وبدون توفر الأدوات الطبية والمطهرات(٢٧٥).

كما استولى ويليامز ضابط المخابرات البريطانية على مبنى المباحث، ولأنه عاش بالمدينة ٢٠ عاما قبل العدوان، وكان يعرف الكثير عنها؛ توجست العناصر الشيوعية منه، فرأوا أن يبقى غير المعروفين منهم للاستمرار في المقاومة، ويسافر المعروفون

٢٦٧) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، أيام الانتصار، المصدر السابق، ص١٧.
٢٦٨) مجلة الشئون البلدية والقروية، السنة الأولى، العدد الثاني، نوفمبر ١٩٥٦، ص١٣.
٢٦٩) القاهرة، عدد ١١٤٢ في ١٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، "بطل من بورسعيد يتكلم".
٢٧٠) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣٦.
٢٧١) القاهرة، عدد ١١٤٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "رسالة من بورسعيد – حتى المستشفيات".
٢٧٢) بنت النيل، عدد ١٣٦ في فبراير ١٩٥٧، ص٧٦، "بورسعيد الباسلة".
٢٧٣) المساء، عدد ٤٦ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "المقاومة في كل مكان".
٢٧٤) القاهرة، عدد ١١٢٤ في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "مجلة التايم تصف معركة بورسعيد".
٢٧٥) بنت النيل، عدد ١٣٦، المصدر السابق؛ محمد كمال، المصدر السابق، ص١٣٣.

(ISSN : 2536 - 9555)

للمخابرات البريطانية، فيلتقوا زملائهم بالقاهرة ثم يعودوا بخطة للعمل السري(٢٧٦). وجدير بالذكر أن معظم الجنود والضباط الإنجليز كانوا ممن جلوا عن منطقة القناة في نفس العام، فضابط الاتصال بالصحافة جون ستبس كان يشغل نفس المركز قبل الجلاء(٢٧٧).

وفوق هذا تم اعتقال بعض ضباط الجيش الذين كانوا من القوات التى تدافع عن بورسعيد وعلى رأسهم العقيد الموجى(٢٧٨)، وعزلت القوات المعتدية بورسعيد، فهناك قوة على طريق القناة، وأخرى على شاطئ بحيرة المنزلة، وفي البحر يقف الأسطول، وكان الهدف تطويع المدينة، وخلق حالة من السخط ضد الحكومة، والحيلولة دون دخول عناصر مدربة تضطلع بتنظيم المقاومة(٢٧٩).

وفي حين لم تسمح القوات المعتدية بعودة بعض الأهالي إلى منازلهم، قامت بإطلاق النار على من حاولوا مغادرة المدينة ليلحقوا بعائلاتهم التي تركتها أثناء ضربها، وبهذا تعذر على العائلات معرفة ما إذا كان باقي أفرادها على قيد الحياة أو لا(٢٨٠).

واتسمت عمليات المعتدين بالوحشية في معاملة المدنيين؛ فعزموا على جمع السلاح من الأهالي، ومنعوا الماء والطعام عنهم لإضعاف عزيمتهم، ولما أخذ العطش منهم مأخذه، بدأوا يطالبونهم بتسليم ما لديهم من أسلحة، وأشاعوا أن هذه رغبة المسئولين بالمدينة. وقبل أن ينخدع الناس، انتشر رجال المقاومة، وأفهموا الأهالي أنها خدعة، ففشلت خطة الإنجليز لجمع السلاح(٢٨١).

ولم تهدأ القوات المعتدية، فشنت حملات تفتيشية تناولت المنازل الواحد تلو الآخر، ولم تمض عمليات التفتيش بسلام، فكان تفتيش الرجال بالسونكي، ولم تسلم النساء، وأُزهقت أرواح البعض خلال مقاومتهم التفتيش(٢٨٢). وقد صرح وزير خارجية مصر أن إنجلترا وفرنسا مستمرتان في إطلاق النار على المدنيين، وأن تفتيش المنازل يتم بطريقة استفزازية، وإطلاق النار يتم بلا هوادة ولا تمييز، مما تسبب في قتل وجرح المدنيين كل يوم، وأن الاعتداء على المدنيين انتقاما لاستبسالهم في الدفاع عن مدينتهم(٢٨٣).

---

٢٧٦) كمال القلش، المصدر السابق، ص٣٠؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥٦.
٢٧٧) روز اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "من القنال".
٢٧٨) اللواء سمير محمد غانم، المصدر السابق.
٢٧٩) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر نفسه، ص١٦.
٢٨٠) وزارة الخارجية، المصدر السابق، مذكرة بشأن الاعتداءات الوحشية ضد المدنيين ببورسعيد، ص١١٨.
٢٨١) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٤١.
٢٨٢) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص١٦، ١٧.
٢٨٣) وزارة الخارجية، المصدر السابق، تصريحات وزير الخارجية، ص١٢١.

وظل الإنجليز يتفننون في إهانة وإرهاب الأهالي، فاقتحمت دورية منزل عبده حسن، وطلب الجنود منه أن يُنزل صورة عبد الناصر ويحطمها بقدميه، ولما رفض قتلوه أمام أولاده، ثم طردوهم من المنزل وصحبوهم إلى الشاطئ، وأجلسوهم بجوار نار قاموا بإشعالها، وأمرهم الجنود بالنزول إلى البحر، وراحوا يتابعونهم وهم يرتعدون، وظلوا يجذبوهم للشاطئ ويتركوهم بجوار النار ثم يأمروهم بالنزول للبحر مرة ثانية(٢٨٤).

وروى شهود العيان الكثير عن الأعمال التي يرتكبها جنود إنجلترا وفرنسا، فأكد إبراهيم حمزة بمنطقة بورسعيد التعليمية إن أعمال السلب تكثُر أثناء حظر التجوال، وإن الجنود اعتادوا سرقة المنازل والمتاجر(٢٨٥). وكان الفرنسيون أكثر همجية، ففضلا عن سطوهم على المنازل ونهب ما يجدونه من ذهب وأموال، تكررت حوادث الاعتداء على النساء؛ فكانوا يدخلون أي بيت ويطلبون المرأة من زوجها لتطبخ لهم، فإذا رفض يتم قتله ويأخذونها بالقوة. وقد ذهب بعض الأهالي للقائد الفرنسي، فوعدهم بالسيطرة على جنوده، ومع هذا كانت صرخات الاستغاثة تتكرر وقت حظر التجوال(٢٨٦).

وقد طالبت الحكومة المصرية بإجراء تحقيق في الفظائع التي ترتكبها القوات الأنجلو فرنسية ببورسعيد ضد المواطنين، والتحقيق في الدمار التخريب الذي طال المدينة(٢٨٧).

وقد أكد شهود العيان والصحفيين الأجانب أن الأعمال التي ارتكبها الإنجليز والفرنسيين في بورسعيد تضعهم في صف مجرمي الحرب الهتلريين. فذكر الصحفي السويدي أندرسون الذي وصل بورسعيد بعد ساعات من إعلان وقف إطلاق النار: "شاهدت جحيما؛ رأيت أطفالا في بيوت دمرتها القنابل، يبحثون بين الأنقاض عن آبائهم وأمهاتهم، ورأيت آباء يرفعون بأيديهم حطام البيوت المدمرة باحثين عن أطفالهم، وشاهدت الجثث بين أنقاض بيوت مهدمة يتصاعد منها الدخان، وقد دمرت القنابل اثنين من المستشفيات مع ٩٠ مريض كانوا فيهما. ورأيت جثث أطفال ونساء خرق الرصاص ظهورهم، فقد أُطلق عليهم الرصاص عندما كانوا يركضون طلبا للملجأ عندما قُصفت

٢٨٤) آخر ساعة، عدد ١١٥٨ في ٣ يناير ١٩٥٧، ص٣، "أبشع انتقام يقوم به المعتدون ضد أهالي بورسعيد".
٢٨٥) المساء، عدد ٤٦ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الجنود الفرنسيين يسرقون المنازل والمتاجر".
٢٨٦) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٥٨، ٥٩، ١٢٣؛ بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣٦.
٢٨٧) وزارة الخارجية، المصدر السابق، ص١٣٢، بيان الحكومة المصرية تطلب التحقيق في الاعتداء الوحشي على المدنيين في بورسعيد.

(ISSN : 2536 - 9555)

البيوت الخشبية بالقنابل. وخلال الساعتين اللتين أمضيتهما هناك أُخرجت من تحت الأنقاض ٢٧٠ جثة، ويستحيل أن تصور ما رأته عيناي أية كلمات"(٢٨٨).

وانطلق أندرسون يرصد انتهاكات القوات المعتدية، وعندما لمحه الجنود الإنجليز يتنقل بين البيوت المتهدمة، ويصور النساء والأطفال المشردين، حاولوا اعتقاله وأخذ كاميراته، لكنهم لم يتمكنوا. وقد لمح عند مفترق الطريق سيارة مدنية جرى خلفها، وكان فيها بعض الخارجين من بورسعيد، فلحق بهم، وتمكن من الوصول للقاهرة، ليخرج إلى العالم بصور لفظائع العدوان، توثق وحشية العدوان ضد المدنيين من النساء والأطفال.

ومع إنه كان طيارا خلال الحرب العالمية الثانية، ثم مراسلا حربيا شهد معارك عديدة، أكد إنه لم ير مثل هذا العدوان على المدنيين الذين أخذوا بالغدر والخديعة. وقد بعث من القاهرة برقية إلى جيتسكل زعيم حزب العمال البريطاني، شرح له الوحشية التي يرتكبها الجنود الإنجليز، وأكد أنه كان يبكي وهو يرى الضرب المباشر على المدنيين والمنازل، والطائرات تستهدف المستشفيات، وتضرب من يحملون الجرحى والقتلى. وأضاف في برقيته أنه عندما كان طيارا كان شرفه العسكري يمنعه من ضرب المستشفيات أو من لا يرتدي زيا عسكريا أو من يخرجون لتفقد الجرحى والقتلى. وختم برقيته متسائلا أين هذا الشرف العسكري في معركة بورسعيد؟(٢٨٩).

وعندما أذاعت الخارجية المصرية كتيب عن وحشية العدوان، أوردت فيه فصلا كتبه الصحفي السويسري، ذكر فيه إن آلاف الضحايا سقطوا، وأُحرقت مئات المنازل يسكنها مدنيون فقراء، ورأى بين الأنقاض جثث أطفال ونساء. وإن طائرات الهليكوبتر توجه رصاصها بنادقها إلى نوافذ المنازل. وإن الإنجليز حفروا مقبرتين لدفن الجثث(٢٩٠).

وفي سياق رصد الجرائم التي اقترفها الإنجليز في بورسعيد، الجريمة الشنعاء التي اقترفوها في حق الشاب محمد مهران البالغ ١٨ عاما، فقد جُرح وأُسر أثناء المعارك في منطقة الجميل، وجرى تخديره، وعندما عاد إلى وعيه وجد عينيه معصوبتان وأنه فقد عينيه، وقد ادعى الإنجليز أنه أُجريت له عملية اقتلعت فيها عيناه بعدما أصيب بجروح خطيرة. وبقي مهران في المستشفى عدة أيام، ثم تمكن من الفرار، ووصل القاهرة، وعندما جرى فحصه لم يُعثر على آثار تدل على جرح كان يستدعي اقتلاع عينيه(٢٩١).

٢٨٨) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص ص٣٣، ٣٤.
٢٨٩) آخر ساعة، عدد ١١٥٢ في ٢١ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢١، "الصورة التي هزت العالم".
٢٩٠) الأهرام، عدد ٢٥٥٦٥ في ٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "القوات المعتدية تدمر مستشفين ببورسعيد".
٢٩١) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣٧.

ثانيا: المقاومة الشعبية منذ وقف إطلاق النار حتى دخول قوات الطوارئ الدولية:

قُصفقت بورسعيد ثمانية أيام بلا هوادة، لحملها على الاستسلام، لكنها لم تستسلم. وقاتل أبناؤها من شارع إلى شارع ومن منزل لمنزل، قاومت برجالها ونسائها وشيوخها وأطفالها، وحطمت خطط المعتدين. ومع أن قرار وقف إطلاق النار دخل حيز التنفيذ في ٧ نوفمبر بعد أن احتلت القوات المعتدية بورسعيد(٢٩٢)، تجددت المناوشات في نهاية هذا اليوم، وأصدرت القوات المعتدية في ٨ نوفمبر بلاغا بأن وقف إطلاق النار تم خرقه، وإن إحدى دورياتهم تعرضت للاعتداء(٢٩٣). والثابت إن المقاومة التي انطلقت منذ بداية الغزو، لم تنته بعد احتلالها، فعلى الرغم من سوء الموقف بالمدينة، وانتشار القوات المعتدية؛ لم يلق رجال المقاومة سلاحهم، ورفض أغلب القادرين على حمل السلاح مغادرة مدينتهم، وقامت بعض السيدات بتهجير أطفالهن، وآثرن البقاء، فقد أرسلت سيدة أولادها مع والدتها للجيزة، وبقيت مع زوجها الذي انخرط في المقاومة(٢٩٤).

- لجان المقاومة السرية وحرب المنشورات:

إزاء احتلال المدينة، والأفكار الانهزامية التي حاول العدو بثها، بدأت دعوات لتشكيل كيانات للمقاومة للقيام بأي عمل لبث الرعب في نفوس المعتدين من خلال توزيع منشورات أو القتل أو الخطف، فتكونت تنظيمات سرية صغيرة، كانت تُصدر منشورات مكتوبة بخط اليد، وحملت أسماء (المدمرون الأحرار) (الانتقاميون) (المقاومة السرية) (اليد السوداء) (الهاتاشاما وتعني هيئة تحرير شعب مصر)(٢٩٥). وامتلأت الشوارع بلافتات كُتب عليها "الموت للقتلة" "الويل للسفاكين"(٢٩٦).

---

292) Year Book Of The United Nations 1956, Op. Cit, p. 31.

٢٩٣) وزارة الخارجية، المصدر السابق، تصريح وزير الدفاع البريطاني ١٩٥٦/١١/٨، ص٢١٨؛ محمد كمال، المصدر السابق، ص١٣٤.

٢٩٤) المساء، عدد ٤٨ في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "القادرين على حمل السلاح رفضوا مغادرة مدينتهم".

٢٩٥) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٠؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٥٥؛ لطفي رابح جمعة، المصدر السابق، ص١٤٦.

٢٩٦) الجمهورية، عدد ١٠٦١ في ١٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "الموت للقتلة والويل للسفاكين لافتات للمقاومة الشعبية في بورسعيد".

(ISSN : 2536 - 9555)

وعندما أشاع الإنجليز أن أحد المسئولين أصدر أوامره بجمع السلاح، سارعت الهاتاشاما بإصدار منشور ناشدت فيه المواطنون بعدم إلقاء السلاح، وعدم الاكتراث بالتهديدات، والإبلاغ عن الخونة، وجاء فيه: "أيها المواطن إياك أن تُلقي سلاحك، إياك أن تخشى دورياتهم، إنهم جبناء، ارفع رأسك وسدد رصاصك واقتلهم حيث وجدتهم، ابحث عمن يتعاون معهم حتى يحين الانتقام"(٢٩٧).

وتشكلت اللجنة العليا للمقاومة الشعبية، وغلب عليها العناصر الشيوعية، بهدف قيادة المعركة في ظل الاحتلال، فأصدرت في اليوم التالي للاحتلال منشورا بخط اليد بعنوان (إننا لم نسلم) تضمن تكذيب شائعة استسلام المدينة. ونشرت بعد أيام منشور ثان جاء فيه: "أيها المواطنون: الاستعمار بأساليبه القذرة يريد من طبقتنا العاملة أن تعمل لديه، إنه لواهم، إذ أن الطبقة العاملة التي لقنته درسا في ثورة ١٩١٩ وفي حركة ١٩٥١ وفي معركة أمس التي مازال دم شهدائها ساخنا، لن تقاطع الاستعمار فحسب بل ستنظم الصفوف للقضاء على المستعمر، وتُبيح دم كل من يتعاون معه". ووجهت اللجنة في نهاية منشورها نداء للمواطنين أن يُشكلوا لجانا للمقاومة في كل مكان للقضاء على الاستعمار وأعوانه. وختمت منشورها بعبارة (عاش كفاح الطبقة العاملة المصرية – يسقط الاستعمار الأنجلو فرنسي)، وذُيل المنشور باسم اللجنة العليا للمقاومة(٢٩٨).

واستجابت لجان المقاومة لنداء اللجنة العليا، وعُقد اجتماع لممثلي اللجان، وتقرر دمج لجان المقاومة في لجنة واحدة باسم (جبهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد). وتبنت الجبهة برنامجا يتضمن أربعة أهداف: (١) الكفاح المسلح لطرد قوات الاحتلال (٢) عدم المساومة على حق مصر في تأميم القناة (٣) العمل على رفع الروح المعنوية للشعب (٤) محاربة الخونة ومروجي الشائعات. وهكذا تكتلت القوى الوطنية في المدينة على اختلاف اتجاهاتها تحت شعار (مقاومة الاستعمار). ولم يبق خارج هذا التنظيم سوى هيئة تحرير شعب مصر (الهاتاشاما) التي رفضت الإنضمام للجبهة(٢٩٩).

٢٩٧) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٤٧.
٢٩٨) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٥، ١٠، ١١؛ بريماكوف، المصدر السابق، ص٣٠.
٢٩٩) الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر نفسه، ص١٢، ١٣؛ رابح لطفي، المصدر السابق، ص١٤٧.

وعن تكوين لجان المقاومة كتب إحسان عبد القدوس تحت عنوان (تجارب من بورسعيد) أن هذه اللجان كانت تعمل لهدف واحد دون أن يربطها تنظيم أو قيادة واحدة، وبعد بضعة أيام، أدرك البعض ضرورة تنظيم القوى المتناثرة لمتابعة الكفاح، واستطاع بعض الشاب أن يجمع هذه الجماعات في هيئتين: الجبهة المتحدة والهاتاشاما[٣٠٠].

وبدأت الجبهة المتحدة عملها بكتابة منشورات بخط اليد، وإلصاقها على الجدران، وتوزيعها على الأهالي، حيث أخذت على عاتقها أن تُحيط السكان بتطور الأحداث، فكانت الأيدي الخفية توزع المنشورات في أنحاء المدينة. ومن هذه المنشورات عرف الأهالي أن الجمعية العامة للأمم المتحدة أيدت طلب مصر بجلاء القوات المعتدية. كما ظهرت على أطلال المنازل الشعارات الوطنية (تحيا مصر حرة)، (أيها المحتلون أرحلوا عن مصر)، (ليسقط الاستعمار)[٣٠١]. واشترك الأطفال في عمليات توزيع المنشورات وإلصاق صور عبد الناصر على عربات ودبابات العدو، والكتابة على أرض الشوارع بالعربية والإنجليزية والفرنسية[٣٠٢].

وانضم إلى الجبهة عدة لجان، فانضم النوبيون بعدما شكلوا "اللجنة النوبية"، وكذلك فعل السودانيون، ثم جبهة العمال المتحدة التي تضم ١٥ نقابة[٣٠٣]. وقد تشكلت اللجنة العليا للعمال بدعوة من أحمد كامل خليل رئيس نقابة إسو، وانضم إليها محمد سلطان سكرتير نقابة شل، ثم نقابة الشحن والتفريغ والنقابي علي إسماعيل[٣٠٤].

وتوالت البيانات، مثل بيان اللجنة النوبية للمقاومة الشعبية وبيان اللجنة السودانية لمقاومة الاستعمار، وبيان جبهة العمال للمقاومة الشعبية[٣٠٥]. وأقبل كثير من الأهالي على الانضمام للجبهة المتحدة للمقاومة، وباتت صاحبة كلمة مسموعة بالمدينة[٣٠٦].

---

٣٠٠) روز اليوسف، عدد ١٤٩٢ في ١٤ يناير ١٩٥٧، ص٩، "تجارب من بورسعيد بقلم إحسان عبد القدوس"..
٣٠١) بريماكوف، المصدر السابق، ص٣١.
٣٠٢) شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٨٠.
٣٠٣) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص١٣.
٣٠٤) كمال القلش، المصدر السابق، ص٩٢.
٣٠٥) الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص١٣ – ١٥؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٦.
٣٠٦) شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٨٠؛ محمد كمال، المصدر السابق، ص١٣١؛ بريماكوف، المصدر السابق، ص٣٠.

(ISSN : 2536 - 9555)

وانضم إليها بعض اليونانيين أنصار حركة أيوكا المُطالِبة بتحرير قبرص، فقد أيد معظم أفراد الجالية اليونانية المقاومة، وتطوع بعضهم في صفوفها(٣٠٧)، وشارك بعضهم في كتابة لافتات ملأت الجدران والشوارع تقول (القنال لنا)(٣٠٨). فعندما دخل الإنجليز المدرسة اليونانية، وجدوا كلمة (أيوكا) مكتوبة على السبورات. والتقى القنصل الإنجليزي نظيره اليوناني، وأكد له إنهم يسيطرون على المدينة، وأن الجمارك مملوءة بالبضائع، وبإمكان التجار اليونانيين أن يستولوا عليها، نظير أن يتعاونوا مع القوات الإنجليزية، فرفض مؤكدا إن اليونانيين ليسوا لصوصا(٣٠٩).

وجاهرت العناصر اليونانية بدعم المقاومة من خلال ما كانت توزعه من منشورات، فقد نشرت نداء عنوانه (من أيوكا المقاومة القبرصية ببورسعيد إلى شعب بورسعيد الحر)، أكدت فيه على قوة الصداقة والعلاقات التي تربط الشعبين، ووحدة الهدف وهو محاربة الاستعمار، وناشدت اليونانيين ببورسعيد ألا يستمعوا للدعايات التي يروجها المعتدون لإحداث وقيعة بينهم وبين المصريين، ودعتهم لتدعيم لجان المقاومة الشعبية من أجل المعركة المشتركة معركة مصر وقبرص، معركة الشعوب المحبة للحرية(٣١٠).

وإزاء ذلك، رأت قيادة القوات المعتدية نشر الشائعات، فأرسلت خطابات تهديد باسم الجبهة المتحدة إلى المسيحيين والأجانب. فردت الجبهة بمنشور مؤكدة أن معركتها ضد الاستعمار فقط(٣١١). ومن أخطر الشائعات التي أطلقها الإنجليز تعاون الأقباط معهم، فتنبه أعضاء الجبهة، وأُقيمت مؤتمرات في الشوارع والمقاهي لإفساد هذه الفتنة(٣١٢).

---

٣٠٧) المساء، عدد ٣٧ في ١١ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "اليونانيون يتطوعون في صفوف المقاومة"؛ روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تقرير آخر من بورسعيد"؛ أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص١٣ – ١٥.

٣٠٨) روز اليوسف، عدد ١٤٨٣ في ١٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣٠، "بورسعيد دائما كما كانت بقلم عبد الله إمام".

٣٠٩) المصدر نفسه، عدد ١٤٩٠ في ٣١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، "أيوكا في بورسعيد".

٣١٠) الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٢٢. تقديرا لموقف الجالية القبرصية، قررت الحكومة اعتبارهم يونانيين واستثنائهم من القانون الخاص بالفرنسيين والبريطانيين، وقد تلقى زكريا محي الدين وزير الداخلية برقية شكر من كليانتي بابا ليليانس زعيم القبارصة ببورسعيد. الجمهورية، عدد ١٠٧٠ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "شكر الجالية القبرصية على اعتبارهم قبرصيين".

٣١١) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٤١.

٣١٢) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٠٢.

وعزمت الجبهة المتحدة للمقاومة على تنظيم مظاهرة تكريما للشهداء واحتجاجا على الاعتقالات، وليعلم المستعمر أن أهالي بورسعيد لن يرضخوا. ووجهت نداء للأهالي بأن قرار الانسحاب هو ثمرة كفاح بورسعيد، وأن روسيا والصين والهند والعرب معهم. ودعت الجبهة لتنظيم مظاهرة في ٩ نوفمبر تنطلق من جامع الرحمة عقب صلاة الجمعة(٣١٣). واتصلت الجبهة بالكنائس ليتصدر القساوسة المظاهرة مع المشايخ(٣١٤). وتم إعداد منشور لتوزيعه في المظاهرة، للتأكيد على أن العدو يُطلق رصاصه دون أن يفرق بين مسلم ومسيحي، وعلى الجميع الوقوف صفا واحدا للتصدي للعدو(٣١٥).

فرأى المحافظ منع المظاهرة حفاظا على الأرواح، وربما اتصل به الإنجليز وهددوه، فصدر منشور بتوقيع الهاتاشاما، جاء فيه إنه بالإشارة للمنشور الموزع للقيام بمظاهرة احتجاجا على الاعتقالات، وبناء على رغبة المحافظ بمنع التظاهر حرصا على صالح المدينة، وبعد الاتصال بالمسئولين للإفراج عن المعتقلين؛ ألغيت المظاهرة. وليطمئن كل مواطن إن المعتقلين سيُفرج عنهم قريبا. ومع ذلك لقيت الدعوة استجابة، فتجمع ستة آلاف عند جامع الرحمة حاملين صور عبد الناصر ولافتات تحمل أسماء الشهداء وتنادي بسقوط الاستعمار(٣١٦).

وحاول المحافظ منع المظاهرة؛ فأوفد من يطلب من القائمين عليها منعها. وعلى الرغم من تواجد بعض رجال البوليس وقوة بريطانية، خرجت المظاهرة عندما تقدمت سيدة كبيرة تحمل العلم، وسار خلفها المتظاهرون(٣١٧). وتقدم المظاهرة هاجوج والرفاعي وبعض الشيوعيين من أعضاء الجبهة المتحدة(٣١٨). وتحركت المظاهرة تحت فوهات المدافع وحولها المصفحات، وسارت في شارع صفية زغلول ثم شارع سعد زغلول. وفي الطريق انضم إليها المصلين بجوامع العباسي والتوفيقي وصالح سليم. وجاء أحد القساوسة وتصدر الصفوف بجوار أحد المشايخ. ورُفعت أعلام النقابات والطلبة، تأكيدا

٣١٣) الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٢٤ – ٢٦؛ شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٨١.
٣١٤) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٧٤.
٣١٥) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٠٣.
٣١٦) الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٢٦.
٣١٧) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٧٤.
٣١٨) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٠٨.

(ISSN : 2536 - 9555)

لقيام العمال والطلبة بدورهم في المعركة. كما شارك مئات الأطفال الذين فقدوا ذويهم ورأوا منازلهم تُحرق، فحمل كل منهم على كتفه بندقية من الخشب وخوذة ورقية.

وعند المقابر توقفت الجموع، فكان ذلك أول مؤتمر عام لبورسعيد بعد الاحتلال، وألقيت خطب، وتم التأكيد على أن المعركة لن تنته إلا بخروج آخر جندي. وانتهى المؤتمر إلى قرارات أبرزها الاحتفاظ بالسلاح، وتأييد الجبهة المتحدة، والوقوف ضد كل المؤامرات للإيقاع بين الشعب ورئيسه، توجيه التحية لصديق مصر الاتحاد السوفيتي.

ولم تجرؤ قوات العدو على التدخل لفض المظاهرة، ولم تملك أمام الجماهير الغفيرة إلا الصمت، وأذهلهم المنظر، وأيقنوا أن شعبا هؤلاء أطفاله لن يستكين(٣١٩).

ورأى القائمون على المظاهرة توزيع منشورا على الناس، فاستقل شاب دراجته وانطلق إلى مطبعة مخلوف وأحضر كمية من المنشورات، وقابل الناس وهم عائدون من المقابر، وبدأ توزيع المنشورات عند مقهى السعدية أمام حديقة سعد. ومرت سيارة تحذر الناس من التجمع وتهدد بإطلاق النار، وكان يذيع التحذير بالميكروفون أحد المالطيين، فأخذ يصرخ بلغة عربية ركيكة "ممنوع ناس تتجمع أكثر من ثلاثة، حنضرب بالنار". وكان يعقب التحذير أغاني مصرية، فقابل الأهالي ذلك بالسخرية والسباب(٣٢٠).

ولم تكن مظاهرة ٩ نوفمبر الأخيرة، فخرجت في الأيام التالية مظاهرات احتجاجا على الاعتقالات(٣٢١). فزاد شعور الإنجليز بخطورة الموقف، فراح عملاؤهم يشيعون أن الجبهة المتحدة للمقاومة جبهة شيوعية. كما ألقت الطائرات الإنجليزية منشورا هاجموا فيه الجبهة ووصفوها بالجبهة "الملحدة الشيوعية وفلول الأحزاب القديمة". وقد اجتمعت عناصر الجبهة، وأصدروا منشورا أكدوا أن الجبهة جبهة كل الشعب، جبهة وطنية تضم الوطنيين المعارضين للعدوان والمناضلين ضده، وأن الشيوعيين وطنيين وأعداء للاستعمار. ولم تكتف الجبهة بذلك، فعقدت مؤتمرات في المقاهي والأحياء، واستطاعت أن تقنع عددا من المعارضين والمترددين، فانضموا للجبهة(٣٢٢).

---

٣١٩) الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٣٣ – ٣٤؛ شهدي عطية، المصدر السابق، ص ١٨٢.
٣٢٠) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٧٥، ١٠٨.
٣٢١) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٧.
٣٢٢) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٧٣، ٧٤.

ولم تكن عبارة (الموت للخونة) مجرد شعارا، فعندما أرشد أحد الخونة الإنجليز عن أسلحة مخبأة في دكاكين خلف جامع علوان، أحرقه الأهالي ليكون عبرة(٣٢٣). وعندما أرشدهم آخر في ٢٤ نوفمبر عن مخبأ للأسلحة أمام سوق السمك، حضرت قوة بريطانية، وكان هذا الخائن ينظر إلى المواطنين في زهو، وعندما فرغ الجنود من تحميل الأسلحة جاء هذا الخائن ليصعد معهم في السيارة، ركله الجنود بأحذيتهم، فتلقفه الأهالي وأخذوه إلى منزله في الدور الثاني وألقوه من أعلى المنزل فسقط قتيلا، ثم ألقيت جثته في بحيرة المنزلة(٣٢٤). وتكرر الأمر مع فضل الموظف في قسم ثاني، فقد تعاون مع الإنجليز؛ فركب سيارة وأذاع بيانا طالب الأهالي بتسليم السلاح. وكان يقيم في حجرة على سطح منازل بشارع كسرى، فاقتحم الأهالي حجرته، وألقوه من أعلى، ولم يفكر أحد أن ينقذه، بل بصق بعضهم عليه وركل بعضهم الجثة(٣٢٥).

وكانت بعض منشورات المقاومة تطعن المحتلين في شرفهم. فإزاء همجية الفرنسيين ضد أهالي بورفؤاد وانتهاكهم للأعراض، بعثت الهاتاشاما بمنشور إلى الأهالي ناشدتهم فيه بالثبات، "لا تهنوا ولا تحزنوا فأنتم تعرفون أولاد الحرام، فكل فرنسي لا يعرف أبوه، فهم أبناء عاهرات أولاد الحرام لا لوم عليهم إذا أساءوا إليكم"(٣٢٦).

ورداء على المنشورات التي كان الإنجليز يكتبونها بلغة عربية ركيكة يهاجمون فيها عبد الناصر، ويطالبون الأهالي بالتعاون معهم، غمرت الهاتاشاما والجبهة المتحدة بورسعيد بمنشورات، ترد بها على مزاعمهم وتلعنهم، وتطالب الأهالي باتباع التعليمات. وقد جرى ذلك دون أن يعثر المحتلون على المطبعة أو من يوزع المنشورات(٣٢٧).

وأصدرت جبهة العمال للمقاومة بيانا، أوضحت أن أبواق الاستعمار بعد فشلها في استمالة شعب بورسعيد، عكفت على مهاجمة عبد الناصر. وإن عمال مصر وفلاحيها وطلبتها ومثقفيها وتجارها والجميع يلتفون حول حكومتهم ضد عدو مصر. وانتهى البيان بعبارات (عاشت جبهة الشعب والحكومة والجيش، عاش جمال رمز المقاومة، يسقط

٣٢٣) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٤.
٣٢٤) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٣١.
٣٢٥) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٦٥، ٦٦.
٣٢٦) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٤٧.
٣٢٧) المصدر نفسه، ص ص١٤٨، ١٤٩.

(ISSN : 2536 - 9555)

الاستعمار)[٣٢٨]. وكانت بعض المنشورات لا تزيد عن جملة: "عودوا إلى بلادكم"، "الشركات الاحتكارية دفعتكم إلى أرضنا"، "تذكروا بيوتكم وأمهاتكم وأولادكم"[٣٢٩].

ومن المنشورات التي أزعجت الإنجليز، منشور أذاعته الهاتاشاما بعنوان (الشرف البريطاني)، تهكمت فيه على إدعاء الإنجليز بإنهم خصوم شرفاء، فجاء فيه إنه "لو كان الإنجليز شرفاء ما تظاهروا بالوصول لحل سلمي لمشكلة القناة ثم هاجموا مصر، لو كان لهم شرف ما أحرقوا المنازل وما شردوا أهلها وما قتلوا الأطفال والنساء، وما قبل جنودهم الرشوة من بعض المعتقلين، وما تعاملوا بخسة مع غير المعتقلين في الشوارع". وتحت عنوان: (قولوا للمعتدين) تم توزيع منشورا مكتوب بالزجل جاء فيه[٣٣٠]:

قولوا لإيدن إيه كان صابك	تعمل فيها العملة البايخة
جيت تتحدى وبتتعدى	ويا العاهرة الفاجرة فرنسا
جاتكم خيبة جاتكم نايبة	جاتكم حرقة جاتكم واكسة
قولوا لبينو بينكو وبينه	خاب مسعاك يابو وش أذية
جيشك عمره ما فتح عينه	مسكين دايخ أصله وليه

وقد أزعجت تلك المنشورات العدو، واضطر إلى تسيير دوريات مهمتها نزع اللافتات ومسح الكتابات، لكن هذا لم يُجد، فكانوا يفاجئون بغيرها في مكانها[٣٣١].

وفيما يتعلق بطباعة المنشورات، واجهت لجان المقاومة مشكلة تمثلت في الورق اللازم للطباعة، واتفق رجال المقاومة على جمع كل ورقة تصلح من بيوتهم. وكلفوا أحدهم بالحصول على كمية من الورق من شركة الفحومات التي يعمل بها[٣٣٢].

ولعب محمد شاكر مخلوف البالغ ٣٨ عاما دورا في طباعة المنشورات، وقد كان من رجال "مصر الفتاة" ببورسعيد، وشارك في معارك القناة عام ١٩٥١، واعتُقل أكثر من مرة، آخرها بعد حريق القاهرة. ولما وقع العدوان انخرط في المقاومة، وكان من أعضاء لجنة الجيش السري التي انضمت للجبهة المتحدة، كان صاحب مطبعة متواضعة تقع بين شارعي سعد زغلول والجيش، وقبلها في شارع النهضة، وقد أسهمت المطبعة

٣٢٨) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص١٥.
٣٢٩) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٨٠.
٣٣٠) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص ص١٤٩ - ١٥١.
٣٣١) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص ص١٨٠، ١٨١.
٣٣٢) كمال القلش، المصدر السابق، ص٦٢.

المتواضعة في العطاء الوطني، وحين وفد إلى بورسعيد في غمار المعركة بعض رجال الثورة ومن بينهم الصحفي أحمد حمروش، فإن مطبعة شاكر مخلوف كانت المخبأ السري لنشاط هؤلاء الضباط ومركز عملياتهم، وأسهم مخلوف في حماية تحركاتهم وتأمينها حتى خروجهم من بورسعيد. وقد وضع مطبعته تحت تصرف المقاومة. وقد كانت المنشورات تصدر بخط اليد والآلة الكاتبة والرونيو ولا تزيد عن ٣٠٠ نسخة، وبعد انضمام مطبعة مخلوف، باتت تُطبع بالآلاف، وعجز الإنجليز عن الوصول للمطبعة التي تقوم بطباعة المنشورات، فأصدروا أمرا بغلق جميع المطابع، لكنه لم يخش، فكان يقوم ليلا بطباعة المنشورات ومعه ابن أخته الصبي الصغير[٣٣٣].

المقاطعة :

انتهج البورسعيديون المقاومة السلبية التي تمثلت في مقاطعة المحتلين، فامتنعوا عن التعاون معهم، ورفضوا كل المحاولات لحملهم على التعاون، ولم يؤثر فيهم الوعد أو الوعيد. ففور الاحتلال أراد الإنجليز تطهير القناة وتشغيل الأهالي، فاتصلوا بعمال شركة القناة المؤممة، فرفضوا التعاون معهم، وقابلوهم بالسخرية، وتجمع ٢٠٠ منهم وأعلنوا مقاطعة القوات المعتدية حتى تصدر لهم الأوامر من القيادة المصرية بالعودة إلى أعمالهم بعد طرد المعتدين[٣٣٤]. وترك عمال شركة القناة الذين لم يغادروا بورسعيد منازلهم وأقاموا في منازل أخرى حتى لا يجبرهم العدو على العمل[٣٣٥].

وعادت القوات المعتدية وأعلنت عن حاجتها إلى عشرة آلاف عامل بأجر يومي جنيه، فلم يتقدم أحد، فرفعوا الأجر إلى ٣ ثم ٥ جنيهات، وعلى الرغم من حاجتهم أصر العمال على موقفهم. واتصل العدو بزعماء العمال، فتلقى صفعة جديدة: "نجوع ولا نعمل معكم"[٣٣٦]. كما فضل عمال الميناء الموت على تفريغ سفن الأعداء، فقد جمع الإنجليز

٣٣٣) كمال القلش، المصدر السابق، ص٨٨؛ مجلة بورسعيد الجديدة، عدد ١٥ في سبتمبر ١٩٨٦، ص٢٧، "قصص بورسعيدية مخلوف رجل من زمان". أخرجت مطبعة مخلوف المتواضعة عددا من كتب أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة، الذي كان مخلوف أحد مؤسسيه وطليعة رجاله. وعندما زار أحمد حسين بورسعيد في صيف ١٩٨٠، كان أول من سأل عنه محمد مخلوف. وقد توفي مخلوف في ١٠ يوليو ١٩٨٦.

٣٣٤) المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "بورسعيد".

٣٣٥) آخر ساعة، عدد ١١٥٣ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "أخبار من بورسعيد".

٣٣٦) روز اليوسف، عدد ١٤٨٧ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٢، "قصة مقاومة"؛ مصطفى الشكعة، المصدر السابق، ص١٤٢.

(ISSN : 2536 - 9555)

بعض العمال بالقوة لتفريغ سفنهم وإنزال المواد الغذائية، وهددوهم بالقتل، فكان ردهم: "خير لنا أن نموت شهداء لرفضنا التعاون معكم ولا نحيا خونة إذا تعاونا معكم"(٣٣٧).

وكان انضمام نقابة عمال الشحن والتفريغ والتي تضم ١٧٠٠ عامل للجنة العليا للعمال أمرا مهما؛ حيث يمثلون العمود الفقري للعمل داخل الميناء، ومعظمهم من الصعايدة، وكل مجموعة تنتمي إلى بلدة لها معلم ورئيس، وكانوا فقراء لا يملكون غير عملهم اليومي. ولما ذهب أحمد كامل خليل رئيس اللجنة العليا للعمال ليدعوهم للإنضمام للمقاطعة؛ أكدوا أنهم مقاطعين(٣٣٨).

وأراد الإنجليز أن يبعثوا في المدينة شيئا من الحياة، فاتصلوا بكبار التجار ليفتحوا محلاتهم، فرفضوا. ولم يكترثوا بالرغم من إنذر ستوكويل باتخاذ أعنف الإجراءات. وحاول الإنجليز إقناع المحافظ بالتصريح للعمال والتجار بالتعاون، فطلب ستوكويل منه أن يمر معه بالمدينة لتفقد حالة التموين، فرفض. ولما نمت المقاطعة، وشكا الإنجليز له من امتناع المقاولين والعمال عن العمل، وقالوا إلى متى يصمد هؤلاء وقد انقطعت أرزاقهم، وأنه لا جدوى، وأن من واجبه أن يُشفق عليهم ويُصرح لهم بالعمل مع السلطات العسكرية؛ رد بأنه لا يمكنه أن يفعل ذلك، وأن الشعور القومي كفيل أن يمزق من يحاول معاونة الإنجليز، وأن الأمر الذي أصدره الحاكم العسكري يمنع التعاون مع رعايا الأعداء، وأنه سيُدبر حاجات العيش بما لديه من إمكانيات محدودة. وقد اعترف ستوكويل بوطأة المقاومة السلبية(٣٣٩).

وإعمالا لبرنامج الجبهة المتحدة للمقاومة، وردا على مساعي العدو لإغراء العمال بالتعاون، أصدرت الجبهة بيانا أوضحت فيه أن الأعداء بعدما لمسوا عزم أهالي بورسعيد على احتقارهم وعدم التعاون معهم، اعتادوا تسيير سيارات تطوف شوارع المدينة تطالب العمال بالتعاون معهم، ويظنون أن المرتبات العالية يمكن أن تُنسي البورسعيديين وطنيتهم. وحذرت الجبهة في بيانها كل من تسول له نفسه العمل مع قوات الاحتلال

٣٣٧) المساء، عدد ٤١ في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "العمال يفضلون الاستشهاد برصاص العدو".
٣٣٨) كمال القلش، المصدر السابق، ص٩٢.
٣٣٩) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٤٢؛ لطفي رابح، المصدر السابق، ص١٤٥.

التي سترحل قريبا، وأكدت أن عيونها منتشرة في كل مكان، وأن القائمة السوداء تُسجل، وسيلقى كل خائن جزاءه[٣٤٠].

وإزاء ذلك، وفي محاولة لإضعاف الروح المعنوية لأهالي بورسعيد، بدأ العدو يوزع منشورات (يا أهل بورسعيد كانت مدينتكم جوهرة البحر المتوسط، ثم كان التأميم فجلب عليكم الخراب). ورد الأهالي بمنشورات تضمنت (أخرجوا من بلادنا)[٣٤١]. فأصدر العدو منشورا مزورا بخط اليد، فوجئ الأهالي به في الصباح على الجدران بإمضاء (اللجنة التنفيذية للعمال) خاطب المنشور العمال: "كفاية اللي ماتوا مننا، مش ممكن البلد تفضل كده، إحنا هناكل منين"، وطالب المنشور العمال بالعودة للعمل. فقامت الجبهة المتحدة بإصدار منشور أكد على الاستمرار في المقاطعة. فعاود الإنجليز الكَرة، فوزعوا منشورا جاء فيه: "يا أهل بورسعيد تركككم ناصر ولم يدافع عنكم، أين اختفت طائراته الميج، لقد تركوا المدينة بغير دفاع، ناصر وعصابته يمرحون الآن في القاهرة"[٣٤٢].

وحاول المعتدون نشر مزيد من الشائعات علها توهن عزيمة المقاومين، لكن الأهالي كانوا واعين، وتولوا الرد على تلك الشائعات، واستخدموا بعضهم السلاح ضد مروجي الشائعات[٣٤٣]. وانسحبت عبارة الموت للخونة على من لا يلتزم بالمقاطعة، فقد تعاون مع جنود الاحتلال في نقل المواد الغذائية لهم يوميا، شخص يدعى عزت له محل مكوجي، فوجه له بعض رجال المقاومة إنذارا، ثم قاموا بالقبض عليه واصطحابه إلى منطقى القنال الداخلي، وقاموا بإحراقه، ولم تبد أسرته أي تعاطف معه[٣٤٤]. وعندما باع تاجر الكيروسين لقوات الاحتلال، قام أبناء الحي بتقييده وسكب الكيروسين عليه وحرقه[٣٤٥]. حدث هذا في حين أن صاحب أحد محال البقالة أشعال النار في محله حتى لا يستولي المعتدون على ما فيه[٣٤٦].

٣٤٠) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، أيام الانتصار، المصدر السابق، ص١٤.
٣٤١) روز اليوسف، عدد ١٤٨٧، المصدر السابق.
٣٤٢) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٦٠، ٩٢، ٩٣.
٣٤٣) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "قصص البطولة"؛ أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٩.
٣٤٤) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٥.
٣٤٥) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٤.
٣٤٦) المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "قصص بطولة".

(ISSN : 2536 - 9555)

ولما يئس الإنجليز من استمالة المواطنين، وانتقاما منهم، فتحت القوات المعتدية بعض المحال وألقت بالمأكولات في الشوارع، ثم ترصدت بالأهالي عندما حاولوا الحصول على ما يسد رمقهم(٣٤٧). كما راحوا يبحثون عن أشقياء المدينة ليعاونوهم، فقد حرضوا طلقاء السجن على مشاركتهم في أعمال السلب والنهب، وحرق المحكمة لتحترق أوراق قضاياهم، لكن لم يقبل أحد منهم التعاون معهم(٣٤٨).

وفي صباح ١٩ نوفمبر انطلقت سيارات العدو تجوب المدينة، تطالب أصحاب اللنشات والصيادين بالتوجه إلى الميناء، فلم يذهب أحد. وتكرر الأمر في اليوم التالي؛ فانطلقت السيارات تدعو أصحاب المهن الميكانيكية والنجارين للعمل بأجور سخية، فلم يذهب أحد. ومن جانبه أمر محافظ المدينة بإدراج عمال الشحن والتفريغ والمهن الأخرى في كشوف لصرف إعانة مالية عاجلة لهم. وفي ٢١ نوفمبر بدأت أقسام البوليس صرف الإعانات لمن أُدرجت أسماءهم. وتابعت في اليومين التاليين صرف الإعانات لأصحاب المهن الذين سدت في وجوههم سبل الرزق. ونال ذلك استحسان الأهالي.

وردا على منشورات العدو اليومية الداعية للتعاون، وزعت المقاومة الشعبية في ٢٣ نوفمبر منشورات مضادة داعية إلى عدم التعامل مع الأعداء مهما بلغ الجوع بسبب حصار المدينة(٣٤٩).

وآتت هذه المنشورات أُكلها، فظل الأهالي على نهجهم، وتمسك التجار بالمقاطعة، فبقيت محلاتهم مغلقة، وزادتهم التهديدات إصرارا. ووجهت الجبهة الشكر للتجار على موقفهم وتضامنهم مع العمال في عدم التعاون مع القوات المعتدية التي حرقت ونهبت ويتمت. وأكدت أن وحدة الشعب والتفافه حول حكومته صخرة ستزلزل الاستعمار(٣٥٠).

ويبدو أن المقاطعة التي انتهجها البورسعيديون كانت مؤثرة، فلم يجد الجنود الإنجليز والفرنسيين حتى من ينظف لهم المنازل التي ينزلون فيها، فكانوا يقبضون على المارة ويجبرونهم على العمل وتنظيف المنازل المحتلة. في حين كان الأهالي لا

٣٤٧) روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تقرير آخر من بورسعيد".
٣٤٨) آخر ساعة، عدد ١١٥٢ في ٢١ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢، "من بورسعيد"؛ القاهرة، عدد ١١٤٩، المصدر السابق.
٣٤٩) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص ص١٣٦، ١٣٨، ١٣٩.
٣٥٠) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، أيام الانتصار، المصدر السابق، ص٢٠.

يتأخرون عن القيام بالأعمال التي تمس الصحة العامة مثل نقل الموتى ودفنهم وإصلاح المجاري وتنظيف الشوارع[٣٥١].

وفي محاولة جديدة لكسر حالة المقاومة السلبية، حاول الإنجليز مجددا إغراء العمال، فعرضوا أن يشتغل العامل ٨ ساعات يوما لمدة ستة أيام في الأسبوع، نظير جنيهين في اليوم، لكن لم يقبل أحد في بورسعيد العرض، وتابعوا مقاطعتهم[٣٥٢].

وصرح الكولونيل إيفانز المشرف على الشئون المدنية للقوات المعتدية ببورسعيد بأن الحياة لم تعد لطبيعتها، والأنشطة العادية معطلة، والأهالي يرفضون التعاون؛ فأصحاب المتاجر مصرون على عدم فتح محلاتهم، والأهالي يمتنعون عن التعامل مع الإنجليز والفرنسيين. وأن ستوكويل سافر إلى قبرص لمقابلة القائد العام، ليطلب منحه سلطات استثنائية لفرض نظام شبه عرفي لإرغام الأهالي على التعاون[٣٥٣]. كما أبرق مراسل النيوزويك الأمريكية لمجلته أنه على الرغم من نقص المواد الغذائية لم يفتح أحد من أصحاب المحلات حتى لا يضطر للتعامل مع الإنجليز والفرنسيين[٣٥٤].

والواقع أن الأمر قد فاق عدم التعاون، وكان البورسعيديون يحتقرون الغزاة. وقد أكد المراسلون الأجانب إنه ليس في بورسعيد فرد يقبل التعاون، فكلهم ينظرون للمعتدين باحتقار[٣٥٥].

وبالتزامن مع المقاطعة وفضلا عن قصص البطولة، سطر الأهالي بطولة أخرى، فرفضوا قبول طعام من الإنجليز[٣٥٦]. فمع أن الحكومة أرسلت قبل العدوان كميات من المواد التموينية تكفي ثلاثة أشهر[٣٥٧]، عانى الأهالي من نقص المواد التموينية، وعاشوا ظروفا قاسية؛ فالمدينة محاصرة، والمعتدين استولوا على مخازنها، وقطارات التموين يصعب دخولها. وقد تعاون محمد حامد الألفي مع مراقب تموين بورسعيد، ووجدوا في

٣٥١) كمال القلش، المصدر السابق، ص٩١.
٣٥٢) آخر ساعة، عدد ١١٥٥ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، "آخر ساعة في قلب بورسعيد".
٣٥٣) الأهرام، عدد ٢٥٥٥٣ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "تسلل الفدائيين إلى مواقع العدو في بورسعيد"
٣٥٤) آخر ساعة، عدد ١١٥٥ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص١٥، "الرعب في بورسعيد".
٣٥٥) الجمهورية، عدد ١٠٦٩ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "سكان بورسعيد يحتقرون الغزاة".
٣٥٦) بنت النيل، عدد ١٣٥ في يناير ١٩٥٧، ص ص٤، ٥، "بنت النيل السياسية – أخبار سريعة".
٣٥٧) روز اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٨، "التموين في المعركة".

(ISSN : 2536 - 9555)

الجمرك شحنة كبيرة من البطاطس كانت مُعدة للتصدير لم تصل إليها أيدي المحتلين، فأتوا بها وتم توزيعها على الأهالي[٣٥٨]. وعاش الأهالي ٤٥ يوما على العدس والبطاطس تقريبا. واختفى الملح والكبريت والسجاير، وكان بعض الأهالي يهمس في أذن من يعرفه من أصحاب المحال ويسأله عن الكبريت، وكان الرد (هو في حد شايفه، الواحد نسى شكله). وقد امتنع كثير من الأهالي عن التدخين[٣٥٩].

وخلال ذلك جرت عمليات للاستيلاء على أية مواد غذائية، فقد توجه بعض رجال المقاومة إلى مخازن الدقيق، وفتحوا هذه المخازن واستولوا على ما وجدوه من أجولة دقيق ونقلوها على عربة نقل لتوزيعها على الأهالي لمواصلة صمودهم، فاقتربت منهم دورية إنجليزية ناحية شارع الأزهر وسعد زغلول، وكانت الشوارع خالية، ففتحوا النار على الدورية، وقتلوا أفرادها ووضعوهم في عرض الشارع، فأثار هذا قيادة القوات المعتدية، فأعلنت عن مكافأة ٥٠٠ جنيه لمن يرشد عن أفراد المقاومة بحي العرب[٣٦٠].

ولكسر إرداة الأهالي وحملهم على التعاون، منعت القوات المعتدية بعثة الهلال الأحمر من دخول بورسعيد، ففي ١٠ نوفمبر وصل بورسعيد بعثة تحمل أدوية وأغذية وملابس، وضمت البعثة جنان الشواربي وسنية الخولي أُخريات. ورفضت القوات البريطانية السماح لهن بالدخول. وأكدن للقائد البريطاني إنه لا يجوز منعهن من دخول بورسعيد، لأن قوانين الحرب تقضي بالسماح لبعثات الهلال الأحمر والصليب الأحمر باجتياز جميع الخطوط لإغاثة الجرحى. وبعد ثلاث ساعات استُجوبت خلالها كل سيدة على إنفراد، سُمح لهن بالمبيت في فندق، وأن يزرن المستشفيات في اليوم التالي.

وقبل أن تغادر البعثة أبلغت قيادة الأعداء عزمها العودة في ١٣ نوفمبر. وبالفعل وصلت بعثة الهلال الأحمر بورسعيد ومعها قطار محمل أدوية وأغذية وملابس، لكن علمن أن هناك أوامر بعدم السماح للبعثة بالدخول. وفي اليوم التالي أرسلت سيدات الهلال الأحمر برقية احتجاج إلى جمعية الصليب الأحمر في جنيف. واتصلن بمندوب

---

٣٥٨) آخر ساعة، عدد ١١٥٧ في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "٤٥ يوما عاشتها المدينة تحت النار بلا طعام وصنعت أخلد البطولات"؛ الأخبار، عدد ١٤٢٧ في ٢٨ يناير ١٩٥٧، ص٥، "بورسعيد تضمد جراحها - البطاطس".

٣٥٩) آخر ساعة، عدد ١١٥٧، المصدر السابق.

٣٦٠) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٨.

الصليب الأحمر بالقاهرة، وطلبن منه الحضور ليساعدهن. وأخيرا في ١٦ نوفمبر تمكنت بعثة الهلال الأحمر من دخول بورسعيد بصحبته وبصحبة الدكتور تودي كام مندوب الصليب الأحمر ببورسعيد، ولم تسمح القوات المعتدية بدخول ممرضات البعثة ولا الأغذية. وأمضت البعثة ساعات بالمستشفيات لتوزيع الأدوية والملابس وحمل رسائل من الأهالي إلى أقاربهم في أنحاء الجمهورية(٣٦١).

ومرة أخرى منعت القوات المعتدية قطارا للأغذية والملابس والأدوية من دخول المدينة، أعدته وزارة الشئون الاجتماعية. وقد شرعت الوزارة في إعداد قطارا آخر محملا بالمؤن، لكي يغادر إلى بورسعيد في ٢٨ نوفمبر (٣٦٢).

تصاعد المقاومة والعمليات الفدائية :

بالتزامن مع المقاطعة وتوزيع المنشورات، عزم الفدائيون على شن حرب عصابات لتكبيد القوات المعتدية المزيد من الخسائر، وإشعار جنودها أن حياتهم أصبحت جحيما. وقد سجلت بورسعيد عمليات فدائية جعلت منها ستالينجراد الثانية(٣٦٣). كما أن الإنذار الروسي الجديد في ١٠ نوفمبر بإرسال متطوعين كان له أثره الإيجابي(٣٦٤).

وحاولت القوات المعتدية صرف أهالي بورسعيد عن المقاومة، فوجهت إليهم عن طريق مكبرات الصوت نداءً ناشدتهم فيه أن يلقوا أسلحتهم، ولكنهم رفضوا تلك النداءات، خاصة أن معظم الأهالي كانوا مسلحون، عازمين على التحدي والصمود(٣٦٥).

وللحيلولة دون تدفق الأسلحة على بورسعيد، شدد الإنجليز الحراسة على قرية القابوطي التي كانت بمثابة فتحة الزجاجة التي تدفقت منها الأسلحة من المنزلة. فنظم الإنجليز دوريات في الطريق بينها وبين بورسعيد، وأقاموا ٤ نقاط حراسة على شاطئها، في كل منها ٥٠ جندي، ومنعوا الصيادين من الخروج أو الدخول للقرية. ثم سمحوا لهم

٣٦١) الجمهورية، عدد ١٠٦٥ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، " الإنجليز والفرنسيون يمنعون بعثة الهلال الأحمر من أداء واجبها في بورسعيد"؛ بنت النيل، عدد ١٣٤ في ديسمبر ١٩٥٦، ص٦، "في الهلال الأحمر".
٣٦٢) المساء، عدد ٥٤ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "القوات المعتدية تمنع قطار أغذية من دخول بورسعيد".
٣٦٣) الأهرام، عدد ٢٥٥٤٠ في ٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "معارك عنيفة في شوارع بورسعيد".
٣٦٤) طاهر أبو فاشا، المصدر السابق، ص١٣٨.
٣٦٥) الجمهورية، عدد ١٠٥٧ في ١٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد ترفض تسليم أسلحتها".

(ISSN : 2536 - 9555)

بالخروج للصيد في بحيرة المنزلة على أن يعودوا آخر النهار، وكانوا يلتقطون صورهم ويكتبون عددهم للتأكد من شخصياتهم وعددهم عند عودتهم. وقد استاء صيادو القابوطي من تعنت الإنجليز، وشكل خمسة منهم جمعية سرية، وقصد أحدهم (محمد السيد عبد المنعم) المطرية، والتقى أحد الفدائيين، وأبدى رغبته في نقل السلاح للفدائيين. وفي اليوم التالي وصل قرية القابوطي مركب به عدد من جوالات الأسماك. وبدأ عبد المنعم ينقلها للشاطئ، فكان يمر أمام الجنود وهم شاهرون أسلحتهم. ثم قام بنقلها إلى سيارة تاكسي كانت تنتظر، وتحركت باتجاه بورسعيد، وفي الطريق أوقفتها دورية للتفتيش، وبهدوء فتح عبد المنعم أحد الأجولة ودس الجندي يده في السمك، واختار واحدة، وسمح للسيارة بالمرور. وتوقفت السيارة في أحد شوارع حي العرب، ونُقلت الأجولة إلى منزل كان فيه بعض الفدائيين ينتظرون السلاح. وفي نفس اليوم قاموا بعملية فدائية قُتل فيها ٥ جنود. وظلت الأسلحة تُهرب بنفس الطريقة، واشترك في نقلها وإخفائها أهالي قرية القابوطي.

وجاء اليوم الذي اكتشف فيه الإنجليز أن الأسلحة يتم تهريبها عن طريق قرية القابوطي، فقد وصل إلى الشاطئ قبالة القابوطي مركبا يحمل ٧٥ طردا، فاستقل الصبي محمد حامد عبد المنعم قاربه ووصل إلى المركب، وبدأ ينقل الطرود، وفجأة وعلى بعد ٥٠ متر من الشاطئ نادى عليه أحد الجنود الإنجليز، كان يريد أخذ بعض الأسماك منه، فأدرك خطورة الموقف، وأدار مقدمة قاربه باتجاه المركب، فانهال عليه الرصاص، فقفز من القارب وأخذ يسبح حتى وصل للمركب الذي بدأ يتحرك بعيدا، وعثر الإنجليز على الطرود الموجودة بالقارب، وقرروا الانتقام من أهالي القابوطي[٣٦٦]. فاعتادت الدوريات اقتحام القرية، وبات البقاء فيها يمثل خطرا، فقام صيادو القابوطي بنقل أسرهم إلى المطرية والمنزلة، ولم يبق إلا بعض الصيادين، كان الإنجليز يسمحون لهم بالصيد في بحيرة المنزلة وبيع السمك في بورسعيد[٣٦٧]. وإزاء تسلل الفدائيين عبر البحيرة في زي الصيادين، أصدر ستوكويل أوامره مجددا بمنع الصيد في البحيرة[٣٦٨]. كما استُعملت طائرات الهليكوبتر لتمشيط بحيرة المنزلة للتأكد من عدم تسلل الفدائيين[٣٦٩].

٣٦٦) الأخبار، عدد ١٤٠٦ في ٣ يناير ١٩٥٧، ص٣، "سر وصول الأسلحة للفدائيين في بورسعيد".
٣٦٧) كمال القلش، المصدر السابق، ص٤٥.
٣٦٨) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٧.
٣٦٩) روز اليوسف، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "تقرير آخر من بورسعيد".

ولم يقتصر نشاط الجبهة المتحدة للمقاومة على المنشورات، ولما كان ضمن برنامجها الكفاح المسلح، حرصت على خلق مجموعات صغيرة في الأحياء، حيث كانت ترى ضرورة شن حرب العصابات بجوار عملها السياسي(٣٧٠). واستطاعت الهيئتان: الجبهة المتحدة والهاتاشاما تنظيم عمليات المقاومة، وانضم إليهما كثير من الأهالي، ونظمتا عمليات إخفاء الفدائيين والتسليح والتسلل من وإلى بورسعيد(٣٧١).

واعترف الجنرال كيتلي في تقريره عن حملة بورسعيد: "إن المدنيين كانوا يستخدمون السلاح على نطاق واسع، ويلقون القنابل على السيارات، وينصبون الكمائن للدوريات ليلا، وكان القتال في شوارع بورسعيد معقدا، فخلع الجنود ملابسهم واختلطوا بالمدنيين الذين كانوا مسلحين"(٣٧٢). وكتب مراسل وكالة أنباء ألمانيا الغربية، إن القتال كان مستمرا، وأن جنديا فرنسيا صرح له أن المدنيين ببورسعيد كالشياطين، وأنهم مسلحون بالبنادق والخناجر، ويتربصون بالجنود(٣٧٣). ونشرت مجلة التايم الأمريكية تحقيقا عن شاب، فكتبت أن صحفيا ممن رافقوا قوات الغزو تقدم إلى شاب تم اعتقاله، وسأله في سخرية (ما رأيك الآن في عبد الناصر)، فرد متهكما (وما رأيك أنت في إيدن)(٣٧٤).

وكانت مظاهرة ٩ نوفمبر بداية مرحلة جديدة في الكفاح؛ فنفذت لجان المقاومة بعدها العديد من العمليات. فقد قررت الجبهة المتحدة للمقاومة تحطيم العلامات التي وضعتها القوات المعتدية في الشوارع ليهتدوا بها، والتربص بمن يفقد طريقه منهم. فانطلق الأطفال في الشوارع يقتلعون العلامات، وكانت عبارة عن إرشادات خشبية عليها أرقام وكلمات، فكانت تختفي فيضعون غيرها فتختفي في اليوم التالي. وقد أقاموا كمائن لرصد من يقوم باقتلاعها، ومع أن أغلبهم كانوا أطفال تم اعتقالهم لمعرفة من يحرضهم. والأهم إن اقتلاع العلامات أتي بنتيجة، فكان بعض الجنود يضلون طريقهم فيختفون ويكون الموت مصيرهم. وإزاء ذلك صدرت تعليمات للجنود ألا يسيروا فُرادى. فتحايل

٣٧٠) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٤؛ الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٢٠.
٣٧١) روز اليوسف، عدد ١٤٩٢ في ١٤ يناير ١٩٥٧، ص٩، "تجارب من بورسعيد بقلم إحسان عبد القدوس"..
٣٧٢) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص ص١٤٣، ١٤٤.
٣٧٣) المساء، عدد ٣٤ في ٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد الباسلة تقف صامدة".
٣٧٤) آخر ساعة، عدد ١١٥٤ في ٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص٣٤، "شاب مجهول من بورسعيد".

(ISSN : 2536 - 9555)

رجال المقاومة على ذلك، فكانوا يطلقون أعيرة في الهواء فيندفع الجنود ليقبضوا على من أطلقها، فتكون كمائن الفدائيين في انتظارهم، فتُلقى عليهم القنابل اليدوية.

وأصبح الإنجليز يخشون المرور في الشوارع ولو في سياراتهم التي باتت هدفا للمقاومة، يتم استهدافها بالقنابل اليدوية، وإذا حاولت أخرى تعقب الفدائيين، تجد في انتظارها مجموعة أخرى تقف لتغطي انسحاب الأولى، وبذلك تتم المفاجأة للعدو مرتين متتاليتين وتتضاعف خسائره(٣٧٥).

وكان في كل شارع وحارة مقاومة وكمائن، ولم يكن يمر يوم دون أن تُسمع أصوات الانفجارات والقنابل التي تلقى في الشوارع وتقع الضحايا من الأهالي وجنود الاحتلال، ونادرا ما كانت تمر دورية دون أن يُطلق عليها النار. وبات من المشاهد المألوفة أن تمر عربات الإنجليز بسرعة لنقل الجرحى وعليها آثار طلقات الرصاص والقنابل، وكذلك عربات الكارو وعليها المصابون والناس يهرولون بهم للمستشفى(٣٧٦).

وقد تعاون الكثير من الأهالي مع لجان المقاومة في عملية جمع المعلومات التي يمكن الاستفادة منها في العمليات، فكان الأسطى كامل رئيس نقابة إسو للبترول والبالغ ٣٧ عاما يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات عن حجم القوات المعتدية، فكان يذهب إلى منطقة الرسوة حيث يوجد معسكر الإنجليز وحيث توجد شركات بترول إسو وشل، ويقوم بإحصاء الجنود وسياراتهم ودباباتهم. في حين أخذ أحد طلاب الثانوية على عاتقه رصد القوات المتمركزة أمام ميدان المحافظة، فكان يعد السيارات التي تدخل وتخرج ويسجل العلامات. وكانت المعلومات التي تم جمعها على درجة من الدقة والأهمية، فتم تقدير قوات العدو بنحو ٦٥ ألف جندي. واستطاع رجال المقاومة تحديد أماكن الطائرات ورسم خريطة لبورسعيد عليها توزيع القوات وأماكن تجمعاتها وحجم كل تجمع ونوعه بالتفصيل(٣٧٧).

والملاحظ أننا أمام مقاومة ليست موحدة، فهناك عناصر المقاومة الرسمية وهي العناصر التي دفعت بها القيادة المصرية إلى بورسعيد، وهؤلاء تعاونوا مع رجال الجيش

٣٧٥) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص٤٢، ٤٣.
٣٧٦) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٢٥.
٣٧٧) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٥٩، ٦٣.

الذين بقوا في بورسعيد بعد احتلالها. كما أبدى رجال البوليس بطولة، وكانوا يعملون في ظروف قاسية، وقادوا الأهالي قيادة واعية(٣٧٨). وهناك أيضا لجان المقاومة الشعبية التي اتحدت فيما يسمى الجبهة المتحدة، وهناك الهاتاشاما. كما تخفى بعض الفدائيين في زي الصيادين، وأخذوا يعبرون بحيرة المنزلة ويدخلون المدينة(٣٧٩).

ووجد كثير من الشبان أنفسهم في حيرة، فلم يكونوا قد تطوعوا في إحدى المنظمات، ورأى كل منهم أن المعركة في حاجة إليه، وبدافع الحماس الوطني قرر بعضهم الذهاب إلى أرض المعركة دون أن يحدد العمل الذي سيقوم به، وكان كل منهم يجمع بعض أصدقائه ويذهبون، وقد ينجحون في التسلل إلى بورسعيد، وقد يحطون رحالهم في القرى المحيطة(٣٨٠).

والواقع أن المقاومة الشعبية ذابت فيها التوجهات السياسية، ولم تكن حكرا على فصيل بعينه، فجمعت أفرادا من مختلف التوجهات، فبجانب الأهالي وعناصر الجيش والبوليس الذين خلعوا زيهم العسكري وانضموا إلى الأهالي، أسهمت العناصر الشيوعية في المقاومة، فكثير من عناصر الجبهة المتحدة للمقاومة وخاصة قياداتها كانت من الشيوعيين. وكان للحزب الشيوعي ببورسعيد عدد من الخلايا، وكان علي شلبي الخولي رئيس نقابة اللنشات أحد رؤساء لجان المقاومة، وتعاون معه من العناصر الشيوعية إبراهيم هاجوج وشوقي المرجاوي وصالح دهب وعبد المحسن الحفناوي ودكتور نصر حمودة الذي استشهد شقيقه حسن وعمره عشر سنوات(٣٨١).

وكان عدد من كوادر الشيوعيين الذين غادروا معتقل أبو زعبل في يونيو ١٩٥٦، تحمسوا لقرار تأميم القناة، وتوقعوا أن تشن الدول عدوانا على مصر لاستعادة القناة، ومن ثم تقرر في اجتماع القيادة المركزية للحزب الشيوعي الاستعداد للاشتراك في الكفاح المسلح ضد العدوان المتوقع، وإسناد القيادة إلى أحمد الرفاعي عضو اللجنة المركزية؛ نظرا لمشاركته في تأسيس نقابة صيادي بحيرة المنزلة، وفي كتائب الأنصار

٣٧٨) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢١ ديسمبر١٩٥٦، ص٤، " قصص البطولة - بطولات رجال البوليس".
٣٧٩) رابح لطفي، المصدر السابق، ص١٤٧.
٣٨٠) روز اليوسف، عدد ١٤٩٢ في ١٤ يناير ١٩٥٧، ص٩، "تجارب من بورسعيد بقلم إحسان عبد القدوس"..
٣٨١) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥١.

(ISSN : 2536 - 9555)

في القناة عام ١٩٥١، وخبرته بالمراكز والقرى المحيطة، فهو ابن قرية طناح بمركز دكرنس بالدقهلية. وعندما قرر الحزب أن يتوجه الأعضاء للخطوط الأمامية لتكوين لجان للمقاومة الشعبية، تواصلت عناصر من الحزب مع الحكومة، ووافق عبد الناصر على تدريب الشيوعيين في معسكر بقرية طويحر في أبو حماد بالشرقية، وتولى تدريبهم ضباط المخابرات وعلى رأسهم كمال رفعت[٣٨٢]. وعندما وقع العدوان قرر مجموعة من الشيوعيين منهم أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة دخول بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة بمساعدة الصيادين. وانطلقت إلى بلدة المطرية الواقعة على شاطئ المنزلة خلف بورسعيد ٣ سيارات تحمل مجموعة من ضباط المخابرات والشيوعيين[٣٨٣].

وإزاء صمود بورسعيد، بدأت العناصر الشيوعية المتمرسة في العمل السري تفكر في دخول للمدينة عن طريق بحيرة المنزلة، تلك البحيرة الشاسعة التي لا يعرفها غير من خبرها وعاش فيها وهم الصيادون، ويذكر شتلة والرفاعي في مذكراتهما (أيام الانتصار) الذي صدرت عام ١٩٥٧؛ أن الجماعات الشيوعية اتصلت ببعض الصيادين وأفهموهم أهمية الدور الذي يمكن أن يقوموا به، وبدأت المراكب تتهادى بين المطرية وبورسعيد تحمل الصيادين، وكان بينهم بعض العناصر الراغبة في الاشتراك في المعركة مع أبناء بورسعيد. وقد استقبلت المدينة الوافدين، وكانت كل منازلها مفتوحة لهم، فقد اعتقلت القوات البريطانية أحد هذه العناصر، لكنه تمكن من الفرار، ودخل أحد المنازل فأوته سيدة عجوز وبناتها، ولما اقتحمت القوات المنزل أنكروا وجود أي غريب[٣٨٤].

واستمر التسلل عبر بحيرة المنزلة، ويذكر أحد الكوادر الشيوعية في مذكراته والتي حملت عنوان (مذكرات معتقل سياسي) أن بعض شباب قريته ميت الحلوج التابعة لمركز دكرنس، تسللوا إلى بورسعيد، ومنهم عبد السلام خشان وفتحي مجاهد ومحمود صبيح، وكانوا يحملون قفف السمك وتحته منشورات تحث البورسعيديين على المقاومة[٣٨٥].

---

٣٨٢) السيد يوسف، مذكرات معتقل سياسي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩، ص٧١؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٤١.
٣٨٣) محمود الورداني، المصدر نفسه، ص٢٤٩.
٣٨٤) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص١٨، ١٩.
٣٨٥) السيد يوسف، المصدر السابق، ص٧٢.

أما الكوادر الشيوعية التي غادرت بورسعيد فور احتلالها، وتلقت تدريبا على ضرب النار وإلقاء القنابل في معسكرات الحلمية والزقازيق، فتم الاتفاق معهم على التسلل إلى بورسعيد عن طريق المطرية. وبحث ضباط المخابرات مع ثلاثة منهم من أعضاء حدتو: هاجوج والمرجاوي وسعد رحمي المعلومات الواجب الحصول عليها عن احتياجات الأهالي، وقوات العدو وتوزيعها، والعلامات الموجودة على خوذ الجنود وعلى العربات؛ لتحديد نوع القوات وعددها.

وروى هاجوج قصة دخوله بورسعيد بعدما تلقى تدريبا في معسكر الحلمية، فسافر إلى المنصورة فالمطرية، وارتدى جلبابا وطاقية تفوح منهما رائحة السمك، واصطحبه صاحب أحد المراكب من المطرية إلى بورسعيد، ولما وصل المركب إلى شاطئ بحيرة المنزلة قبالة قرية القابوطي، مكث هاجوج في زاوية صغيرة، واختفى في أحد البيوت. وأعطاه صاحب البيت قفة حملها وسار بها من قرية القابوطي في طريق طوله ٣ كم حتى وصل عزبة فاروق ثم سار في شارع محمد علي، حتى وصل إلى شارع كسرى في قلب بورسعيد، ولم يشك أحد فيه حيث بدا كأنه صياد عائد إلى بيته. وقد وصل إلى محل أسماك مغلق، وفتح له عم محمود المراكبي، فغير ملابسه، وخرج من الباب الثاني، حيث كان للمحل بابان كل باب يفتح على شارع مختلف، فدخل من شارع برداء الصيادين وخرج إلى الآخر بملابسه العادية. وانطلق إلى منزل عبد المحسن على بعد خطوات، وكان صديقه عضوا في اللجنة العليا للمقاومة الشعبية. والتقى هاجوج عشرة من أعضاء الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية على مقهي الطناحي الشهير في شارع الثلاثيني أمام سينما الحرية، ونقل لهم المهمة التي كُلف بها وهي رصد قوات العدو من خلال الوقوف قرب معسكراته، ورصد حركة السيارات وتسجيل علاماتها(٣٨٦).

وقد لعب أهالي وصيادو القابوطي وبحيرة المنزلة دورا مهما في نقل المقاومين الذين يتخفون في ملابس صياديين، فتقع قرية القابوطي على بعد ٥ كم جنوب بورسعيد، وسكانها البالغ عددهم ١٠ آلاف يعملون في صيد الأسماك من بحيرة المنزلة(٣٨٧).

٣٨٦) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٥٨؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٤٢، ٤٩، ٥٩، ٨٩.
٣٨٧) الأخبار، عدد ١٤٠٦ في ٣ يناير ١٩٥٧، ص٣، "سر وصول الأسلحة للفدائيين في بورسعيد".

(ISSN : 2536 - 9555)

فكانت مراكب الصيادين التي تُقل المتسللين تقف على مسافة أمتار من شاطئ البحيرة قبالة قرية القابوطي، وينزل الأشخاص إلى المياه، ويهرعون إلى زاوية صغيرة فيمكسون فيها قليلا، وبعد الاطمئنان إلى عدم وجود دوريات، يتحركون عبر طريق موحل على جانبيه بيوت خشبية مقامة على أعمدة حديدية، وعلى بُعد تظهر قبة الشيخ القابوطي. وكان الصياد المكلف بنقل الفدائي يستضيفه في بيته للراحة وتمهيدا لدخوله بورسعيد. وكان الفدائي يحمل قفة صغيرة ويسير ٣ كم حتى يصل عزبة فاروق ثم يمر على السجن والقناة الداخلية والورش ومخازن الخردة، فكانت تلك الأماكن قبل العدوان تغص بالصيادين والمراكبية والعمال، وباتت شبه مهجور إلا من سكان العزبة[٣٨٨].

ولما كان لابد من مركز قريب من بحيرة المنزلة لاستقبال المتسللين من المطرية إلى بورسعيد، تم استخدام منزل أم سعيد الضو البمبوطي، وهي سيدة تجاوزت الستين عاما، اعتادت الجلوس أمام بيتها قرب عزبة فاروق، تخرط الخيار والبرسيم للبط الذي يرعى حولها، فكان رجال المقاومة يمرون عليها ويقف أحدهم أمامها، فتُخرج له علبة سجاير وتفاوضه على الثمن، وتشرح له كيف يتجه ومن سيستقبله، أو تشير عليه بالدخول من باب خلفي ليغير ملابسه ويتسلم رسالة أو سلاح. كما اختار الفدائيون بعض الجزر لتخزين السلاح وتموين القوارب التي تقلهم لبورسعيد[٣٨٩].

وأيقن الإنجليز خطورة بحيرة المنزلة، فأقاموا نقطة مراقبة بجوار الشاطئ، حيث يتجمع الصيادين ويأتي الأهالي يشترون منهم السمك، فكان الجنود يسيرون بسلاحهم وسط الأهالي للمراقبة[٣٩٠]. ولكن لم تُجد المراقبة، واستمر تسلل الفدائيين والأسلحة؛ فقد استقل عدد من الفدائيين المتخفين في زي صيادين مركبا كان محمل بالليمون والطماطم، ووصلوا عزبة فاروق، وحتى يتمكنوا من المرور عبر نقطة الحراسة، عرضوا ما يحملونه في المركب على الإنجليز للبيع وأخذوا يساومونهم على السعر[٣٩١].

٣٨٨) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٤٥؛ ٤٦.
٣٨٩) محمود الورداني، المصدر السابق، ص ص٢٦٠ - ٢٦٢.
٣٩٠) كمال القلش، المصدر السابق، ص٧٧.
٣٩١) محمود الورداني، المصدر السابق، ص ص٢٦٢، ٢٦٣.

ورغم محاولة الشيوعيين تثمين دورهم في المقاومة، وأنهم أول من دخل المدينة بعد احتلالها؛ اعترفوا إنهم لم يكونوا وحدهم، وأنه كان معهم رجال المخابرات والأهالي[٣٩٢].

وبالفعل لم يقتصر الأمر على المتطوعين من الشيوعيين وغيرهم، وبهدف تعزيز المقاومة، شق عدد من الفدائيين طريقهم إلى بورسعيد من القيادة الرئيسية للفدائيين بالإسماعيلية[٣٩٣]. فتسلل إليها في ٨ نوفمبر بعض ضباط المخابرات منهم سمير غانم ومحمد أبو نار وصلاح زعزوع[٣٩٤].

فيذكر سمير غانم إنه عندما تم احتلال بورسعيد انسحب الصاغ يحيى القاضي إلى الاسماعيلية ليتفادى اعتقاله. ولما أصبحت المقاومة السرية فى بورسعيد دون قيادة طلب سمير غانم من رئيسه الصاغ حسن حلمي بلبل الموافقة على دخوله بورسعيد لقيادة المقاومة السرية وإمداد القاهرة بالمعلومات. وبالفعل تسلل إلى بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة على مراكب الريس عبد المنعم زعزوع ومعه جهاز لاسلكى صغير. وكتب تقريراً مفصلا وخطة للعمل، وأرسله إلى ضابط الاتصال بالمخابرات العامة، وتلخص في: (١) إعداد أماكن إيواء للمتطوعين المزمع إحضارهم من خارج بورسعيد، وأماكن لاستقبال وتخزين الأسلحة والذخيرة المطلوب تهريبها. (٢) تجنيد أفراد من أهالى بورسعيد ممن يسكنون بجوار المعسكرات والميناء لرصد تحركات القوات، وكذلك تجنيد أفراد منهم للمقاومة السرية. (٣) إرسال خرائط للمساعدة فى تحديد أماكن القوات المعتدية. وقد تذكر سمير غانم اليوزباشى شرطة مصطفى كمال الصياد من أهالي بورسعيد، الذي تعاون مع المخابرات عام ١٩٥٤. فتوجه إلى منزله فأخبره أنه نُقل من بورسعيد لكنه عاد إليها ليدافع عنها وأنه أعاد الاتصال بمن كانوا يتعاونون مع المخابرات سابقا، وإنه يضع نفسه ومجموعة كبيرة من رجال بورسعيد تحت قيادته، وقدم له أحد أقاربه وهو الشاب يحيى الشاعر أحد رجال المقاومة.

وكان سمير غانم يتصل بالقاهرة عن طريق جهاز اللاسلكي، وذلك من أماكن متفرقة من منازل مصطفى الصياد، وبعض الشقق التى تم استئجارها، ومن منزل ملازم

٣٩٢) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٤٨.
٣٩٣) الجمهورية، عدد ١٠٥٦ في ١١ نوفمبر ١٩٥٦، ص ١، "الفدائيون المصريون في مراكزهم في بورسعيد".
٣٩٤) عبد الفتاح أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٦٣؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٧٤.

(ISSN : 2536 - 9555)

الشرطة محمد سامي خضير، والذى كان نعم العون للمقاومة؛ حيث إن ضباط الشرطة كان يُصرح لهم بالسير فى شوارع بورسعيد فى أوقات حظر التجول. ولما وصل إليه جهاز أكبر حجما بصحبة الملازم محمد فرج من سلاح الاشارة – كما سيأتي بيانه – تمت تخبئتهما فى منزل يحيى الشاعر أحد شباب المقاومة. وقد وصلت دفعة من المتطوعين ممن تم تدريبهم فى الاسماعيلية، وتم ضمهم إلى رجال المقاومة من أهل بورسعيد، وتوالى إرسال متطوعين ودفعة من أفراد يساريين[٣٩٥]. وفى ١٤ نوفمبر تسلل عناصر من الصاعقة بقيادة جلال هريدي، وتعاونوا من سمير غانم[٣٩٦].

وعن دخول عناصر الصاعقة يروي أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، أن أعضاء الجبهة المتحدة اتصلت ببعض العناصر اليونانية، وتظاهر بعضهم بالتعاون مع الإنجليز، وأمكنها مد الجبهة بتقارير عن عدد القوات وأماكنها وتسليحها. ولما كانت تحتوي تفاصيل لا يفهمها إلا العسكريون، حيث كانت بعضها تحديد نوع القوات من العلامات التي توضع على قبعاتهم أو أذرعهم، رأت الجبهة إرسالها للقاهرة، واستفادت القيادة العسكرية منها، وبادرت بإرسال عناصر تستطيع العمل في ضوء هذه التقارير. فبدأت مراكب الصيد تأتي عبر بحيرة المنزلة تحمل صيادين لبيع السمك داخل بورسعيد، وكانت القوة الإنجليزية المكلفة بحراسة شاطئ البحيرة تأخذ منهم بعض ما يحملون، فكانوا يجتازون شوارع المدينة ينادون على بضاعتهم، لكنهم لم يكونوا صيادين، بل من الصاعقة وعناصر أخرى وافدة للدعم والمقاومة[٣٩٧].

وعن دخول ضباط الصاعقة بورسعيد، أوضح طاهر الأسمر إنه تم استدعاء كل ضابط حاصل على فرقة صاعقة، وتم دفع مجموعة منهم إلى بورسعيد فور احتلالها، وذلك عبر بحيرة المنزلة. وتمكن قائد المجموعة ومساعديه الملازم إبراهيم الرفاعي وحسين مختار من تجميع المعلومات التي طلبتها القيادة في القاهرة، بالإضافة لحصولهم على تقارير محافظ بورسعيد، الذي أمر بدخول رجال الصاعقة إلى المستشفى لإخفاء التقارير تحت الجبس. ونجحت الخطة، وعادوا للقاهرة بقطار الهلال الأحمر ضمن

٣٩٥) سمير محمد غانم، المصدر السابق.
٣٩٦) عبد الفتاح أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٦٣؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٧٤.
٣٩٧) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص٢٢، ٢٣.

المصابين. وفي ضوء ذلك صدرت الأوامر لرجال الصاعقة بالتوجه إلى بورسعيد للقيام بمهام محددة لإحداث خسائر جسيمة في قوات الأعداء. فتسلل رجال الصاعقة للمدينة وتم تهريب أسلحتهم عبر بحيرة المنزلة، وتم توزيعهم على عدة أماكن بالمدينة للاختفاء نهارا والظهور ليلا لتنفيذ المهام، ومن بينها عيادة طبيب الأسنان حسن جودة بشارع صفية زغلول ورمسيس. وكان يقطن بجوارها أحد الفرنسيين، فأبلغ بوجود تجمعات بالعيادة، فداهمتها إحدى الدوريات، وتمكن رجال الصاعقة من الهروب متسلقين مواسير الصرف، وتم استدعاء الدكتور حسن جودة، فأنكر معرفته بوجود أحد بالعيادة مؤكدا إنها مغلقة بسبب العدوان. كما كان بعض رجال الصاعقة يختبئون بعيادة الدكتور جلال الزرقاني بشارع صفية زغلول وصلاح سالم بجوار مسجد الرحمة. وقامت الممرضة فتحية الأخرس بتقديم المساعدة لهم، فكانت تلبسهم ملابس المرضى البيضاء. كذلك كان بعض رجال الصاعقة يختبئون في منازل الأهالي، ومنها منزل عدنان الشامي بشارع الثلاثيني بجوار سينما الحرية، ومنزل محمود خضير والد سامي خضير[٣٩٨].

وكانت الفرقة الأولى التي تقرر أن تدخل المدينة تضم قرابة ٣٠ ضابطا[٣٩٩]، منهم: اليوزباشي جلال هريدي، الملازمون: إبراهيم الرفاعي، نبيل الوقاد، حسين مختار، أحمد طاهر، محمد أحمد الجيار، محمد أحمد وهبي، عبد العزيز منتصر، أحمد عبد الله إسماعيل، طاهر الأسمر، فاروق الأسمر، مدحت الرديني، سيد حطبة، صبري شلبي، عصام إبراهيم، محمود عادل أحمد، مازن مشرف، عبد المجيد إدريس، ومن ضباط القوات المسلحة: اليوزباشي صلاح زعزوع، محمد أبو نار، نعمان رجب، الملازم منير موافي، الملازم فرج محمد فرج[٤٠٠].

وقامت الجبهة المتحدة بإخفاء الفدائيين ورجال الجيش ومساعدتهم[٤٠١]. وكان بعضهم يلتقي على مقهى ريفولي ببعض رجال المقاومة ممن ينتمون للحزب الاشتراكي

٣٩٨) ضياء الدين حسن القاضي، موسوعة تاريخ بورسعيد، الجزء الثالث، ص٢٤٠.
٣٩٩) روز اليوسف، عدد ١٤٩٢ في ١٤ يناير ١٩٥٧، ص٩، "تجارب من بورسعيد بقلم إحسان عبد القدوس".
٤٠٠) ضياء الدين حسن القاضي، موسوعة تاريخ بورسعيد، الجزء الثالث، ص٢٣٩.
٤٠١) شهدي عطية، المصدر السابق، ص ص١٨٠، ١٨١.

(ISSN : 2536 - 9555)

(مصر الفتاة سابقا)، فقد التقى جلال هريدي وكان يحمل اسما حركيا (حسني) بإبراهيم هاجوج أحد ممثلي الشيوعيين، وطلب الأخير منه الوثوق به والتعاون معه[٤٠٢].

كما تقرر أن تتوجه نصف القيادة الرئيسية للفدائيين من الإسماعيلية إلى بورسعيد، وفي ١٦ نوفمبر استقل عبد الفتاح أبو الفضل ومحمد فائق وضابط اللاسلكي محمد فرج، ومعهم جهاز لاسلكي، من المطرية بملابس صيادين إحدى مراكب الصيد، ووصلوا إلى موقع بعيدا عن نقط التفتيش البريطانية على بحيرة المنزلة، وكانت تنتظرهم عربة يد، فوضعوا أقفاص السمك عليها، وساروا مع صاحب العربة. وكان جهاز اللاسلكي، مفككا أربعة أجزاء مخبأة داخل أربعة أجولة من السكر، وتولى صاحب المركب توصيلها إلى قيادة المقاومة ببورسعيد. وسار أبو الفضل وزميليه خلف عربة اليد كما يفعل أصحاب البضائع، وتوقف صاحب العربة أمام مطعم فول وطعمية، ونادى على صاحبه الحاج محمد شلاطة، فاصطحبهم إلى منزل، ودخل عليهم اليوزباشي سمير غانم، واصطحبهم إلى مركز قيادته بمكتبة محمود العدني، وكان من أفراد المقاومة، وهناك وجدوا أجزاء جهاز اللاسلكي الأربعة ملفوفة في الجرائد[٤٠٣].

وجاء يحيى الشاعر البالغ ١٨ عاما، وأخذ إحدى اللفافات الأربعة وانطلق بدراجته إلى منزله، وعلى التوالي حضر ثلاثة شبان وفعلوا ما فعله. ثم توجه الضباط الثلاثة إلى منزل الشاعر، واستقبلتهم والدته أمينة الغريب، وقام الضابط فرج محمد بتجميع أجزاء الجهاز، وثبت الهوائي على سطح المنزل، وقام بتشغيل الجهاز، وأخفته السيدة أمينة في دولاب ملابسها، وكان يستخدم في نقل أخبار بورسعيد بشفرة إلى مراكز القيادة بالقاهرة والإسماعيلية. وفي حين استمر فرج محمد ملازما منزل الشاعر، انتقل أبو الفضل ومحمد فائق إلى شقة ملازم الشرطة سامي خضير المكلف بالاتصال بالمقاومة[٤٠٤]. وقد شملت المقاومة الشعبية السرية عشر مجموعات تحت قيادة سمير غانم[٤٠٥].

٤٠٢) كمال القلش، المصدر السابق، ص٥٧.
٤٠٣) أبو الفضل، المصدر السابق، ص ص١٦٤، ١٦٥.
٤٠٤) أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٦٥.
٤٠٥) محمد البنهاوي، قناة السويس وتاريخ مر من هنا، الطبعة الثانية، الإسماعيلية ٢٠٠١، ص٢٧٩.

وقد تجنب قائد المقاومة السرية مهاجمة الدوريات البريطانية عند ساحل بحيرة المنزلة، والتى يتم تهريب السلاح عبرها. وقد طلب منه مصطفى الصياد مهاجمتها على أساس إنها منعزلة، ولكنه رفض. ومع ذلك توجه الصياد ومعه: سيد بكر وسيد الكومي ومحمد تعلب ويحيى النجار وكامل فتيح والسيد عبد النبي إلى ساحل البحيرة، وقاموا بالقضاء على إحدى الدوريات، فنتج عنها تعزيز الحراسة وضبط شحنة أسلحة. وقد اعتذر الصياد ووعد بعدم تكرار مخالفة الأوامر(٤٠٦).

- **العمليات التي نفذتها مجموعات المقاومة**:

في ١٠ نوفمبر قامت مجموعة فدائيين برئاسة نصر الدين شحبر بقتل ٤ جنود بريطانيين وخطف سلاحهم، ثم قاموا بقتل آخر ناحية عزبة فاروق وألقوا به في القنال الداخلي. وأثناء عودتهم ألقوا قنبلة على سيارة في شارع محمد علي. والتقى ضابط الصاعقة محمد الجيار الذي كان يسكن في شارع عبادي شحبر قرب مقهي الطناحي؛ من أجل تنسيق العمل، وطلب تشديد العمل ليلا. وفي الثامنة والنصف مساءً، وحسب الاتفاق تجمعوا عند مدرسة الواصفية بشارع صفية زغلول، وكان هناك ٢٠ من رجال الصاعقة، وكان بحوزة شحبر ٣ قنابل وجهاز ديناميت، وبدأت معركة شرسة مع جنود الأعداء بالمدرسة استمرت حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل(٤٠٧).

وفي ١١ نوفمبر ولمدة أربع ساعات اشتبك الفدائيون مع موقع يحتله الفرنسيون، حيث توجهوا ناحية سينما الأهلي بمنطقة المناخ، وتمكنوا من القضاء على ٩ جنود، ثم عادوا لمقرهم في شارع أبو الحسن. وقد جاء اثنين من رجال الصاعقة ليبلغا شحبر بالهجوم على معسكر الجولف خلف السكة الحديد بعد منتصف الليل. وبالفعل هاجموا المعسكر، وألحقوا به خسائر، وأثناء انسحابهم حدث اشتباك مع دورية سيارة كانت تعبر الطريق إلى جمرك بورسعيد. وقد ازعجت تلك العمليات القوات المعتدية ،فقرروا تطويق المدينة بحثا عن الفدائيين والأسلحة. وعندما تقدمت المصفحات وحاملات الجنود من

٤٠٦) سمير محمد غانم، المصدر السابق.
٤٠٧) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٢٠.

(ISSN : 2536 - 9555)

ناحية شارع محمد علي، فاجأهم رجال المقاومة بالقنابل والأسلحة المضادة للدبابات، وتم القضاء على عدد من الجنود، وانسحب الباقون ناحية حي الإفرنج(٤٠٨).

وفى ١٥ نوفمبر وقف عدد من الفدائيين تحت البواكي في شارع الثلاثيني أمام سينما مصر، وانتظروا مرور أية دورية، ولما مرت سيارة فى التاسعة صباحا، فتحوا النار عليها وانسحبوا في الحال. كما هاجم بعض الفدائيين دورية مترجلة وألقوا عليها قنابل يدوية. وفى المساء قام آخرون بإلقاء قنابل على معسكر للإنجليز في المدرسة اليونانية، وقام تشكيل آخر بنسف سيارتين بشارع الملكة فريدة. وفي ذلك اليوم، وإزاء معلومات أن بين الفدائيين بعض الضباط، اعتقلت القوات المعتدية بعض ضباط البوليس بحجة صلتهم بالفدائيين، وقبضوا على بعض المُدرسين، ثم أفرجوا عنهم بعدما تبين أنهم ليسوا ضباطا(٤٠٩).

وعندما ألقى جنود بريطانيون قنبلة على كنيسة أثناء اعتدائهم على الأهالي، وقتلوا طفلة و٣ نساء، اشتبك الفدائيون معهم في معركة استمرت طوال الليل، وقتلوا ٣ ضباط وخمس جنود(٤١٠).

وفي العاشرة مساء ١٦ نوفمبر ألقيت قنبلة على سيارة نقل في شارع كسرى ومحمد علي، كانت تحمل مواد غذائية للقوات المعتدية. واستوقف رجال المقاومة سيارة جيب في شارع محمد علي أمام الكنيسة كانت تحمل أغذية ومعلبات وكراتين بسكويت، فتم قتل الحراس والسائق، ونقلت المواد الغذائية إلى قلب المدينة لتوزيعها على المواطنين(٤١١).

وفي ١٧ نوفمبر سير العدو دوريات كثيرة مكبرة ومسلحة، ووضعوا حواجز وأسلاكا شائكة عند مرسى المراكب(٤١٢). وقصفوا سيارة إسعاف وقتلوا رئيس فرقة الإسعاف(٤١٣). وهاجم الفدائيين دورية بريطانية بشارع عباس، وأصيب عبد المنعم مختار، وأثناء نقله

٤٠٨) المصدر نفسه، ص٢١.
٤٠٩) لواء أركان حرب محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٤، ١٣٥.
٤١٠) سمير صادق، المصدر السابق، ص٢٠٥.
٤١١) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٣٨.
٤١٢) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٥.
٤١٣) عبد المنعم عبد القادر، المصدر السابق، ص١٠٨.

إلى المستشفى، قبض البريطانيون على محمد شاكر مخلوف. وفى اليوم التالي استهدف الفدائيون سيارة إذاعة بريطانية كانت توجه نداءات للأهالي(٤١٤).

وفي شارع الثلاثيني الذي يتميز بوجود البواكي على الجانبين، وقف خلف أعمدة البواكي مجموعة من الشباب، وفي الجهة الأخرى على الرصيف الآخر وقفت مجموعة أخرى، وانهمرت القنابل على سيارة نقل جنود كانت تعبر الشارع. واشتعلت السيارة وانطلق السائق بها مذعورا ودخل كنيسة الأقباط، لكن لم ينج أحد من الجنود. وشاهد المارة ما حدث، وواصلوا سيرهم بشكل عادي، حيث كانت مسألة الهجوم على دوريات العدو مألوفة، تحدث في كل شارع في أي لحظة. وبعد أيام قليلة، تكرر المشهد قرب مقهى رأس البر في حي العرب، فألقى عدد من الفدائيين قنابل على سيارة كانت في طريقها إلى مطار الجميل غرب المدينة، فاصطدمت بعامود أحد البواكي، فترجل الجنود منها فكانت بنادق الفدائيين في انتظارهم(٤١٥).

وأصبحت عملية إلقاء القنابل اليدوية مشهد يومي يراه من يسير في شوارع بورسعيد، فكان الفدائي يركب دراجته ويسير حتى يقترب من سيارة عسكرية داخلها جنود، فيلقي القنبلة وينطلق بدراجته، ويتكرر الأمر في اليوم التالي في مكان آخر(٤١٦).

وقد فطن الأعداء إلى بعض الأماكن التي يأوي إليها الفدائيون لتنظيم وتدبير الخطط، فلجأ الفدائيون إلى المقاهي البلدية كالأهرام والطناحي وإحدى النقابات، وكلها في شارع الثلاثيني في حي العرب(٤١٧).

وعلى إثر تكرار عمليات المقاومة، شهد يوم ١٨ نوفمبر نشاطا ملحوظا للعدو، فقامت دورياته بتفتيش العديد من المنازل، وظلت تجوب المدينة بحثا عن الأسلحة، وانطلقت السيارات ذات مكبرات الصوت تعلن حظر التجوال. وألقت الطائرات منشورات تدعو الأهالي للعودة إلى أعمالهم. ونشطت بالميناء سفن العدو الخاصة بتطهير القناة،

٤١٤) أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٦٣.
٤١٥) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٧٩، ٨٠.
٤١٦) المصدر نفسه، ص٧٩.
٤١٧) مجلة الشئون البلدية والقروية، السنة الأولى، العد الثاني، نوفمبر ١٩٥٦، ص١٦.

(ISSN : 2536 - 9555)

في محاولة لإزاحة الكراكة الغارقة بالقناة أمام باب (٦). وقبيل الغروب مدت القوات المعتدية أسلاك شائكة حول المدارس التي تحتلها، وكثفت من الدوريات الليلية[٤١٨].

ولكن التحدي والصمود لم يفتر، وزادت المقاومة شراسة، ففي ١٩ نوفمبر شكت القوات الفرنسية في بورفؤاد من حركات تقوم بها عناصر المقاومة بشكل لم تعد القوات تأمن فيه على حياتها، فقد فتح مجهولون النار على معسكر الفرنسيين لمدة ساعة ثم اختفوا. وكذلك دفع ازدياد المقاومة الإنجليز إلى إخراج عربات تطوف شوارع بورسعيد بمكبرات الصوت، تطالب الأهالي بعدم تحدي القوات. ومع ذلك ظلت المقاومة تزداد حدة. فطالب الكولونيل إيفانس ضابط الشئون المدنية بسلطة أوسع لمواجهة التهديد الشعبي للجنود، وقال لمراسل الإذاعة البريطانية ببورسعيد أن المقاومة المتزايدة أصبحت منظمة، ولذلك تقرر تسيير دوريات تشترك فيها قوات البوليس الحربي[٤١٩].

ولم يُجد ذلك؛ ففي ٢٢ نوفمبر ظهر بعض رجال الصاعقة ناحية سينما الحرية بحي الإفرنج واشتبكوا مع قوات العدو. وتقدم بعض أفراد المقاومة عند تقاطع شارع الثلاثيني ومحمد علي للاشتباك مع الدوريات الإنجليزية، وتقدموا ناحية مدرسة الوصفية حيث ترابط قوة إنجليزية، ولكن ظهرت سيارة ناحية قهوة الفلاح المواجهة للمدرسة، فاشتبكوا مع أفرادها، ثم هاجموا المدرسة التي يوجد بداخلها قيادة إنجليزية[٤٢٠].

وإزاء تنامي المقاومة تزايدت وتيرة العنف من جانب الأعداء، وكان حي العرب ببيوته الصغيرة هدفا لهم، اعتقادا منها أنه وكرا للمقاومة، واستخدمت القوات المعتدية طائرات الهليكوبتر للبحث عن الفدائيين الذين يثيرون الذعر بين الجنود الإنجليز والفرنسيين، وذكر مراسل الأهرام في لندن أن التقارير الواردة من بورسعيد تؤكد أن مقاومة الأهالي تزداد[٤٢١].

---

٤١٨) عبد المنعم عبد القادر، المصدر السابق، ص١٠٨؛ محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٥.

٤١٩) المساء، عدد ٤٥ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "اشتداد المقاومة في بورسعيد".

٤٢٠) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٣٥.

٤٢١) الأهرام، عدد ٢٥٥٥١ في ١٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "فليشهد العالم ما فعله المجرمون في بورسعيد"؛ عدد ٢٥٥٥٣ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "تسلل الفدائيين إلى مواقع العدو في بورسعيد"

ومن جانبها، قدمت مصر في ١٩ نوفمبر مذكرة بعنوان "الاعتداءات الوحشية على المدنيين في بورسعيد"، قدمها مندوب مصر في الأمم المتحدة إلى السكرتير العام، لفتت فيها نظره إلى أنه على الرغم من مرور ١٢ يوما على قرار سحب بريطانيا وفرنسا قواتهما من بورسعيد، فإن هذه القوات لم تنسحب، وتقوم باعتداءات وحشية، كإطلاق النار على المدنيين وتفتيش ونهب البيوت والمتاجر، والتهديد بالقوة لإجبار العمال على العمل. ومرة أخرى في ٢١ نوفمبر، أبلغت مصر همرشولد باستمرار القوات المعتدية في أعمالهما العدوانية ضد الأهالي، وتفتيش المنازل في أوقات غير عادية(٤٢٢).

ولكن لم تأبه القوات المعتدية، واستمرت في تفتيش المنازل والاعتداء على المدنيين، وقامت بالتشويش على إذاعة القاهرة حتى لا يتسنى لأهالي بورسعيد الاستماع إليها، وقامت بانتزاع أجهزة الاستقبال من المنازل. وفوق ذلك منعت دخول أي صحفي أجنبي بورسعيد، خشية تسجيله ما يحدث، فمنعت بعض المراسلين، واعتقلتهم ١٢ ساعة، ثم أصدرت الأوامر لهم بالعودة للقاهرة(٤٢٣).

ومن جانبهم تابع رجال المقاومة عملياتهم، ففي ٢٣ نوفمبر كانت سيارة تقف بجوار محلات ندا بشارع أبو الحسن، وبها ثلاثة جنود فرنسيين، فألقوا عليها قنبلة، وعندما حاول الجنود القفز، تم قتلهم. وفي العاشرة صباح ٢٥ نوفمبر تم قتل سيدة فرنسية في سيارة جيب أمام محل حلويات أبو العلا بشارع الروضة. وفي الثانية عشر انتشر مجموعة من الفدائيين في شوارع حي العرب، وتم قتل جنديين بريطانيين، وأُخذت أسلحتهم وكرنيهاتهم. وفي الرابعة عصرا مرت سيارة بها ١٢ جندي في شارع أبو الحسن وأوجينى، فألقيت عليها ثلاث قنابل. وعلى أثر ذلك تعرض الحي كله لحملة تفتيش واسعة، ركزت على شوارع أبو الحسن وعبادي وعباس والروضة وعرابي(٤٢٤).

وقد اعتاد الفدائيون التسلل إلى مواقع العدو وتنفيذ عمليات ضد جنوده(٤٢٥)، فعندما لاحظ رجال المقاومة أن أفراد البوليس الحربي البريطاني يقيمون في مبنى بشارع

٤٢٢) وزارة الخارجية، المصدر السابق، ص ص١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٣٥.
٤٢٣) الأهرام، عدد ٢٥٥٥٣ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "فظائع القوات المعتدية في بورسعيد".
٤٢٤) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٣٩.
٤٢٥) الأهرام، عدد ٢٥٥٥٣ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "تسلل الفدائيين إلى مواقع العدو في بورسعيد"

(ISSN : 2536 - 9555)

الإسكندر والسلطان حسين، وخلفه أرض فضاء، تتمركز فيها يوميا مع بدء حظر التجوال سيارات عسكرية؛ تسللت في ٢ ديسمبر أربع مجموعات من الفدائيين إلى أسطح المنازل الأربعة المشرفة على المعسكر، وفتحوا نيران أسلحتهم على المعسكر(٤٢٦).

وظلت قيادة العدو تبدي انزعاجها من زيادة التحدي والكراهية التي يبديها أهالي بورسعيد. وجاء الجنرال كيتلي القائد العام للقوات المشتركة إلى بورسعيد للوقوف على الأمر، وأصدر بيانا تطرق فيه إلى أثر المقاومة الشعبية على الجنود. ولم يكن كيتلي مبالغا، فقد كان للمقاومة تأثير كبير في نفوس الجنود الإنجليز والفرنسيين، وبدأ الاستياء ينتشر بينهم، وطالب بعضهم بإعادتهم إلى بلادهم؛ جراء الخوف وشعورهم بأنهم جاءوا ليموتوا بلا ذنب ولا دفاعا عن مبدأ، وأن زوجاتهم وأولادهم سيترملون ويتيتمون(٤٢٧).

ولم يقف الإنجليز مكتوفي الأيدي، فقد امتلأت المعتقلات التي أقاموها في بورسعيد، وكانوا يتفننون في تعذيب المعتقلين، ويرمون بالرصاص من يصفعهم بحقيقتهم أو يقف في وجههم(٤٢٨). فقد أذاعت القوات المعتدية بيانا للمواطنين بأن كل من يريد تصريحا لترحيل عائلته يذهب إلى خفر السواحل بجوار كازينو بالاس، وممنوع ترحيل الشباب والرجال. فذهب بعض الشباب على أمل أخذ تصريح لترحيل أهلهم، ولكن كان المقصود اصطيادهم لاعتقالهم ومعرفة أفراد المقاومة، فتعمد جنود الاحتلال وضع الشباب في طابور، وتم التحفظ على بعضهم واستجوابهم. كما تم إجبارهم على مسح المكاتب وغسل ملابس الجنود. وكان ضمن هؤلاء أحد الشباب المشاغبين، كان قد خرج من السجن بعد قصفه، فأمره جاويشا بغسل الملابس، ثم أمره بشرب ماء الغسيل، فرفض، فأرداه قتيلا أمام زملاؤه. وكرروا الأمر مع باقي الشباب، وقتلوا ستة منهم رفضوا شرب ماء الغسيل، فكانوا يستقبلون الموت بشجاعة، وبعضهم صرخ "الله أكبر يسقط الأعداء عاش عبد الناصر". وفي اليوم التالي أطلقوا سراح باقي الأسرى(٤٢٩).

---

٤٢٦) أبو الفضل، المصدر السابق، ص١٦٦.
٤٢٧) المساء، عدد ٤٣ في ١٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥،"رأي وخبر"، عدد ٤٦ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص١،"ازدياد عنف المقاومة الشعبية".
٤٢٨) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣٦.
٤٢٩) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص ص٢٣، ٢٤.

ولم تكن قصص البطولة في بورسعيد وقفا على أحد، فانخرط في صفوف المقاومة الكثير من البمبوطية؛ فانضم سعيد الضو للمقاومة بعدما فقد عمله نتيجة العدوان(٤٣٠).

ولم تختف نساء بورسعيد من المشهد، وضربن أروع الأمثلة(٤٣١)، فكن يستخدمن غطاء الحلل والسكاكين وكل ما تصل إليه أيديهن لضرب قوات العدو(٤٣٢). فهذه سيدة أرسلت أطفالها مع والدتها إلى دمياط، وبقيت مع زوجها وأشقائها الذين انخرطوا في المقاومة. وسيدة أخرى أشعلت النار في مَرتبة وألقتها على جنود يقفون أسفل المنزل لقنص رجال المقاومة، وقد أصيبت برصاصة في ذراعها(٤٣٣). وهذه أخرى تشجع ابنها الثالث رغم صغر سِنه على التطوع في لجان المقاومة الشعبية، بعد استشهاد أخويه مع قوات الحرس الوطني في بورسعيد في بداية العدوان(٤٣٤).

وكان ضمن مجموعات المقاومة مجموعة نسائية برئاسة زينب الكفراوي، وكانت مهمتها تهريب الأسلحة والذخيرة التي تأتي للفدائيين عبر بحيرة المنزلة، فقد استعارت عربة طفل من شقيقتها، وكذلك استعارت ابن شقيقتها الرضيع، وكانت تتسلل إلى جنوب المدينة حيث بحيرة المنزلة، ثم تعود بقطع الأسلحة مخبأة في عربة الطفل. وفي إحدى المرات استوقفتها دورية، فصرخت في وجه قائدها، والتف الأهالي، فأسرعت الدورية بالانسحاب خوفا من الأهالي(٤٣٥).

وعلى شاكلتها الممرضة فتحية الأخرس الشهيرة بأم علي، والتي أخفت مجموعة ضباط وجنود الصاعقة، فقد كانت تعمل ممرضة في عيادة الدكتور جلال الزرقاني، ولما لجأ الجنود بعد تنفيذ عملية إلى تلك العيادة، ألبستهم لباس المرضى، وتصدت لدورية جاءت تفتش العيادة بحثا عمن نفذوا العملية(٤٣٦).

ولم تقتصر المقاومة في سلاحها على البنادق والقنابل، بل كان من أسلحتها التضليل والسخرية، ولعب الشباب والصبية دورا في ذلك، فكانوا يقومون بطمس اللافتات

٤٣٠) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦١.
٤٣١) الأهرام، عدد ٢٥٥٦٢ في ٢٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص١.
٤٣٢) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٧٩.
٤٣٣) المساء، عدد ٤٠ في ١٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "قصص بطولة".
٤٣٤) الأهرام، عدد ٢٥٥٤٨ في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "بطولات الأمهات في بورسعيد".
٤٣٥) ضياء الدين حسن القاضي، المرجع السابق، ص٦٥١.
٤٣٦) المرجع نفسه، ص٦٥١.

(ISSN : 2536 - 9555)

التي تحمل أسماء الشوارع والحارات لتضليل الغزاة، وكانوا على الجدران والأسوار وأسفلت الشوارع، يكتبون بالعربية والإنجليزية العبارات الداعمة للروح الوطنية المثبطة لمعنويات الغزاة، ومنها عبارات: (مصر مقبرة للغزاة) (لا تستمع إلى إذاعات الأعداء) (Down Eden, Long live Nasser) (The canal is ours) (Go to hell)[٤٣٧].

وكانت الدوريات الإنجليزية لا تنفك عن المرور في الشوارع لإزالة عبارات السخرية المكتوبة على الجدران، وإنزال صور عبد الناصر وعبارات التأييد الشعبي له. وذات يوم مرت دورية بإحدى الشوارع فوجدت عبارة (Your king is a Woman)، فكان الجنود الإنجليز يقفون أمامها متسائلين وماذا في ذلك، ويواصلون المرور دون أن يزيلوا العبارة، وهم لا يعرفون مدلولها عند العامة.

ولم يغظ الإنجليز والفرنسيين في بورسعيد أكثر من الأطفال؛ ففي إحدى المرات مرت دورية في إحدى الشوارع، فرأى قائدها صبيا يكتب على الحائط بالبوية السوداء (Down in Kitly) وأمامها بالعربية يسقط الجنرال كيتلي، فتقدم الضابط لمداعبة الصبي، وقال له في سخرية كلمة (Kitly) تكتب (Kitli)، فناوله الصبي ببساطة فرشاة الدهان وطلب منه أن يُصححها بنفسه، فأمسك الضابط بالفرشاة وراح يكتب، وإذا به يفاجأ بصياح وتهليل الأطفال حوله، حيث تبين أن الصبي كان يخفي في ملابسه آلة تصوير، ولما أمسك الضابط بالفرشاة التقط الصبي صورة له وهو يكتب يسقط كيتلي أي يسقط قائده، وانطلق الصبي ولم تلحق به الدورية التي طاردته، ولم يصبه رصاصها[٤٣٨].

وكتب الصبية على كلب أبيض أجرب عبارة إيدن، وأطلقوه في الشوارع، فكانت الدوريات الإنجليزية كلما سارت تجد الكلب، فحملوه ووضعوه في قسم أول، فانطلق الأطفال في الشوارع يصيحون (إيدن مقبوض عليه، إيدن في القسم..!)[٤٣٩].

وتوقفت دورية في إحدى الشوارع عند جسم أسود، فاعتقدوا أنه لغم، واستدعوا خبراء الألغام ورجال الإطفاء الإنجليز لإبطال مفعول اللغم، ولما اقتربوا منه انفجر ما

٤٣٧) قاسم مسعد عليوة، المرجع السابق، http://www.portsaidhistory.com
٤٣٨) الاثنين والدنيا، عدد ١١٨١ في ٢٨ يناير ١٩٥٧، ص٩، "بورسعيد تضحك على الإنجليز"؛ بنت النيل، عدد ١٣٦ في فبراير ١٩٥٧، ص٨٧، "بنت النيل بين الأطفال في بورسعيد".
٤٣٩) الاثنين والدنيا، المصدر نفسه، ص٩، "بورسعيد تضحك على الإنجليز".

كانوا يعتقدونه لغم، وفروا بعيدا، وسرعان ما اكتشفوا إنه لعبة من ألعاب الأطفال، هيأها الأهالي على شكل لغم ووضعوا فيها مادة كاوية. وقد صفق الأطفال وانطلقت زغاريد النساء سخرية من الإنجليز(٤٤٠).

وعلق الأهالي بالحبال دميتين كبيرتين في أحد الشوارع، وكتبوا على واحدة إيدن وعلى الأخرى موليه، ووضعوا تحتهما صندوقا خشبيا وكُتب عليه بالإنجليزية (احذر الاقتراب متفجرات). ولما رأته دورية، أبلغت قيادتها، فهرع إلى المكان قوات كثيرة، وفرضوا سياجا حول المكان، وتقدم خبراء المفرقعات وظلوا يختبرون الصندوق ببعض الأسلاك والأجهزة، والأهالي يكتمون الضحك، وبعد فترة رفع الجنود الصندوق، فوجدوا مكتوبا تحته على الأسفلت بالبوية (Down with Eden, Down with Molley, Canal is your Grave). وامتلأ أسفلت الشوارع بهذه الشعارات(٤٤١).

وفي حين أزعجت مقاومة أهالي بورسعيد العدو، نالت استحسان الجميع، فبدأ الحديث عن تغيير اسم بورسعيد، وتلقت الصحف ووزارة الداخلية رسائل عديدة في هذا الشأن، فاقترح مصطفى جعفر من إيتاي البارود تغيير اسم بورسعيد إلى الفدائية، واقترح مواطن آخر من بني سويف أن يكون اسم بورسعيد ميناء فريد تخليدا لذكرى محمد فريد، واقترح ثالث تغيير اسم بورسعيد إلى ميناء الأبطال. في حين رأى آخرون الإبقاء على اسم بورسعيد الذي صار اسما عالميا، وإطلاق اسم الفدائية على أحد أحياء المدينة وليكن حي المناخ أو على بورفؤاد. وجاءت بعض الاقتراحات بضرورة إزاحة تمثال ديليسبس وإبداله بتمثال آخر يُخلد التأميم. وجدير بالذكر أن العواصم العربية كانت تتناقل ما يقوم به أهالي بورسعيد، وقد ألهب صمودها وبطولات أهلها النضال في الجزائر، فصرح أحمد توفيق عضو جبهة تحرير الجزائر أن فشل إنجلترا وفرنسا في احتلال مدينة مصرية يزيد حركة النضال الجزائرية(٤٤٢).

---

٤٤٠) الاثنين والدنيا، المصدر نفسه، ص٩، "اللغم الهائل".
٤٤١) كمال القلش، المصدر السابق، ص٩٧.
٤٤٢) الجمهورية، عدد ١٠٦٠ في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "انتصار بورسعيد يلهب النضال في الجزائر"، عدد ١٠٦٧ في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "ميناء الأبطال"، عدد ١٠٦٩ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٨، "اسم بورسعيد بين الإبقاء والإلغاء".

(ISSN : 2536 - 9555)

ثالثا: المقاومة منذ دخول قوات الطوارئ وحتى انسحاب القوات المعتدية :

أذهلت المقاومة الشعبية في بورسعيد في الأيام السابقة القوات المعتدية، وأوقعت الرعب في نفوسهم، فقبلت إنجلترا وفرنسا قرارات الأمم المتحدة، حيث كانت الجمعية العامة قد أصدرت قرارا في ٤ نوفمبر بتكليف همرشولد بتشكيل قوات طوارئ دولية وإرسالها إلى المنطقة(٤٤٣). وتنفيذ لهذا القرار تقرر إرسال قوات طوارئ دولية إلى مصر. ومع ذلك كان الشعور العام في بورسعيد أن الاستعمار لا يفي بوعوده، وأن المعركة لم تنته لأن الأمر معلق على انسحاب القوات المعتدية(٤٤٤). فطبعت الجبهة المتحدة منشورا طالبت فيه الأهالي بالاستمرار في المعركة ولا يستكينوا لقرار الأمم المتحدة(٤٤٥).

على أية حال جرت مباحثات بين الحكومة المصرية وسكرتير عام للأمم المتحدة حول تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بانسحاب القوات المعتدية من بورسعيد ومهمة قوات الطوارئ، وأسفرت المباحثات في ١١ نوفمبر عن الاتفاق على أن تكون موافقة مصر لازمة لاشتراك أية دولة في قوات الطوارئ، وألا يكون لقوات الدولية أي عمل في بورسعيد بعد انسحاب القوات المعتدية. وعليه في ١٥ نوفمبر بدأت طلائع قوات البوليس الدولي تصل مطار أبو صوير. وبحلول ٢٠ نوفمبر كان قد وصل ٦٩٦ جنديا، وتقرر أن تغادر أبو صوير في الثامنة صباح ٢١ نوفمبر بقطار خاص إلى بورسعيد؛ للإشراف على انسحاب القوات المعتدية تنفيذا لقرار الأمم المتحدة(٤٤٦).

---

٤٤٣) محمود رياض، المصدر السابق، ص١٥٨. كان داج همرشولد قد أعلن استقالته في ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ احتجاجا على العدوان، لكن معظم الدول ومنها مصر طالبته بالاستمرار في منصبه من أجل السلام، فجاء إلى مصر مع أول مجموعة من قوات الطوارئ الدولية.

٤٤٤) روز اليوسف، عدد ١٤٨٤ في ١٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "البوليس الدولي"، ص٣١، "همسات القراء"، عدد ١٤٨٥ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "أسلحة جديدة بقلم إحسان عبد القدوس".

٤٤٥) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٧.

٤٤٦) الأهرام، عدد ٢٥٥٤٩ في ١٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "طلائع البوليس الدولي في أبو صوير"، عدد ٢٥٥٥٤ في ٢١ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "البوليس الدولي يدخل بورسعيد"؛ Year Book Of The United Nations 1956, Op. Cit, p. 41. وفي استجابة مباشرة للقرار رقم ١٠٠١ في ٧ نوفمبر، عرضت ٢٤ دولة المشاركة في القوة الدولية. وجرت مشاورات بين الأمين العام والجنرال بيرنز لاختيار وحدات لتلبية احتياجاته. وتقرر أن تكون القوة من ١٠ دول: البرازيل، كندا، كولومبيا، الدانمرك، وفنلندا، والهند، وإندونيسيا، والنرويج، والسويد، ويوغوسلافيا. وبدأ وصول القوات تباعا إلى أبو صوير اعتبارا من ١٥ نوفمبر.

وفي غضون ذلك فكرت قيادة القوات المعتدية في خطة لتبين للقوات الدولية عند وصولها أن الأهالي يتعاونون معها ويقبلون مساعدتها، فأعلنت أن لديها ٢٠٠٠ طن قمح على استعداد لتسليمها للمواطنين، فلم يتقم أحد، وظل القمح بالمخازن. ومع اقترب موعد وصول القوات الدولية، فكرت سلطات الاحتلال في حيلة، فأخرجت القمح إلى الطريق العام، وأعدت المصورين ظنا منها أن الجماهير ستتدفق مدفوعة بالجوع. وقد قررت عناصر المقاومة الاستيلاء على القمح وإحباط المؤامرة، فقامت بتحركات وهمية في الحي العربي، فاندفعت القوات إلى هناك وبصحبتها المصورين يحلمون أنهم سيسجلون معركة رهيبة. وأحكمت القوات الحصار على حي العرب، فأحاطوه بالأسلاك الشائكة، ولكن سرعا ما تنبهت القوات للخدعة، فأزالت الحواجز وعادت إلى مراكزها الأولى، لكن كانت كميات القمح قد اختفت. وتم توزيعها على الأهالي، وبذلك وجهت المقاومة ضربة مضاعفة، فسلبت تموين المستعمر وأحبطت مؤامرته(٤٤٧).

وفي صباح ٢١ نوفمبر احتشد الجماهير على طول الطريق من أبو صوير إلى بورسعيد، لاستقبال الفوج الأول من القوات الدولية المتجهة إلى بورسعيد، وضم ١٩٣ نرويجيا برئاسة العقيد فيك سيجورد، فخرج أهالي القنطرة لاستقبال القطار وأطلقوا عليه قطار السلام. وصل القطار بورسعيد الساعة ١٢ ظهرا، وفي مقدمته علم الأمم المتحدة(٤٤٨). وعلى الرغم من الترتيبات البريطانية الفرنسية، عزم الأهالي على تنظيم مظاهرة لاستقبال القوات الدولية. فجرى لصق صور عبد الناصر على لوحات خشبية، وجُهزت لافتات قماش كُتب عليها بالفرنسية والإنجليزية والعربية "يسقط الاستعمار، عاش جمال رمز المقاومة، الموت للمعتدين ..إلخ". وتم إخفاءها بين الناس المحتشدة في محطة السكك الحديدية في انتظار رؤية القوات الدولية. وفي اللحظة التي وصلت فيها القوات، ارتفعت اللافتات في الحال، وبدأت المظاهرة(٤٤٩).

---

٤٤٧) الجمهورية، عدد ١٠٦٩ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "ضربة بارعة توجهها المقاومة السرية".

٤٤٨) المساء، عدد ٤٧ في ٢١ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "دخول البوليس الدولي بورسعيد"؛ الأهرام، عدد ٢٥٥٥٥ في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "قوات البوليس تدخل بورسعيد"، "تقرير همرشلد"؛ وزارة الخارجية، الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي، ص١٤٠.

٤٤٩) كمال القلش، المصدر السابق، ص٦٨؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٧.

(ISSN : 2536 - 9555)

وكان بطل المظاهرة عبد الحكيم عبد الرحيم البالغ ١٥ عاما، والذي نشرت صحف العالم صورته وسط المظاهرة وستوكويل قابض عليه. فعندما علم بموعد وصول قوات الطوارئ الدولية قرر وزملاؤه تنظيم مظاهرة لاستقبالهم. وتجمع في المحطة سبعة آلاف شخص، فخشي الإنجليز أن يتطور الموقف، فتقدمت قواتهم لتمنع الناس من الاحتشاد، ولكن الأهالي لم يرهبهم السلاح. وتقدم عبد الحكيم إلى قائد القوة الإنجليزية وأبلغه أنه يستطيع تهدئة المتظاهرين والسيطرة عليهم، فطلب القائد من جنوده تخفيف الضغط عن الأهالي، وترك عبد الحكيم يتصرف معهم. ودخل عبد الحكيم بين المتظاهرين، واتفق معهم سرا على توحيد الهتاف. وفور وصول القطار، قاد الهتاف، فاستاء الإنجليز وقرروا تفريق المتظاهرين، وأمر الجنرال ستوكويل جنوده بالقبض على الشاب الذي يقود المظاهرة، فالتف المتظاهرون حوله ليحموه. ونزل ستوكويل بنفسه وتقدم نحوه ووضع يده على كتفه، وتقدم ثلاثة من الجنود وصوبوا بنادقهم في صدره، وأمره ستوكويل بركوب سيارة مصفحة، فرفض. وأحاطت المظاهرة بهما، وتأزم الموقف، فتركه ستوكويل. ثم بدأ طابور البوليس الدولي يسير خارج المحطة، وسار المتظاهرون أمامه يهتفون. سارت المظاهرة في شارع مصطفى كامل في اتجاه القناة، وانضم إليها مزيد من الأهالي، وعندما وصلوا شارع فؤاد؛ أمسك ستوكويل بعبد الحكيم مرة ثانية، ووضعه الجنود في سيارة ستوكويل، فتزاحم الناس حولها، وكونوا بينها وبين بقية السيارات الإنجليزية حاجزا، فقفز عبد الحكيم، وسار وسط أفراد البوليس الدولي(٤٥٠). وأضاف مراسل الديلي ميل في روايته عن المظاهرة، أن بطلها حاول أن يُلقي بقبعة ستوكويل على الأرض عندما أمسك به، في محاولة منه لإهانة بريطانيا(٤٥١).

وقد استمرت المظاهرة، وكانت الهتافات تتصاعد بالإنجليزية والفرنسية، فأثار ذلك دورية فرنسية فأطلقت النار على المتظاهرين(٤٥٢). ولم يؤثر ذلك فيهم، فسيطرت عليهم

٤٥٠) آخر ساعة، عدد ١١٥٥ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، "الشاب الذي قبض عليه ستوكويل".
٤٥١) الجمهورية، عدد ١٠٧٠ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الديلي ميل تروي قصة مظاهرة بورسعيد".
٤٥٢) شهدي عطية، المصدر السابق، ص١٨١. كان يرافق قوات الطوارئ الدولية إلى بورسعيد مصور سينمائي من جنود هذه القوة، وقام بتصوير فيلم كامل لدخول بورسعيد ومظاهرات الأهالي واعتداء الجنود الإنجليز عليهم. آخر ساعة، عدد ١١٥٣ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢٨، "مع البوليس الدولي داخل بورسعيد".

الحماسة والرغبة في التحدي، وانضم إليهم من كانوا في الشوارع والمقاهي والمحلات. وتسلق بعض المتظاهرين أعمدة النور وأسطح المنازل، وكانت الشرفات ممتلئة بالناس الذين يصفقون ويهتفون ويلوحون، الجميع كان يهتف بشجاعة، لعلمهم أن البريطانيين لن يفعلوا لهم شيئا سوى الدفاع عن أنفسهم في حالة مهاجمتهم(٤٥٣).

ووصلت المظاهرة ميدان المحافظة حيث تراصت صفوف من جنود الاحتلال وكانوا يصوبون أسلحتهم تجاه المتظاهرين. وفوجئ العدو بتدفق آلاف من الشباب دون أن يعرف من أين أتوا ومن الذي نظمهم، فاتخذت قوات العدو وضع الاستعداد لإطلاق النار، فخفتت هتافات المتظاهرين، وانفرج الموقف عندما انطلق صبي عمره ١١ عاما يحمل صورة عبد الناصر، واخترق الصفوف حتى وصل إلى المكان الذي يقف فيه حملة الأعلام واللافتات، فتحمس المتظاهرون ورفعوه على أكتافهم وراح يهتف(٤٥٤).

وانطلق هتاف المتظاهرين مجددا، وساروا في شارع محمد علي حتى تقاطع شارع الثلاثيني، وحاولت القوات الإنجليزية تفريق المظاهرة، فكانت السيارات المصفحة تندفع بين المتظاهرين، فتتفرق الصفوف، ثم تلتئم مجددا. وكان يهتف على رأس المظاهرة شاب في الخامسة عشر، فحاول الإنجليز إرهابه بإطلاق النار تجاهه، وأصابه أحد الضباط برصاصه فسقط شهيدا، وسقط آخر، ولم يتوقف الهتاف تحيا مصر(٤٥٥). وحمل المتظاهرون الشهيدين حسن حمود ورمضان رضوان، وساروا في اتجاه المستشفى الأميري، فسد جنود الاحتلال الطريق آخذين وضع الاستعداد لإطلاق النار، فاتجه المتظاهرون إلى شارع فاروق، وطال الوقت وهم يحاولون الوصول إلى المستشفى(٤٥٦). واستمرت المظاهرة تجوب المدينة حتى الرابعة والنصف عصرا، واقترب وقت حظر الجوال، فانطلقت دوريات العدو بالشوارع، وحلقت طائراته فوق المدينة(٤٥٧). والغريب أن

٤٥٣) الجمهورية، عدد ١٠٧٠ المصدر السابق، "الديلي ميل تروي قصة مظاهرة بورسعيد.
٤٥٤) كمال القلش، المصدر السابق، ص٦٩؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص ص٢٦٧، ٢٦٨.
٤٥٥) روز اليوسف، عدد ١٤٨٧ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٢، "قصة مقاومة".
٤٥٦) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٨.
٤٥٧) كمال القلش، المصدر السابق، ص٧٢؛ محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٦.

(ISSN : 2536 - 9555)

قوات الأمم المتحدة التي جاءت للمحافظة على النظام، التزمت بضبط النفس، وحرصت على عدم التورط في أي عمل يخدش حيادها في بداية دخولها بورسعيد(٤٥٨).

وفي اليوم التالي أُعلن الإضراب العام، وأُغلقت المحلات. وعلى الرغم من تهديد القوات المعتدية بفتح المحلات بالقوة ومصادرة ما فيها، استمر الإضراب، ولم تعمل إلا المخابز(٤٥٩)، وجرى توزيع منشورات تدعو لجنازة صامتة على روح شهيدي مظاهرة اليوم السابق، فأصدرت القوات المعتدية أمرا بحظر تجمع أكثر من ١٢ شخصا(٤٦٠).

وقد عسكرت القوات الدولية في ميدان المحافظة، في معسكر أقامته في منطقة الشاطئ، وفي حديقة الباشا أمام مبنى المحافظة(٤٦١). وقامت بدوريات في شوارع المدينة، وسط ترحيب الأهالي. كما تشير بعض المصادر إلى ابتهاج بعض الجنود البريطانيين بوصول القوات الدولية، إذ أعطاهم ذلك أمل في مغادرة بورسعيد قريبا(٤٦٢).

وشدد العقيد سيجورد على جنوده بالتزام الحياد، وأن يضعوا على رؤسهم دائما الخوذة الزرقاء التي تدل على إنهم قوات أممية، وعدم التحدث مع الجنود الإنجليز والفرنسيين. في حين كُلف محمد أمين حلمي كضابط اتصال بين السلطات المصرية وقوات الطوارئ الدولية ببورسعيد. وكانت تلك القوات معها أسلحتها الخفيفة، وشرعت منذ وصولها في تسيير دوريات تجوب الشوارع بالعربات الجيب(٤٦٣). وصرح سيجورد أن مهمة قواته العمل على منع الاحتكاك بين الأهالي والقوات البريطانية والفرنسية(٤٦٤).

---

٤٥٨) الجمهورية، عدد ١٠٧٠ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الديلي ميل تروي قصة مظاهرة بورسعيد".

٤٥٩) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٦٩.

٤٦٠) لواء أركان حرب محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٦.

٤٦١) مجلة الشئون البلدية والقروية، السنة الأولى، العدد الثاني، نوفمبر ١٩٥٦، ص١٤.

٤٦٢) الجمهورية، عدد ١٠٦٧ في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "وصول القوات الدولية بورسعيد"؛ بنت النيل، عدد ١٣٤ في ديسمبر ١٩٥٦، ص٩٦، "اكتب للهلال الأحمر يرشدك عن أهلك ببورسعيد". كانت القوة تحمل ٣٠ خيمة لإقامة معسكرهم، وكان أفرادها مسلحون ببنادق، ولديهم أربعة مدافع بازوكا وعشرة مدافع هاون، وكل جندي بحوزته ٩٠ طلقة، وكمية من المأكولات تكفيه ١٠ أيام.

٤٦٣) المساء، عدد ٥٠ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "قوات الطوارئ الدولية في بورسعيد"؛ آخر ساعة، عدد ١١٥٣ في ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦، ص٢٨، "مع البوليس الدولي داخل بورسعيد".

٤٦٤) الجمهورية، عدد عدد ١٠٦٩ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "قوة الطوارئ الدولية"، عدد ١٠٧٠ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، " قوات البوليس الدولية تعمل على منع الاحتكاك بين الأهالي والمعتدين"، "بيرنز يقوم برحلة استكشافية فوق منطقة البلاح". وقد توالى وصول قوات الطوارئ

والواقع أن وصول قوات الطوارئ الدولية وما حظيت به من ترحيب الأهالي، مثل ضغطا على الجنود الإنجليز والفرنسيين(٤٦٥). ومع أن وصولها كان دليلا على فشل العدوان(٤٦٦)، لم يكن يبعث على الاطمئنان التام، وكان الأهالي في حيرة: هل سيخرج المعتدون بعد وصول القوة الدولية؟ هل سينفزون قرارات الأمم المتحدة فينسحبون دون حاجة إلى استئناف القتال ؟ وكان الرأي السائد أن المعركة لم تنته(٤٦٧).

ومع أن مهمة قوات الطوارئ منع الاحتكاك بين القوات المعتدية والأهالي، وقعت اعتداءات. فالثابت إن القوات المعتدية لم تعبأ بوصول قوات الطوارئ. فقامت في اليوم الأول لوصول تلك القوات؛ بإطلاق النار على المدنيين، مما تسبب في قتل طفلين. وقامت طائرات هليكوبتر بالإغارة والنزول في جزيرة تبعد ٥ أميال غرب المدينة(٤٦٨).

وفي صباح ٢٢ نوفمبر توجهت قوة إلى عزبة فاروق المجاورة للقنال الداخلي، للتفتيش عن الأسلحة. وفي صباح ٢٣ نوفمبر فوجئ الأهالي بجنود الأعداء ودباباتهم وقد احتلت رؤوس الشوارع، وأذاعوا أن هذه تجربة، وعلى الأهالي عدم البقاء في الشوارع. وبعد نصف ساعة انسحبت القوات. وفي ظهر ذلك اليوم اعتقلوا مجموعة من

الدولية، ففي ٢٣ نوفمبر وصل أبو صوير ١٣٨ ضابطا وجنديا، منهم ٦٢ نرويجيا و ٧٦ كولومبيا، وبذلك يكون مجموع القوة من ست دول: النرويج والسويد والدانمرك والهند ويوغوسلافيا وكولومبيا، ووصلت في ٢٤ نوفمبر القوات السويدية المشاركة في قوة الطوارئ، وكانت تتألف من ٣٠٠ جندي، جاءوا على متن ٣ طائرات وحملوا معهم ٦٥ طنا من المهام والعتاد. كما وصلت قوة يوغوسلافية في ٢٥ نوفمبر، وشرعت حكومة شيلي في تجهيز فصيلة من ٥٠٠ جندي. وكان أديسون بيرنز قائد قوة الطوارئ الدولية قد وصل أبو صوير في ٢٤ نوفمبر، واجتمع بضابط الاتصال أمين حلمي، وقاما برحلة استكشافية فوق منطقة البلاح شمال الإسماعيلية لنقل بعض القوات الدولية إليها.

٤٦٥) القاهرة، عدد ١١٣٠ في ٣ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "الغيرة من جنود الطوارئ الدولية".

٤٦٦) وزارة الخارجية، نشرة الوثائق، بلاغ رسمي عن إصابة إيدن، إيدن يسافر إلى جامايكا، ص٢٢٧؛ لطفي رابح جمعة، المصدر السابق، ص١٥٥. في ١٩ نوفمبر أصدرت الحكومة البريطانية بلاغا عن إصابة إيدن بإعياء، وإنه سيحصل على أجازة بضعة أسابيع. وفي ٢٢ نوفمبر أصدرت بيانا بإنه قرر قضاء ثلاثة أسابيع في جزيرة جامايكا بناء على مشورة أطبائه. وقد سافر بالفعل، وتولى باتلر زعيم الأغلبية في مجلس العموم تسيير أعمال مجلس الوزراء، وظل إيدن معتزلا منصبه حتى استقال في ٩ يناير ١٩٥٧.

٤٦٧) الجمهورية، عدد ١٠٦٥ في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص٣، "الشئ الذي نعلمه بقلم عبد العزيز صادق".

٤٦٨) الأهرام، عدد ٢٥٥٦٢ في ٢٩ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، ٣، "قوات العدو تواصل اعتداءاتها".

(ISSN : 2536 - 9555)

الشبان بحجة أنهم أطلقوا رصاصة، وانتشرت قوات في شارع التجارة والروضة للبحث عن الأسلحة. وقامت دورية بريطانية بنزع المنشورات الملصقة على الأعمدة(٤٦٩).

وفي ٢٧ نوفمبر ألقت طائرات منشورات تطلب مساعدة الأهالي لإزالة العوائق من القناة. ومرت سياراتهم بمكبرات الصوت تعلن حظر التجوال من الخامسة مساء إلى الثالثة والنصف صباحا. وطالبت من لديه سلاح بتسليمه. وفي ٢٨ نوفمبر قاموا بإلقاء منشورات تناشد الأهالي بالتعاون، وجابت الدوريات بورسعيد، وقد أُصيب كونستابل برصاص إحدى الدوريات(٤٧٠). وكانت المقاومة ترد، فقد أطلق أفراد المجموعة الأولى للمقاومة النار على دورية من ١٠ جنود بتقاطع شارعي ١٠٠ والروضة(٤٧١).

وفي ٢٩ نوفمبر خرقت القوات المعتدية كعادتها وقف إطلاق النار، وحلقت طائراتها في السابعة صباحا في سماء بورسعيد(٤٧٢)، وألقت منشورات لم يختلف مضمونها عن سابقتها. وألقت دورية إنجليزية القبض على شاب وبحوزته قنبله يدوية عند تقاطع شارع الروضة والحميدي. وقامت بمحاصرة المكان وتفتيشه، واعتقلت بعض الشبان. وأخلت القوات البريطانية بعض المنازل التي كانت تحتلها، خوفا من هجمات الفدائيين عليهم، حيث كانت في الخلاء وخلفها بحيرة المنزلة(٤٧٣).

ولاشك أن يوميات القوات المعتدية، والتي تتلخص في المنشورات الداعية للتعاون، ومرور الدوريات في الشوارع، وحظر التجوال، ومناشدة الأهالي بتسليم السلاح، كل هذا يؤكد مدى قلق العدو وضعف معنوياته يوما بعد يوم، وصمود بورسعيد.

على أية حال، لم يكن وصول قوات الطوارئ الدولية يعني توقف جرائم القوات المعتدية. وقد بلغ عدد الحوادث التي أُبلغت للقوات الدولية منذ دخولها بورسعيد ٩٨ حادثة، وكان أبشعها الحادث الذي وقع في أول ديسمبر وقُتل فيه الكونستابل لطفي

---

٤٦٩) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص ص١٣٦، ١٣٨.
٤٧٠) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص ص١٣٨، ١٣٩.
٤٧١) البوابة الالكترونية لمحافظة بورسعيد (http://www.portsaid.gov.eg/art/history/default.aspx).
٤٧٢) الأهرام، عدد ٢٥٥٦٣ في ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "القوات المعتدية تخرق وقف إطلاق النار"
٤٧٣) محمد كمال عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٩.

قامش أثناء إشرافه على توزيع الغاز على الأهالي(٤٧٤). كما اعتدت إحدى الدوريات على رجال سيارة إسعاف أثناء ذهابهم لتأدية مهمتهم(٤٧٥). وفوق هذا؛ قام جنود الاحتلال في الأسبوع الأخير من نوفمبر بعمليات واسعة النطاق لسلب محتويات منازل الأهالي، ووقعت عدة مصادمات بين الجنود الإنجليز والفرنسيين في بورسعيد، وكان سببها اختلافهم على اقتسام المسروقات(٤٧٦).

والواقع أن فرنسا وبريطانيا أرادتا أن تتلكأ في الانسحاب بعد وصول القوات الدولية، وتواترت التصريحات بأن الأمر سيستغرق وقتا، وسيتم على مراحل تتمشى مع وصول قوات الطوارئ. ففي ٢١ نوفمبر، وردا على خطاب سكرتير عام الأمم المتحدة عن تأخر سحب القوات الفرنسية، ذكرت فرنسا أن قواتها ستبقى حتى تقبل مصر تدويل قناة السويس. وفي ٢٤ نوفمبر عادت وأعلنت أن تم انسحاب ثلث قواتها. وكانت قد سحبت فصيلة مشاة وأخرى كوماندوز، على إثر وصول قوات الطوارئ النرويجية(٤٧٧).

أما بريطانيا، فوجهت في ٢٢ نوفمبر رسالة إلى همرشولد، بأنها لم تقم بأي إنسحاب حتى الآن، لأن قوات الطوارئ الدولية مازالت في طور التكوين، وبمجرد أن تتأكد إنها قادرة على القيام بالمهمة التي كُلفت بها، سوف يتم سحب القوات، وإنها إظهارا لنواياها أعطت أوامر إلى كتيبة مشاة بالاستعداد للانسحاب من بورسعيد، وسيتم سحب بقية القوات بمجرد أن تصبح قوات الطوارئ فعالة(٤٧٨). وفي ٢٣ نوفمبر أُعلن أنه سيتم سحب كتيبة في ٢٦ نوفمبر، وصرح ستوكويل بأن انسحابها لن يستغرق إلا ساعات، وأضاف أنه لم يقرر بعد أي الكتائب سوف تُختار لبدء الانسحاب. ومع ذلك

٤٧٤) القاهرة، عدد ١١٤٧ في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "مائة حادثة للإنجليز في بورسعيد منذ أول ديسمبر".
٤٧٥) المساء، عدد ٤٧ في ٢١ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "جرائم القوات المعتدية ضد الإنسانية في بورسعيد".
٤٧٦) القاهرة، عدد ١١٣٣ في ٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "جنود إنجلترا وفرنسا يقتتلون على اقتسام المسروقات من منازل السكان".
٤٧٧) الجمهورية عدد ١٠٧١ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "خروج كتيبة بريطانية"، "بلاغ عن الانسحاب"؛ وزارة الخارجية، نشرة الوثائق، رد الحكومة الفرنسية على خطاب السكرتير العام في ٢٠ نوفمبر، بيان رسمي للحكومة الفرنسية ١٩٥٦/١١/٢٤، ص٢٦٤.
٤٧٨) وزارة الخارجية، نشرة الوثائق، رسالة الحكومة البريطانية إلى سكرتير عام الأمم المتحدة ١٩٥٦/١١/٢٢، ص ص٢٢٨، ٢٥٣.

(ISSN : 2536 - 9555)

أبحرت من بورسعيد في ٢٤ نوفمبر أورطة من كتيبة بريطانية، كان مقرر سحبها في ٢٦ نوفمبر لكن تم تقديم الموعد فجأة. وصرح ستوكويل أن القوة أبحرت ليلا حتى تتفادى أية مظاهرات يقوم بها الأهالي مثلما حدث عند وصول القوات الدولية(٤٧٩).

وفي ٢٥ نوفمبر غادرت كتيبة بريطانية تضم ٨٠٠ جندي، واستقل الجنود سفينتهم دون أية مراسم عند بدء موعد حظر التجوال؛ لتفادي وقوع أي حادث، كما وضعت مزيد من الأسلاك الشائكة في مدخل الطرق المؤدية إلى الميناء، وبات واضحا أن الغرض من سفر القوات البريطانية تحت جنح الظلام تجنب مظاهرات المصريين(٤٨٠). وفي ٢٧ نوفمبر أبلغت بريطانيا الأمم المتحدة إنها ستسحب أورطة من بورسعيد، وإنها على استعداد للتعاون مع القوات النرويجية والدانمركية التي وصلت بورسعيد، وستمدها بالمؤن(٤٨١).

والواقع أن تلكؤ القوات المعتدية كان جليا، فبالرغم من قرار الأمم المتحدة في ٢٤ نوفمبر بضرورة الانسحاب بأسرع وقت، وإعلان إنجلترا وفرنسا في ٣٠ نوفمبر سحب قواتهما بلا شرط قبل ٢٠ ديسمبر وأن يبدأ الانسحاب خلال أسبوعين(٤٨٢)، وبالرغم من تصريحات المسئولين في أول ديسمبر أنه لن يكون هناك تأجيل في الانسحاب، وأنه تم الاتفاق بين لندن وباريس على مواعيد الانسحاب، وإذا حسنت النوايا سيتم الانسحاب في وقت قصير(٤٨٣)؛ كانت عمليات الانسحاب تسير ببطء أحيانا، وبسرعة أحيانا أخرى.

وفي غضون ذلك تزايدت المساعدات التي تصل بورسعيد، وفي ٢٤ نوفمبر تسلم الصليب الأحمر الدولي من الهلال الأحمر المصري قطارا محملا بالغذاء والكساء

٤٧٩) المساء، عدد ٥٠ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "الكتيبة البريطانية تنسحب بعد غد بورسعيد"، عدد ٥١ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦، ص١، "الإنجليز ينسحبون في الظلام".
٤٨٠) الجمهورية عدد ١٠٧١ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "خروج كتيبة بريطانية وفصيلتين فرنسيتين".
٤٨١) وزارة الخارجية، نشرة الوثائق، رسالة سلوين لويد إلى همرشولد، ص٢٣٥.
٤٨٢) الأهرام، عدد ٢٥٥٦٤ في ١ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "الانسحاب بلا شرط قبل ٢٠ ديسمبر".
٤٨٣) وزارة الخارجية، نشرة الوثائق، تصريح فرنسي رسمي ١٩٥٦/١٢/١، بيان سلوين لويد في مجلس العموم، ص ص٢٣٦، ٢٦٤. أسهم البترول في التعجيل بالانسحاب من بورسعيد، فالشتاء على الأبواب، وأوروبا الغربية تستورد ٧٥% من البترول من الدول العربية، ٥٠ % منها تُنقل عن طريق قناة السويس، ورفض عبد الناصر تطهير القناة قبل الانسحاب. محمود رياض، المصدر السابق، ص١٦٤.

والأدوية، ووصل بورسعيد في اليوم التالي(٤٨٤). والحقيقة إن المدينة كانت في حاجة لتلك المساعدات، فقد أُغلقت الطرق المؤدية إليها، وكانت تعاني نقصا حادا في المواد الغذائية، وانقطعت الخضروات والفاكهة واللحوم التي ترد إليها. وطلب التجار السماح لهم بالسفر لإحضار بضائع وتموين للمدينة، ولكن رُفض طلبهم، ثم سمح ستوكويل لبعض التجار فقط، بعدما أخذ عليهم ضمانات(٤٨٥). كما اجتهد وزير التموين لتيسير صرف ما تحتاجه المدينة، ففي ٢٧ نوفمبر وصل القاهرة وفدا من بورسعيد على رأسه أحمد إبراهيم الإتربي من كبار التجار؛ لصرف مقررات التموين للمدينة، وأكدوا على ارتفاع الروح المعنوية لدى أبناء بورسعيد رغم محاولات العدو(٤٨٦).

وعلى إثر إعلان إنجلترا وفرنسا في ٣٠ نوفمبر سحب قواتهما قبل ٢٠ ديسمبر، تزايدت كميات المواد الغذائية التي تصل بورسعيد، فسُمح للسلطات المصرية بإرسال شحنة من الخضروات بواسطة المراكب عبر بحيرة المنزلة، فوصلت في أول ديسمبر خمس مراكب محملة بالمحاصيل الزراعية، منها عشرة أطنان بطاطس، كما جلب الصيادون ثلاثة أطنان من السمك يوميا من بحيرة المنزلة. وجرى توزيع حصص الدقيق على المخابز، وأيضا توزيع السكر والزيت بين البقالين. ولم تحدث أزمات عنيفة إلا أزمة في الكيروسين، فكان كل مواطن يعطي جاره مما عنده من هذه المادة الضرورية لتجهيز طعامه وغسل ملابسه. وقد عقد وزير التموين اجتماعا لبحث الترتيبات الخاصة بالتموين في بورسعيد وتحديد مقادير المواد التي سيتم شحنها. وتقرر صرف ٢٥ ألف بطاقة تموين للأسر والأفراد الذين فُقدت بطاقاتهم. ومع أن حالة التموين لم تكن مرضية، تحمل أهالي بورسعيد(٤٨٧). وفي ٨ ديسمبر سافرت بعثة جديدة من سيدات الهلال الأحمر إلى بورسعيد في قطار من ١٦ عربة مشحونة بالأغذية والأدوية والملابس(٤٨٨).

---

٤٨٤) الجمهورية عدد ١٠٦٩ في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، "قطار إغاثة يصل بورسعيد اليوم".؛ عدد ١٠٧١ في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، ص٤، "قافلة الهلال الأحمر تصل بورسعيد".

٤٨٥) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص١٢٢، ١٢٣.

٤٨٦) الجمهورية، عدد ١٠٧٢ في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٦، ص٥، " بورسعيد تشكر الرئيس ووزير التموين ".

٤٨٧) الأهرام، عدد ٢٥٥٦٥ في ٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد لا تزال تقاوم"، عدد ٢٥٥٧٤ في ١١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "تقرير عن التموين في بورسعيد"؛ القاهرة، عدد ١١٤٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤.

٤٨٨) روز اليوسف، عدد ١٤٨٧ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٣٣.

(ISSN : 2536 - 9555)

وبالتزامن مع ذلك توالى وصول القوات الدولية بورسعيد، ووصل عددها ١٥٠٠. وأجرى بيرنز محادثات مع قيادة القوات المعتدية بشأن إتمام الانسحاب. ومن جانبه أمر كيتلي في ٣ ديسمبر بشحن المعدات الثقيلة تمهيدا للانسحاب في الأيام التالية. وأبحرت في أول ديسمبر ٣ بواخر من لندن لنقل الجنود من بورسعيد. وفي ٤ ديسمبر أعلنت القيادة الإنجليزية أن ألفين جندي سيغادرون بورسعيد على متن السفينة (ديلاوار)، وأن ذلك سيكون الخطوة الأولى العملية للانسحاب من بورسعيد(٤٨٩).

وقابل الجنود الإنجليز والفرنسيين تصريحات قادتهم بالابتهاج، وراحوا يتغنون بعبارة (السلام أفضل إلى الأبد)، وكُتبت أيضا بالطباشير في المواقع التي يرابطون فيها. كما بدأت القوات تنكمش استعدادا للرحيل. في حين راح المدنيون يحملون صور عبد الناصر بين أعلام النصر، وبدأت تظهر منشورات تحمل عبارات: (ألم نقل لكم اذهبوا؟) (ماذا فعل قادتكم تجار الحروب؟)(٤٩٠).

على أية حال، منذ ٤ ديسمبر كثفت قوات الطوارئ دورياتها، وشرعت في رفع الألغام التي زرعتها القوات المعتدية في أماكن متفرقة، وبدأت في إزالة العوائق من الطرق والسكك الحديدية(٤٩١).

وبدأت عمليات الانسحاب، وكانت أول قوة غادرت بورسعيد فرقة (وست كنت الملكية)، رحلت على متن طائرة حربية، وكانت تضم ٦٠ جنديا. وأعقبتها حاملة الطائرات (أوشان)، وأبحرت في ٦ ديسمبر ناقلتا الجنود ديلاوار وإسكانيال، وعلى متنهما عدد من الجنود، وأبحرت ٣ سفن حاملة السيارات والمعدات الثقيلة و٣٥٠ من سلاح المهندسين. واعتبرت مواعيد الانسحاب سرا، فلم تكن الكتائب تعرف موعد رحيلها، وكان فقط عليها أن تكون مستعدة، وحتى ٧ ديسمبر غادر بورسعيد ٧٥٠٠ جندي، وبات متوقعا إذا سارت الأمور هكذا أن يتم الجلاء خلال ٧ أيام(٤٩٢).

---

٤٨٩) القاهرة، عدد ١١٣١ في ٤ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "بيرنز في القاهرة وغدا في بورسعيد"، "الانسحاب يبدأ فعلا بعد ظهر أمس"، عدد ١١٣٢ في ٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "٢٠٠٠ جندي بريطاني يغادرون بورسعيد اليوم".
٤٩٠) القاهرة، عدد ١١٣٢ في ٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "الجنود البريطانيون والفرنسيون يرقصون".
٤٩١) القاهرة، عدد ١١٣٢ في ٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "قوات الطوارئ ترفع الألغام وتزيل العوائق".
٤٩٢) القاهرة، عدد ١١٣٤ في ٧ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "قيادة العدو تعتبر مواعيد الانسحاب سرا".

كما بدأت القوات الإنجليزية تنسحب من الشريط الممتد جنوب بورسعيد من الرسوة حتى منطقة الكاب، فقد عجلت الأمطار بانسحابها قبل الموعد الذي حدده ستوكويل، وهو الأحد ١٠ ديسمبر، فانسحبت يوم الجمعة. وكانت عبارة عن كتيبة كاملة يرافقها ٨ دبابات وعدد من السيارات المصفحة، والفرقة ٣٢ مظلات. كما بدأت القوات الفرنسية في قرية التينة جنوب بورسعيد على شاطئ القناة تنسحب شمالا صوب المدينة(٤٩٣).

ونظرا لانسحاب القوات المعتدية من تلك المناطق، تقدمت في ١٢ ديسمبر القوات الدولية الهندية من مواقعها في الكاب حتى بلغت التينة بعد أن غادرتها ٤ دبابات كانت القوات المعتدية قد تركتها لتأمين انسحابها. وأخذت أعباء القوات الدولية تزداد، وتولت القوات النرويجية والدانمركية الإشراف على المنطقة الساحلية غرب بورسعيد حتى مطار الجميل، ووسط المدينة، وأخذت القوات السويدية مواقعها في طريق الجميل وجنوب غرب بورسعيد. وفي ١٠ ديسمبر جلت القوات المعتدية عن بورفؤاد، وقامت القوات الدولية بتأمين انسحابها حتى لا يتعقبها رجال المقاومة، ودخلت القوات الدانمركية بورفؤاد(٤٩٤).

وبدأت القطع البحرية تتأهب لمغادرة بورسعيد، وأصبحت الخطوط البحرية بين بورسعيد وقبرص ومالطة والجزائر تموج بالقطع الحربية. فعلاوة على القطع التي أبحرت يومي ٦ و٧ ديسمبر، بدأت ناقلة الجنود فيسيوس تستعد للإبحار إلى مالطة حاملة ألف جندي، واستعدت ناقلة الجنود استورياس. وتأهبت حاملة الطائرات بولوراك والمدمرة أرمادا. وبلغت القوات التي انسحبت في ٨ ديسمبر ألفين جندي.

وقد استيقظت القوات المتبقية في ٩ ديسمبر لتجد كثير من المنشورات المعادية، والمدينة قد امتلأت بالأعلام المصرية. وفي اليوم نفسه، وخوفا من وقوع عمليات فدائية، انبرت القوات الإنجليزية تبحث عن مخازن الذخيرة التابعة للمقاومة، وعن الرعايا الإنجليز والفرنسيين الذين حزموا أمتعتهم(٤٩٥).

---

٤٩٣) آخر ساعة، عدد ١١٥٥ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص١٠، "آخر ساعة تسجل مرحلة من مراحل انسحاب القوات البريطانية والفرنسية"؛ القاهرة، عدد ١١٣٧، في ١٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "انسحاب القراصنة".

٤٩٤) القاهرة، عدد ١١٣٥ في ٨ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "ازدياد أعباء القوات الدولية"، عدد ١١٣٧ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٦، "خرجوا من بورفؤاد"، عدد ١١٤٠ في ١٣ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "شبح العدوان".

٤٩٥) المصدر نفسه، عدد ١١٣٦ في ٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "القطع الرئيسية في أسطول الأعداء تتأهب لمغادرة بورسعيد"، "ألوف المنشورات وأعلام التحرير"، "القوات الدولية تقوم بدور الحراسة".

(ISSN : 2536 - 9555)

فبالتزامن مع انسحاب القوات المعتدية، آثر كثير من الأجانب مغادرة المدينة، فقد استولى مدير فرع شركة ماركوني على إيراد مكتب التلغراف، واستقل إحدى البوارج، وغادر بورسعيد التي عاش فيها ٢٠ عاما(٤٩٦). وكذلك فعل المالطيون، خوفا من الانتقام منهم جراء خيانتهم، فحزموا أمتعتهم وعزموا على المغادرة. وفي ١٢ ديسمبر حملت ناقلة الجنود استوريا ٤٥٠ مالطيا. واستجابة لرغبة بعض الإيطاليين، أبحرت باخرة من نابولي إلى بورسعيد لتحمل الراغبين في الرحيل(٤٩٧). وصرح وزير خارجية مصر، أن بعض اليهود في بورسعيد وقليلين غيرهم طلبوا السفر، وأن الحكومة وافقت(٤٩٨).

على أية حال بدأت قوات العدو الباقية في ١٠ ديسمبر تتجمع عند منطقة الميناء وضربت حول نفسها سياجا من الأسلاك الشائكة خوفا من غضب الأهالي، وتمهيدا لتسليم المدينة في ١٤ ديسمبر إلى قوات الطوارئ لتُسلمها للسلطات المصرية. واتخذت الأخيرة تُعد قوة من البوليس قوامها ١٠٥٠ فرد؛ تدخل بورسعيد بمجرد فتح الطريق إليها، لتتولى الإشراف على الأمن فيها(٤٩٩).

ولم يكن هذا يعني هدوء الحالة، حيث كان الأهالي لا يزالون يقاومون(٥٠٠). ويمكن تفسير استمرار المقاومة بالرغم من بدء الانسحاب؛ بالرغبة في الضغط على القوات المعتدية لتعجل بانسحابها. فقد أصدرت منظمة الهاتاشاما منشورا عنوانه "انسحاب ولكن"، ناشدت فيه الأهالي بعدم التراخي اعتمادا على ما أذيع بشأن الانسحاب، وأكدت

٤٩٦) روز اليوسف، عدد ١٤٩٠ في ٣١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "مدير شركة ماركوني في بورسعيد".
٤٩٧) القاهرة، عدد ١١٤٠ في ١٣ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "رحيل الخونة"، "إيطاليون". غادر بورسعيد ٣٨٤ إيطاليا معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال، وبقي قرابة الألف. وفي ٢١ ديسمبر تجمع قرابة ٣٠٠ إيطالي في القنصلية الإيطالية، لوداع قنصلهم السنيور فانشنتي ماريري، الذي قام بجهود لإغاثة الجرحى ومساعدة من كانوا في حاجة للمساعدة إبان العدوان، وقد تأثرت صحته، وخلفه رودولفو جوليا، وقبل رحيله ألقى كلمة أشار فيها إلى أن الـ ٣٨٤ إيطاليا الذين غادروا بورسعيد كانوا من الشيوخ والمرضى والنساء والأطفال، وإن ألف إيطالي باقون، ويمكنهم المساهمة مع أبناء المدينة في إعادة تعميرها. وأضاف أن السلطات المصرية أعربت عن شعور الأخوة الذي تشعر به تجاه أفراد الجالية الإيطالية في بورسعيد. القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "قنصل إيطاليا في بورسعيد يودع الإيطاليين".
٤٩٨) وزارة الخارجية، نشرة الوثائق، الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي، ص١٤٧.
٤٩٩) القاهرة، عدد ١١٣٨ في ١١ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "آخر مراحل الانسحاب"، ص٤، "١٠٥٠ جندي وضابط من رجال البوليس".
٥٠٠) الأهرام، عدد ٢٥٥٦٥ في ٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد لا تزال تقاوم المعتدين".

غدر الأعداء وعدم احترامهم لوعودهم، وطالبت الأهالي بالاستعداد لاستعمال السلاح إذا تبين أن الأعداء لا ينفذون الانسحاب، وأن يتذكروا أن لهم ثأرا ينبغي أخذه(٥٠١).

وقد تصاعد نشاط الفدائيين، فاعتاد الشباب التسلل إلى عدة أمتار من مواقع العدو، ولصق شعار الفدائيين (الجمجمة والعظمتين)(٥٠٢). وكان المواطنون يمضون غير عابئين بالتحذيرات، ويتجمعون في مجموعات تتسلى برؤية القوات المعتدية التي تهرع في سرعة، ويهتفون لمصر وعبد الناصر. وكان الهتاف المستمر لعبد الناصر يزعج قيادة الأعداء، خاصة الهتافات المستترة، التي لا يدري الجنود الإنجليز والفرنسيين من أين تأتي، وكلها هتافات معادية لهم. وكانت عبارات: (أخرجوا من بلادنا، أخرج يا ستوكويل، لن نترك لكم القناة، ارحموا عائلاتكم وأنفسكم واذهبوا)، تقع عليها عيون الجنود الإنجليز والفرنسيين ببورسعيد كل صباح، وكلما أزالوها وجدوها في اليوم التالي. حيث كان جميع الأهالي مشغولون بشيء واحد، لا هم له سوى النشاط الوطني في حركة المقاومة الشعبية هاتاشاما وغيرها.

وتحولت بورسعيد إلى جهنم للمعتدين، فكانت احتكاكات رجال المقاومة مستمرة مع الجنود. ومما كان يثير جنود الأعداء ويجعلهم يتوجسون خيفة؛ عثورهم على كميات من الذخيرة كلما حاولوا تعقب مراكز المقاومة الشعبية، وصرح ستوكويل أن الذخيرة والأسلحة يتم تهريبها إلى المدينة، وأنه قبض في ٨ ديسمبر على ستة صيادين سلالهم مملوءة ذخيرة بدلا من السمك(٥٠٣).

وجدير بالذكر أن رجال المقاومة قد ابتكروا وسائل جديدة لإثارة الرعب في نفوس الجنود، ففي ١٠ ديسمبر قامت قوة بتفتيش شوارع وأزقة حي العرب بحثا عن شاب عمره ١٤ عاما، غافل جندي وخطف بندقيته. واستمر البحث عنه ثلاثة أيام دون جدوى. وإزاء

---

٥٠١) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٤٨.
٥٠٢) آخر ساعة، عدد ١١٥٤ في ٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص٣٤، "شاب مجهول من بورسعيد".
٥٠٣) القاهرة، عدد ١١٣٠ في ٣ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "بورسعيد أصبحت جهنم المعتدين"، عدد ١١٣٦ في ٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "رباطة جأش المصريين"، "فزع المعتدين من المقاومة الشعبية"، عدد ١١٤٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، رسالة من بورسعيد – اللحظات الرهيبة التي تعيشها بورسعيد الآن- هاتاشاما".

(ISSN : 2536 - 9555)

تكرار حوادث خطف البنادق من الجنود؛ صرفت لهم قيادتهم أحزمة يربطون بها البنادق إلى أيديهم ويسيرون وهم يحتضنونها(٥٠٤).

وقد فزع المعتدون من أساليب المقاومة الشعبية، والتي كانت في مجملها أعمال بطولية أو سخرية من المعتدين، يقوم بها الأفراد تطوعا تنفيسا عما قاسوه، وانتقاما وضغطا على القوات المعتدية لتعجل بالانسحاب، فضاعفت القوات المعتدية من نشاطها وفرضت حراسة صارمة على مواقعها وعلى المدينة بصفة عامة، وفي ٨ ديسمبر أرسل ستوكويل ونائبه الفرنسي بوفر احتجاجا إلى بيرنز قائد القوات الدولية، أشارا فيه إلى تصاعد المقاومة الشعبية. كما ناشدا محافظ بورسعيد بالعمل على وقف هذا العنف حتى تتفرغ القوات لإتمام الانسحاب. ولم يكتف ستوكويل بالاحتجاج، فأصدر أوامره لقواته بأن تتجمع في مراكز متقاربة، كإجراء احترازي خوفا من انقضاض الأهالي عليها بعد أن أصبحت قليلة، وبالنظر إلى اللهجة المعادية لهذه القوات، والتي بدأت تظهر في منشورات المقاومة الشعبية. وأمر بوضع مزيد من الجنود والأسلحة الثقيلة في مداخل الميناء لحراسة الجنود المنسحبين في الظلام(٥٠٥).

ولكن ظلت هجمات الفدائيين تقلق ستوكويل ورجاله، وفشلوا في اعتقال أفراد منظمة الهاتاشاما أو التوصل إلى مقرها. وظل أفرادها يقطعون صور كيتلي وأوامره التي تغطي الجدران، ويلصقون مكانها صور عبد الناصر وعبارات العداء والتحدي للقوات المعتدية. وإزاء فشل ويليامز قائد المخابرات الحربية في الوصول إلى أفراد الهاتاشاما؛ أطلق رجاله يعتقلون من يجدونه في الطريق، ويحققون للحصول على معلومات عن عناصر الهاتاشاما. وخلف كوبري الرسوة بأمتار يقبع الجمرك الذي جعله الأعداء مقرا للبوليس الحربي الإنجليزي، حيث يجري استجواب المعتقلين تحت الإرهاب والتعذيب،

٥٠٤) آخر ساعة، عدد ١١٥٥ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٢، "الإنجليز يبحثون عن شاب عمره ١٤ سنة"، عدد ١١٥٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٩، "الأعلام تنزل في الظلام".
٥٠٥) القاهرة، عدد ١١٣٦ في ٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "فزع المعتدين من المقاومة الشعبية"، عدد ١١٣٨ في ١١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "ستوكويل يخشى مظاهرات المصريين"، عدد ١١٤١ في ١٤ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "جرائم المعتدين وفزعهم في بورسعيد".

لكن لم تسفر تحقيقاتهم عن شيء. في حين كانت الهاتاشاما التي أزعجت المعتديين بعملياتها ومنشوراتها، تتخذ من مقهى بسيط في قلب المدينة مقرا لها(٥٠٦).

ومن الوسائل التي اتبعتها المقاومة الشعبية، محاولة إحداث عصيان بين جنود الأعداء، خاصة إن بعضهم ينتمي إلى حزب العمال، وناقمين على سياسة إيدن، فقد فوجي قادة القوات المعتدية بمطبوعات مصلحة الاستعلامات المصرية بأيدي عدد من الجنود، تتحدث عن الثورة ومبادئها وسياسة مصر. فحاولوا معرفة كيف وصلت هذه المطبوعات إلى جنودهم، لكن دون جدوى. وقد بدأت القصة عندما لمح أحد شبان بورسعيد جنديا ينزع منشور من على أحد الجدران ويضعه في جيبه، فاقترب الشاب منه وتحدث إليه، فأبلغه الجندي أنه وبعض زملائه من أتباع حزب العمال يريدون معرفة الحقيقة. وعاد الشاب إلى زملائه، واتفقوا على توصيل المطبوعات للجندي، فقرروا وضع المطبوعات في جيوب بعض الأطفال، فيذهبون إلى هذا الجندي في خندقه ويتظاهرون باللعب حوله، فيأخذ منهم المطبوعات، ويقوم بتوزيعها على زملائه. ومن ثم في الصباح كان القادة الإنجليز يفاجئون بمطبوعات عن مصر منتشرة في يد جنودهم(٥٠٧).

وفي سياق متصل، كتب سعد رحمي أحد أعضاء الجبهة المتحدة للمقاومة منشورا بالإنجليزية موجها إلى جنود الاحتلال، تحدث فيه عن أطفالهم وزوجاتهم وأمهاتهم الذين تركوهم وجاءوا إلى بورسعيد للاعتداء على المدنيين، وتحدث عن الأطفال والأمهات الذين شُردوا وماتوا جراء العدوان. وقال إن هذا لحساب تجار الحروب إيدن ومولييه والشركات الاحتكارية، وإنهم أي الجنود مجرد أدوات وضحايا. وقد طُبع هذا المنشور في مطبعة مخلوف، وتم توزيعه عن طريق الجنود الموريشان الأفارقة الذين استمالهم رجال المقاومة، وعن طريق أعضاء منظمة أيوكا اليونانية، وبعض الجنود الإنجليز والفرنسيين اليساريين. وكان للمنشور أثرا بالغ، فهوجمت المطابع ودمرت حروفها(٥٠٨).

---

٥٠٦) نفسه، عدد ١١٤٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "اللحظات الرهيبة التي تعيشها بورسعيد - هاتاشاما – ذعر في البوليس الحربي"، عدد ١١٤٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "القاهرة تشهد آخر عمليات الانسحاب".
٥٠٧) آخر ساعة، عدد ١١٥٥ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، "منشورات في جيوب الجنود الإنجليز".
٥٠٨) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٩٤، ٩٥.

(ISSN : 2536 - 9555)

كما كُتب اسم إيدن ومولييه على كلبين، وأُطلقا في الشوارع، وخلال الأسبوع الأول من ديسمبر، كانت القوات الإنجليزية المرابطة في شارع فؤاد تقلب الشارع بحثا عن كلبين أحدهما أسود كُتب عليه بالأبيض موليه، والثاني أبيض كُتب عليه بالأحمر إيدن. فقد كان إطلاق الكلبين أمام خنادق الإنجليز والفرنسيين ومنظر الجنود وهم يهرولون وراءهما مثيرا للسخرية، وكان هذا المشهد تسلية الأهالي ومبعث ضحكاتهم(٥٠٩).

وثمة منظر آخر كان موضع سخرية أهالي بورسعيد، فقد كثفت القوات المعتدية الدوريات اللاسلكية في الشوارع، لإرهاب الأهالي ومراقبتهم والضغط على تحركاتهم والاتصال مباشرة بالقيادة، فيسير ضابط يرتدي خوذة ويعلق سماعتين في أذنيه، ويحمل جهاز إرسال واستقبال على ظهره، وخلفه ستة جنود مسلحين. فبدأ أطفال بورسعيد يسخرون من تلك الدوريات، فكان الإنجليز والفرنسيين يفاجئون بالأهالي على جانبي الطريق وهم يضحكون، ثم يظهر طابور من الأطفال يقلدون دوريات الإنجليز حيث يعلقون عصا من الخشب على أكتافهم كأنها بنادق، ويضع بعضهم على رأسه أطباق صاج كأنها خوذة، ويضعون سماعات اللاسلكي على آذانهم، عبارة عن عبوات فارغة من الصفيح. وكان مشهد دورية الأطفال في الشوارع يستفز الإنجليز؛ فيهرولون خلف الأطفال، وأحيانا يحاولون إغراؤهم بالحلوى والشيكولاته، لكنهم كانوا يلقونها على الأرض وسط تصفيق الناس. وهكذا فسدت محاولة الإنجليز إرهاب الأهالي(٥١٠).

وعلى الرغم من حظر التجوال من الخامسة مساء حتى الخامسة والنصف صباحا، ومرور الجنود الإنجليز والفرنسيين بسياراتهم في دوريات مسلحة لا تنقطع، كانوا يفاجئون في الصباح بصور عبد الناصر، وبعبارات (يعيش عبد الناصر) على الجدران، وبعبارة (أُخرجوا أيها القذرون) مكتوبة على أسفلت الشوارع بالجير الأبيض. ولم يستطيعوا معرفة كيف ومتى تُلصق الصور وتكتب العبارات. وردا على ذلك طافت الدوريات في الشوارع والحارات بشكل مبالغ فيه، وقاموا بعمليات حربية ضد صور عبد الناصر واللافتات والمنشورات. وتعمدوا توقيف المارة وتفتيشهم، وطلبوا من بعضهم أن يمسحوا بأنفسهم عبارات التهديد المكتوبة على الأرض وتمزيق الصور والمنشورات الملصقة على

٥٠٩) آخر ساعة، عدد ١١٥٥ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، "آخر ساعة في قلب بورسعيد".
٥١٠) المصدر نفسه؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٧٥.

الجدران. لكن في الوقت الذي كان فيه الإنجليز يقومون بذلك في أحد الشوارع، كان الشباب يلصقون الصور والمنشورات في أماكن أخرى، فتتفاجأ الدوريات في طريق عودتها إلى معسكرها أن الحوائط امتلأت بالصور وبعبارات (أخرجوا من بلادنا – يسقط إيدن وموليه). كما كانوا يفاجئون بالأعلام المصرية مُعلقة بعرض الشوارع بين أعمدة الإنارة، فيُحضرون سلالم المطافئ لإنزالها وتمزيقها، فيلتف الأهالي يسخرون منهم(٥١١).

وقد كتب مراسل الأسوشيتدبريس أن الحوائط كلها مغطاة باللافتات التي كتب عليها بالخط العريض (أخرجوا من بلادنا)، (بورسعيد مقبرة الغزاة)، وفي عرض الطريق ثبت الأهالي بالحبال في مكان مرتفع صورة ضخمة لعبد الناصر (٥١٢).

وقد رصد صلاح جلال ومصطفى شردي مراسلا آخر ساعة في بورسعيد، أثناء وجودهم بمقهى الطناحي بشارع الثلاثيني، مرور دورية ونزعها صور عبد الناصر وتمزيقها، وبعد دقائق مرت دورية أخرى وفوجئت بصوره في نفس المكان. فوق هذا قام الأطفال بشطب وطمس التحذيرات الإنجليزية، وكتبوا عليها يسقط الاستعمار (٥١٣).

وعلاوة على إلصاق صور عبد الناصر على الجدران؛ كان الصبية ينتهزون وقوف أي سيارة تابعة للقوات المعتدية ويلصقون عليها صورة عبد الناصر، ومن ثم كانت سياراتهم تسير ومن الخلف وعلى جانبيها صور عبد الناصر (٥١٤).

وكما أزعجت ممارسات الأطفال الجنود، فأصبحوا يخافونهم، ويعتقدون إنهم قد يقتلونهم، فكانوا يستوقفون كل طفل ولا يدعونه يمر إلى بيته إلا بعد تفتيشه(٥١٥)؛ أزعجتهم تجمعات الأهالي، فكانوا يتخوفون من أية تجمعات، ففي كل شارع كانت تدور عصرا مباريات الكرة الشراب، فيتجمع الأهالي للفرجة، فكان ذلك يُفزع الإنجليز؛ فمرت سيارة أذاعت (ممنوع التجمعات نهائيا، أي تجمع سيتعرض للضرب بالرصاص). ولم

٥١١) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، " الإنجليز والفرنسيون يخافون من السمك والدراجات والعيش البلدي"، "الأعلام تنزل في الظلام".
٥١٢) القاهرة، عدد ١١٣٦ في ٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "فزع المعتدين من المقاومة الشعبية".
٥١٣) آخر ساعة، المصدر السابق، ص١٠، "الإنجليز يمزقون صور عبد الناصر والأطفال يلصقون غيرها".
٥١٤) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص ٧٨، ٩٣.
٥١٥) آخر ساعة، عدد ١١٥٧ في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "آخر يوم لهم".

(ISSN : 2536 - 9555)

يقف الأمر عند التنبيه، فأخذت الدوريات ترصد هذه المباريات وتقوم بفضها، ولكنها كانت تعود عندما تختفي الدورية. وقد اهتمت لجان المقاومة بتنظيم المباريات(٥١٦).

وتفنن الأهالي في مضايقة المحتليين، فقد كان بعضهم يقيمون تماثيل رمزية لإيدن ومولييه في الشوارع معلقة في حبل مشنقة(٥١٧). كما كانوا يأتون بنعش ثم يتركونه في الشارع، فيصيب الإنجليز الذعر ويعتقدون أن به متفجرات، فيأتون بخبراء المفرقعات، فيكتشفون أن بداخله دمية من الخيش والملابس البالية كتب عليها إيدن(٥١٨).

وقد احتج ستوكويل لدي قوات الطوارئ على ذلك وعلى الرسوم الكاريكاتورية والعبارات المكتوبة على الجدران، واعتبرها ماسة به وبإيدن، وهدد بأنه إذا كانت قوات الطوارئ عاجزة عن منع كتابة مثل هذه العبارات فإنه سيعمل على منعها(٥١٩).

كما أصدر الإنجليز كاريكاتيرا عبارة عن نسر يحمل في إحدى قدميه كلمة (بور) وفي الأخرى (سعيد) وتحته صورة للميناء مهجورا، وكُتب تحتها بورسعيد كانت سعيدة فجعلها ناصر (بور)، وقام عبد المنعم القصاص بالرد، فرسم نسرا في إحدى قدميه مولييه وفي الأخرى إيدن، وتحته صورة للقناة، وكُتب أسفلها سندفنهم بالقناة، وطُبع هذا بمطبعة مخلوف، وأُلصقه الصبية على الجدران(٥٢٠).

إصدار مجلة الانتصار ١٠ ديسمبر ١٩٥٦

أرادت القيادة الإنجليزية والفرنسية عزل بورسعيد عن العالم، فصحف القاهرة ممنوعة بأمر ستوكويل، والإذاعة يتم التشويش عليها، وتمت مصادرة جميع أجهزة الراديو في المدينة، كل هذا حتى لا يعلم الأهالي ما يدور خارج مدينتهم، وحتى يشعروا أنهم في عزلة فتنهار معنوياتهم(٥٢١).

وقد تكون إعلام شعبي داخل بورسعيد تحت إشراف محمد أبو نار الذي باشر إصدار نشرات بعد كل عملية من عمليات المقاومة؛ ليُطلع الأهالي أول بأول على أعمال

٥١٦) كمال القلش، المصدر السابق، ص٦١.
٥١٧) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص ص١٨٠، ١٨١.
٥١٨) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٥٢.
٥١٩) رابح لطفي جمعة، المصدر السابق، ص١٤٧.
٥٢٠) كمال القلش، المصدر السابق، ص٩٥.
٥٢١) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص١٧؛ بريماكوف، المصدر السابق، ص٣١.

المقاومة، وانضم إليهم طاقم إعلام آخر تابع للقيادة الرئيسية للفدائيين بالإسماعيلية، تسلل إلى بورسعيد يقوده محسن لطفي، وشرعوا في إصدار مجلة من داخل بورسعيد(٥٢٢).

وفضلا عن منشورات الجبهة المتحدة للمقاومة ولجنة الهاتاشاما، رأت الجبهة المتحدة إصدار مجلة تشرح للمواطنين طبيعة المعركة، وتُطلعهم على الحقائق، وتفضح مؤامرات العدوان(٥٢٣). ولإصدار تلك المجلة قصة، فمنذ بداية المعركة وبعدما باتت بورسعيد معزولة، بدأ عدد من المناضلين الموجودين في المطرية في التفكير في إيجاد آلية للدعاية في المعركة، وانتهى تفكيرها إلى إصدار مجلة للمقاومة تُطبع خارج بورسعيد ويتم تهريبها إليها، لكن رأوا أن ذلك سيكون صعبا ومحفوفا بالمخاطر، نظرا لطول الطرق وانتشار قوات العدو، وتقرر إصدار المجلة من داخل بورسعيد يُطلق عليها اسم (المعركة). وبعد أيام وصل من القاهرة من دار الفكر الفنان عبد المنعم القصاص(٥٢٤) ومعه أكليشيهات لمجلة تحمل اسم (الانتصار)، وعمل ماكيت المجلة حسن فؤاد وزملاؤه الرسامين، فلقي الاسم استحسانا وتم الاتفاق عليه(٥٢٥).

ويروي القصاص أنه سافر مع أربعة من زملائه إلى بلدة المطرية، وتخفوا في زي صيادين، واتخذوا طريقهم إلى بورسعيد، وتوقف بهم اللنش عند بحيرة المنزلة في الفجر، ثم دخلوا المدينة في التاسعة والنصف. ولفت نظرهم المنشورات التي كانت تُغطي الجدران، والأعلام وصور عبد الناصر المعلقة في كل مكان، تعلن الإصرار على المقاومة والثقة في النصر. وانضم القصاص وزملاؤه إلى الجبهة المتحدة للمقاومة،

٥٢٢) أبو الفضل، المصدر السابق، ص ص١٦٢، ١٦٣.
٥٢٣) بنت النيل، عدد ١٣٥ في يناير ١٩٥٧، ص٥، "بنت النيل السياسية"؛ شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٨٢.
٥٢٤) ولد عبد المنعم القصاص عام ١٩٢٦، وتخرج من كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٣، بدأ العمل بالصحافة كمخرج فني ورسام، تنقل بين عد من الصحف واستقر في الأهرام، وأقام معارض كثيرة بين القاهرة والإسكندرية وبيروت وتونس. وعندما وقع العدوان، انتقل إلى بورسعيد، وشارك في المقاومة وأسهم في إصدار جريدة المقاومة. وفي عام ١٩٧٧ اعتقل في سجن القلعة، وهناك أنجز مجموعة من أجمل أعماله. مجلة إبداع، عدد ٩ في سبتمبر ١٩٩٤، "عبد المنعم القصاص أناشيد الوطن بقلم صلاح أبو نار".
٥٢٥) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص٣٦ – ٣٨؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص ص٨٣، ٨٤؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص ص٢٧١، ٢٧٢.

(ISSN : 2536 - 9555)

وكانت مهمته وزميله أحمد الرفاعي إصدار مجلة بعدما حُرمت بورسعيد من الصحف(٥٢٦).

وتكونت هيئة تحرير من الرفاعي والقصاص وصلاح دهب، وبدأت الجبهة المتحدة في تكوين شبكة من المراسلين يطوفون في كل شوارع المدينة، ويكتبون مقالاتهم على المقاهي لاسيما قهوتي الطناحي والضظوي، ويأخذون أحاديثهم من العمال والطلبة.

وأخذ أعضاء هيئة التحرير يبحثون عن مكان لطباعة المجلة، ولم يكن الأمر سهلا، لكنه لم يكن مستحيلا، وفي إحدى الأزقة وجدوا مطبعة مخلوف، وعلى الرغم من تفتيش المحتلين للمطابع بين الحين والآخر. قبل مخلوف وأخذ منهم أصل المجلة، ورفض أجر الطباعة واكتفى بثمن الورق. وعكف على طباعتها ليلا، وكان يوقف العمل كلما شعر بأن دورية تطوف بالمنطقة وتقتحم المحلات المجاورة.

وفي عصر ٩ ديسمبر ١٩٥٦ قصد القصاص والرفاعي مطبعة مخلوف لمراجعة النسخة الأولى من المجلة، وبينما هم في المطبعة سمعوا وقع أقدام جنود دورية، لم يهتز مخلوف، وبمجرد دخولهم مَثل دورا الرجل الغاضب الذي يطرد زبائنه، وأخذ يصرخ "مش فاضي .. مش هاشتغل"، فقام الرفاعي والقصاص بالخروج، ودس الرفاعي قبل خروجه في جيبه أكلشيه المجلة الموجود على المنضدة(٥٢٧).

ويروي القصاص أنهم خرجوا من باب آخر أمام الجنود الذين أحاطوا بالمطبعة شاهرين أسلحتهم، لم يدر الجنود أن المكان الذي خرجا منه هو نفس المطبعة التي بدأوا في تفتيشها. وقد اعتقل الجنود مخلوف وصبيه وأحد رجال الجبهة (منير) الذي كان يتولى تصحيح المجلة(٥٢٨).

ولم يثن ذلك أعضاء الجبهة عن إصدار المجلة، ولم يكن أمامهم بعدما أُغلقت كل المطابع إلا طبعها على الرونيو، وفي حجرة على سطح منزل صديقهم عبد المحسن، شرعوا في طباعة المجلة على الرونيو، فبدأ المحامي أحمد حمدي المرصفي وآخر في

٥٢٦) الهدف، يناير ١٩٥٧، ص٢٠، "في معركة بورسعيد – كيف صدرت الانتصار بقلم عبد المنعم القصاص".
٥٢٧) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٣٧؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٨٤.
٥٢٨) الهدف، المصدر السابق، ص٢١.

كتابتها على الآلة الكاتبة. وأنجزوا المهمة بصعوبة، وطبعوا منها ٣٠٠ نسخة. وفي صباح اليوم التالي حضروا إلى مقهى الطناحي حيث كان ينتظرهم بعض أفراد المقاومة (هاجوج ودهب والمرجاوي)، فأخذ كل منهم عدد من النسخ ليقوم بتوزيعها، وبعد وقت قصير كانت في أيدي الناس، ولاقت إقبالا كبيرا من الأهالي.

وفي الصفحة الأولى من مجلة الانتصار كانت صورة عبد الناصر والعلم المصري وكلمة الانتصار، ومقال عن الوحدة الوطنية، وآخر بعنونا لماذا نُصدر الانتصار ؟ والصفحة الثانية كانت خاصة بلجنة العمال ورفض عمال الشحن العمل مع العدو وموقفهم البطولي من مقاطعة المعتدين، وأخبار تشكيل لجان العمال ودعوتهم للمقاطعة، وفي الصفحات الأخرى تحية لذكرى الشهداء، وأخبار عن التموين ومقتطفات من مقالات وأخبار الصحف المصرية(٥٢٩). وقد هال الإنجليز والفرنسيين صدور مجلة محلية سرية تحمل اسم (الانتصار)(٥٣٠).

أما مخلوف، فبعد اقتياده وصبيه ومنير إلى المعتقل، تُركوا ثلاث ساعات تحت المطر، ثم بدأ التحقيق معهم، فرفضوا الإفصاح عن أعضاء الجبهة المتحدة للمقاومة والقائمين على المجلة، وظل مخلوف صلبا، فقد صوب الإنجليز مسدسا إلى رأسه، وهددوه بالقتل، فكان رده أنه يفضل أن يموت مصريا شريفا على أن يموت خائنا. واستمرت التحقيقات معهم ثمانية أيام، ثم أُفرج عنهم. وروى في العدد الثاني من المجلة ذكرياته عن الاعتقال، وأقسم على الاستمرار في المعركة(٥٣١).

وقد تناقلت الصحف قصة مخلوف ووصفته بأنه أزعج الإنجليز والفرنسيين بما كان يطبعه من منشورات، ومع إنهم كانوا يبحثون عنه، استمر في عمله متنقلا بحذر بين المطابع، ولما أُعلن أنهم سينسحبون عقب وصول قوات الطوارئ، خفف من حذره، فوقع في الفخ دون أن يفقد بسالته(٥٣٢).

---

٥٢٩) المصدر نفسه؛ ص٢١، ٢٢؛ كمال القلش، المصدر السابق، ص٨٥.
٥٣٠) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "جريدة الانتصار السرية التي لم يكتشفوا مكانها".
٥٣١) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص ص٣٩، ٤٠.
٥٣٢) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "عامل المطبعة الذي غدا هدفا عسكريا للعدوان".

(ISSN : 2536 - 9555)

وعلى غراره، أسهم محمد حامد الألفي في طباعة المنشورات بمطبعته، وقام بطباعة العدد الثاني من مجلة الانتصار بعد غلق مطبعة مخلوف(٥٣٣). كما أزعج السيد المغربي البالغ ٣٧ عاما الإنجليز، إلى حد المطالبة برأسه مقابل ٢٠٠٠ جنيه، والسبب أن كان صاحب مطبعة، ولما وقع العدوان أصبحت مطبعته سرية تطبع المنشورات والتعليمات لرجال المقاومة، ونظر للرقابة الشديدة وحظر التجوال، كان من غير الممكن أن يستعين حتى بالشموع في الإضاءة حتى يُتم عمله. وقام الإنجليز بحملات لتفتيش المنازل والمقابر بحثا عن المطبعة السرية، ورصدوا ٢٠٠٠ جنيه لمن يقدم معلومات تؤدي إلى معرفة صاحب المطبعة، ولكن هذا لم يأت بنتيجة(٥٣٤).

أبرز أعمال المقاومة الشعبية (عملية خطف أنتوني مورهاوس)

اعتادت القوات المعتدية تخرج من مواقعها قرب الميناء تجوب شوارع بورسعيد في سيارات مصفحة لتعقب أفراد المقاومة، لكن دون جدوى، وفي ١١ ديسمبر وجهت المقاومة ضربة قوية فيما عُرف بعملية خطف الملازم أول أنتوني مورهاوس، قريب الأسرة المالكة البريطانية، والذي اعتاد التجول بسيارته ومعه كاميرا يلتقط بها ما يعجبه. وكان خطفه أكثر العمليات خطورة، وكان ضمن خطط المقاومة محاولة خطف ضباط إنجليز؛ انتقاما وتحقيرا للجيش المحتل، ونقلهم للقاهرة كرهينة للإفراج عن المعتقلين(٥٣٥).

وقد قام الفدائيون برصد طريق مروره اليومي، وعُهد لمجموعة من المجموعة الرابعة بعملية خطفه. فكمن ستة منهم في شارع رمسيس وهم: أحمد هلال، طاهر مسعد، حسين عثمان، محمود حمد الله، محمد إبراهيم سليمان، وعلي زنجير سائق السيارة السوداء رقم (٥٧ ملاكي القنال) والتي استخدمت في عملية الخطف. وقد قام اثنان بمراقبة المكان، وبقي أربعة داخل السيارة، وقاموا بتدريب أحد الأطفال على ركوب دراجة لاستدراج الضابط مورهاوس لمكان الكمين المعد له.

وفي السابعة صباحا كان مورهاوس يتفقد أحد الخنادق عند تقاطع شارع أوجيني ورمسيس، فمر طفل بدراجة واستفزه ببعض الكلمات، وفر في شارع رمسيس، فاستقل

٥٣٣) اليوم السابع، ٥ ديسمبر ٢٠٠٨، "العائلة التي حاربتها المخابرات الإنجليزية".
٥٣٤) الاثنين والدنيا، عدد ١١٨٥ في ٢٥ فبراير ١٩٥٧، ص٢٧، "ثمن رأسه ٢٠٠٠ جنيه".
٥٣٥) محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٧٣.

مورهاوس سيارته ليتعقبه. ولما وصل أمام مبنى المباحث، تظاهر الطفل بالسقوط، وهم مورهاوس بالإمساك به، فاقترب منه المكلفان بمراقبة المكان، وأمسكا به، وجاءت السيارة وجذبه الفدائيون الثلاثة داخلها، وقاوموا بتقييده وتعصيب عينيه. واتجهت السيارة من شارع رمسيس يمينا إلى شارع النهضة. وعند تقاطع النهضة وصلاح سالم، شاهدوا دورية قادمة من ناحية المستشفى الأميري، فانحرفوا يمينا حتى باب ثكنات بلوكات النظام، وأبلغوا الضابط النوبتجي بأمرهم، فوفر لهم سيارة من جراج الثكنات، واقترح وضع مورهاوس في أحد صناديق المهمات. وخرجت السيارة وانطلقت يمينا إلى شارع النهضة حتى شارع عرابي في نهايته بحي العرب، لإخفائه أسفل منزل طبيب الأسنان أحمد هلالي خلف المدرسة الصناعية، توطئة لنقله للقاهرة لمبادلته بالأسرى(٥٣٦).

ونظم هذه العملية ضابط البوليس النقيب عز الدين الأمير، فكان يقود عددا من الأهالي، معظمهم باعة صحف وخبز وبمبوطية وطلبة وعمال وموظفين وغيرهم(٥٣٧).

وأزعج اختفاء مورهاوس الإنجليز، وحضرت إلى مكان الحادث قوة مكونة من ست سيارات جيب مسلحين ومعهم استيفن ويليامز ضابط المخابرات البريطانية، وبدأ الجنود في تفتيش المنطقة. ثم انطلقت دورياتهم تجوب شوارع حي العرب، وفتشوا المنازل الواحد تلو الآخر(٥٣٨). واستمر الحصار يومين، فاضطر الخاطفون للإبقاء على مورهاوس داخل الصندوق، ولكن طال الحصار واستحال الاطمئنان عليه وتقديم الطعام والشراب له. وبعد ثلاثة أيام تمكنوا من الوصول للمنزل، وفتحوا الصندوق ليجدوه جثة(٥٣٩). فقاموا بدفنه أسفل سلم المنزل حتى لا تنبعث منه رائحة تلفت نظر الدوريات، خاصة أنه المنزل أمام مدرسة الصناعية التي كانت معسكرا لمركبات القوات البريطانية(٥٤٠).

وأثار الدوائر البريطانية خطف مورهاوس ابن عمة الملكة، وأبدت استعدادها لدفع مكافأة لمن يرشد عنه. ووسطت بريطانيا سكرتير الأمم المتحدة للسعي لدى مصر

٥٣٦) ضياء الدين حسن القاضي، موسوعة تاريخ بورسعيد، الجزء الثالث، الرشيدي للطباعة، بورسعيد ٢٠١٠، ص٢٣٤.
٥٣٧) كمال القلش، المصدر السابق، ص٨١.
٥٣٨) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص ص١٦، ٣٢.
٥٣٩) كمال القلش، المصدر السابق، ص٩٠.
٥٤٠) ضياء الدين حسن القاضي، المصدر السابق، ص ص٢٣٤، ٢٣٥.

(ISSN : 2536 - 9555)

للإفراج عن الضابط المخطوف[٥٤١]. ووجهت القوات المعتدية باسم الضابط ويليامز إنذارات إلى الأهالي عن طريق سيارات الإذاعة، جاء في آخر إنذار (في ظرف ٤٨ ساعة إذا لم يتم تسليم الضابط مورهاوس سنضطر إلى نسف المدينة)[٥٤٢]. وأوفد ستوكويل أحد مساعديه إلى المحافظ ليهدده بهدم كل منزل ببورسعيد إذا لم يظهر مورهاوس، فأجابه بإن مورهاوس الآن في وسط الدلتا"[٥٤٣].

ولم يعد هناك ما يقلق ستوكويل أكثر من أمر مورهاوس، لاسيما إنه عجز عن التوصل إلى معلومات عما إذا كان حيا أو ميتا، وبات عصبيا، لا يقبل المناقشة، يصدر أوامره ثم يتراجع، وزاده قلقا منشورات المقاومة[٥٤٤]. فقد زادت لهجتها نظرا لما تردد عن عزم وزير دفاع بريطانيا زيارة بورسعيد. فحملت المنشورات عبارات مليئة بالاستهزاء: (شاهد عار قواتك المجرمة يا هيلشام)، (بورسعيد تسجل عار المجرم إيدن)، (قل لزملائك نساء بورسعيد ضربونا). وانتاب ستوكويل وجنوده القلق؛ خشية ما قد يقوم به الأهالي من مظاهرات أو عمليات عند وصول وزير الدفاع، فأمر بتعزيز الدوريات لقمع المقاومة. كما أثار خطف مورهاوس فزع القوات الباقية، فلم يعدوا يظهرون في الشوارع منفردين، ولم تعد تجمعاتهم تظهر إلا عند الضرورة، فقد أيقنوا أن أسلحتهم وتجمعاتهم لن تجد إذا رغب الأهالي في الانتقام[٥٤٥].

ولم تُجد التهديدات والإجراءات الاحترازية، ففي ١٢ ديسمبر ألقى أفراد المجموعة الرابعة قنابل على معسكر العدو بالمدرسة اليونانية. ونسف أفراد المجموعة الخامسة سيارتين بشارع الملكة فريدة، وهاجموا دورية بشارع عباس. وهاجم أفراد المجموعة الثانية دورية بشارع نبيه[٥٤٦].

---

٥٤١) بنت النيل، عدد ١٣٥ في يناير ١٩٥٧، ص٥؛ عبد الرحمن برج، المرجع السابق، ص٣٠.
٥٤٢) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٣٢.
٥٤٣) ضياء الدين حسن القاضي، موسوعة تاريخ بورسعيد، الجزء الثالث، ص٢٣٥.
٥٤٤) القاهرة، عدد ١١٤٥ في ١٨ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "ثورة الوطنيين"، "هاتاشاما".
٥٤٥) القاهرة، عدد ١١٣٨ في ١١ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "ستوكويل يخشى مظاهرات المصريين"، عدد ١١٤٠ في ١٣ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "فزع"، عدد ١١٤٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "غضب".
٥٤٦) البوابة الالكترونية لمحافظة بورسعيد، المرجع السابق.

وأصبح الجنود الإنجليز والفرنسيين يعيشون في حالة شديدة من القلق كل يوم حتى موعد حظر التجوال، وبعدها تدور الميكروفونات تنذر الأهالي بعدم الخروج، ومع هذا كانت القنابل وطلقات الرصاص تنهال عليهم من جهات مختلفة(٥٤٧).

وتعاون مراقب تموين بورسعيد مع حامد الألفي، فكانا يدبران المأوى لرجال المقاومة ويخفيان السلاح(٥٤٨). فأخلى الألفي منزله أمام مبنى المحافظة لرجال الصاعقة، ومن داخله قاموا بقصف الإنجليز، ثم غيروا ملابسهم وارتدوا ملابس مدنية، فقام الإنجليز بقصف المنزل(٥٤٩).

عملية اغتيال إستيفن ويليامز:

في صباح ١٤ ديسمبر كان الإنجليز على موعد مع عملية أخرى من عمليات المقاومة، كان بطلها السيد محمد عسران الذي لم يتجاوز ١٨ عاما، وكان ضحيتها إستيفن ويليامز مسئول المخابرات البريطانية في بورسعيد، وكان يمثل خطرا على المقاومة؛ لأنه سبق أن عاش فترة طويلة قبل الجلاء في منطقة القناة يتعقب الوطنيين، ويجيد العربية، ويعرف بورسعيد جيدا، ويعرف الكثير من الأهالي، وخاصة الوطنيين منهم، ويعرف منازلهم، ويعرف ضباط البوليس. ولما جاء ضمن القوات الإنجليزية إلى بورسعيد، نشط في تعقب الفدائيين وتتبع أوكارهم(٥٥٠). ومن ثقته؛ كثيرا ما كان يقود سيارته بنفسه في شوارع بورسعيد. وقد استطاع أن يصل إلى عيادة الدكتور جلال الزرقاني واعتقل سبعة من ضباط الصاعقة كانوا يختبئون فيها. واقتحم عيادة الدكتور جودة طبيب الأسنان واعتقله وآخرون. وكانت العيادتان في حي الإفرنج في عمارتين غالبية سكانهما أجانب، وكان ويليامز يستخدم المالطيين وبعض الأجنبيات كجواسيس(٥٥١). ولهذا كان في نظر المقاومة الشعبية خطرا ينبغي التخلص منه.

---

٥٤٧) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص ص٨، ٩، "الإنجليز والفرنسيون يخافون من السمك والدراجات والعيش البلدي".
٥٤٨) الأخبار، عدد ١٤٢٧ في ٢٨ يناير ١٩٥٧، ص٥، "بورسعيد تضمد جراحها - البطاطس".
٥٤٩) اليوم السابع، ٥ ديسمبر ٢٠٠٨، "العائلة التي حاربتها المخابرات الإنجليزية".
٥٥٠) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٣، "الفدائيون يحاولون اغتيال مدير المخابرات البريطانية"؛ مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٥٥.
٥٥١) كمال القلش، المصدر السابق، ص٨٠؛ محمود الورداني، المصدر السابق، ص٢٧٠.

(ISSN : 2536 - 9555)

وكان معروف عنه أنه يتردد على بعض الأماكن بانتظام، ومن بينها مبنى المباحث العامة في شارع رمسيس وفاروق (النهضة)، وبجواره محل خردواتي يملكه والد الشهيد حسن حمود، وبعد المحل مكان واسع جزء من أرض مهجورة (خرابة) وجزء من سوق الفاكهة والخضروات. وكان ويليامز يمر دائما بعد الظهر على المباحث العامة، وكان ينتظره عدد من الناس يحملون شكاوى في أيديهم، معظمها شكاوى من أحد المواطنين ضد جندي اعتدى على منزله ونهب ما فيه(٥٥٢).

ويبدو إن تهديداته ونشاطه للوصول إلى خاطفي مورهاوس قد استفزت رجال المقاومة، فبدأ إعداد خطة لقتله. وقرر السيد عسران القيام بالمهمة في وضح النهار، وتربص به عند مبنى المباحث الذي اعتاد أن يتردد عليه، وهو المكان الذي تم عنده خطف مورهاوس، حيث كان خارجا من مبنى المباحث بعد مقابلته للواء منير الألفي مدير المباحث الجنائية متجها إلى سيارته ثائرا، نظرا لعجزه عن الوصول لمعلومات عن مورهاوس وخاطفيه(٥٥٣). وعلى الناصية الأخرى لشارع النهضة وأمام محلات ندا للأقمشة، وقف عسران بيده رغيف خبز بداخله قنبلة، وبيده الأخرى ورقة، رفع يده بالورقة ملوحا لويليامز، فظن أنه يريد أن يعطيه الورقة وأن فيها معلومات، فأشار إليه بالاقتراب منه، فألقى الورقة داخل السيارة، وتظاهر بأنه يقطم الرغيف وهو يسحب فتيل القنبلة، ولما حاول ويليامز انتشال الورقة؛ ألقى عسران رغيف الخبز المفخخ في دواسة السيارة وأسرع بالفرار، فانفجرت القنبلة، وأصابت ويليامز بجروح خطيرة، وقتلت أجنبي تصادف سيره. وقد قامت القيادة البريطانية بنقل ويليامز إلى المستشفى، ثم نُقل بطائرة عسكرية خاصة إلى قبرص لإنقاذه، لكنه مات فور وصوله بعد يومين من إصابته.

وقد اندس عسران وسط المحتشدين، ولما جاءت دورية وأمرتهم بالابتعاد، سار في شارع ضيق يؤدي إلى شارع فرعون، واختفى في الزحام. ولم يره سوى المخبر السري محمد قشطة الذي كان يقف على باب إدارة البحث الجنائي، لكنه تكتم الخبر، وذهب إلى المقهى الذي يملكه والد السيد عسران بشارع كسرى وطولون، وقص له ما حدث. ولما

٥٥٢) كمال القلش، المصدر نفسه، ص٨١.
٥٥٣) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص٣٢.

عاد السيد عسران إلى مقهى أبيه، وفوجئ بعلمه، وجدها فرصة لأخباره باستشهاد شقيقه عسران برصاص الاحتلال في ٦ نوفمبر (٥٥٤).

وفي حين ابتهج أهالي بورسعيد الذين لم يسلموا من شر ويليامز الذي طالما قام باعتقال وتعذيب الفدائيين، ارتعدت القيادة الإنجليزية، فقد استوقفت دورية جنازة أمام سينما مصر بشارع الثلاثيني، وأنزلوا النعش، ورفعوا الكفن عن وجه الميت ليتأكدوا أنه ليس ضابطهم المخطوف، وأن النعش لا يحتوي على أسلحة(٥٥٥). وأصدر ستوكويل أمرا بحظر التجوال في المدينة لمدة ٢٤ ساعة، اعتبارا من ظهر ذلك اليوم. وخلال حظر التجوال، قام الجنود الإنجليز بتفتيش المدينة منزلا منزلا، حتى المقابر والأنقاض لم تسلم من التفتيش بحثا عن الضابط المخطوف وعناصر الهاتاشاما(٥٥٦). وراحوا يقبضون على المارة ويفتشونهم، وأصبح مألوفا أن تجد الأهالي يجرى تفتيشهم وأيديهم مرفوعة إلى أعلى ووجوههم للحائط(٥٥٧).

وكان رجال الهاتاشاما يفلتون من عمليات التفتيش في الحي العربي، الذي اتخذت الجماعة من مقهى فيه مقرا لها، فاعتدوا عند تفتيش الدوريات للمنازل أن يقسموا أنفسهم مجموعات صغيرة من ٣ أفراد، وإذا اقتحم المعتدون منزلا صعدت المجموعة إلى السطح ويتسلل أفرادها إلى سطح المنزل المجاور وتنزل في بير السلم، وعندما تنتهي الدورية من تفتيش المنزل، وتأتي إلى المنزل التالي، صعدوا إلى السطح مرة أخرى، وعادوا إلى المنزل الذي انتهى تفتيشه، بينما القوات المعتدية يبحثون عنهم في المنازل المجاورة. وإذا انتهت عملية التفتيش وخرجت الدورية من الشارع، يتجمعون من جديد، وكانوا أحيانا

٥٥٤) القاهرة، عدد ١١٤١ في ١٤ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "لحظات الانسحاب الأخيرة من بورسعيد"؛ عدد ١١٤٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "الفدائيون المصريون ينتقمون لزملائهم بعد ٥ سنوات"؛ محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص١٦؛ حمدي جمعة، السيد عسران وحياته تاريخ المقاومة، مقال منشور على منتديات الفكر العربي (http://www.alfikralarabi.net). بعد أيام من انتهاء العدوان قام عبد الناصر بتكريم عسران ورفاقه، ثم تم استدعاؤه للتجنيد رغم أحقيته في الإعفاء كشقيق لشهيد، ولما زار عبد الناصر بورسعيد في احتفال العام الثاني للنصر، وسأل عن السيد عسران، أمر بتسريحه وتعيينه بهيئة قناة السويس. وقد واصل المشاركة في صفوف المقاومة عقب هزيمة ١٩٦٧ وبقى في بورسعيد طوال فترة الاستنزاف والتهجير.

٥٥٥) آخر ساعة، عدد ١١٥٦، المصدر السابق، ص٨، ٩.

٥٥٦) القاهرة، عدد ١١٤٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "الفرنسيون يحاولون نسف مركز توزيع الأغذية".

٥٥٧) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٢٦.

(ISSN : 2536 - 9555)

يودعون الدورية بكمين. ومع أنه لم يكن لهم تكتيكات ثابتة، ويتصرفون حسب الظروف، عادة ما كانت خططهم تأتي ناجحة. فقد أعدوا كمينا لقوة فتشت الحي العربي في ١٤ ديسمبر بحثا عن فدائيين، فانطلقت صيحات أفرادها ظهر الشياطين السمر، حيث كانوا يطلقون على عناصر الهاتاشاما(٥٥٨).

وفي أعقاب حادثتي مورهاوس ووليامز، حظرت القوات المعتدية على أهالي بورسعيد ركوب الدراجات والسيارات، ظنا أن هذا سيُحد من عمليات المقاومة وتنقُّل الفدائيين. فأصدرت لجنة العمال التابعة للجبهة المتحدة للمقاومة منشورا، أكدت فيه أن هذا لن يفيد ويؤكد رعب قيادة العدو، ومما جاء فيه: "نقول لقيادة العدوان طظ، هذا الإجراء لن يمنع الشعب من القيام بواجبه، ونقول للشعب الباسل إلى الأمام ولتكن غايتك فاقتلوهم حيث ثقفتموهم ولا تأخذكم بهم رحمة ولا شفقة(٥٥٩).

وبالفعل لم تهدأ المقاومة ولم ينته صخب المعارك وأصوات الانفجارات والطلقات النارية، ذلك أن الأهالي لم يعودوا يطيقون بقاء القوات المعتدية، وقد أذاعت وكالة الأسوشيتدبرس أن قائد القوات الإنجليزية والفرنسية ببورسعيد صرح أنه وقعت خلال ٢٤ ساعة ١١ حادثة إلقاء قنابل يدوية من الأهالي. وأن رجال المقاومة هاجموا القطاع الجنوبي الغربي من بورسعيد وألقوا بقنبلة يدوية من فوق أحد المباني على سيارة كانت تقل فرنسيين، ولم يتم القبض على أحد؛ نظرا للسرعة التي تتحرك بها الفدائيين(٥٦٠).

وظلت القوات البريطانية تتدفق بين الحين والآخر إلى ناحية شارع محمد علي بحثا عن الأسلحة والقبض على قاتل ويليامز، ووقعت اشتباكات مع رجال المقاومة وقوات الصاعقة بقيادة طاهر الأسمر ناحية شارع محمد علي وصفية زغلول وأبو الحسن وعبادي. حيث كان كل فرد من أفراد المقاومة يحمل جربندية بها قنابل. وكانوا ينتظرون تقدم أي دورية ليلا للانقضاض عليها، فعندما مرت دورية بشارع الأزهر والتجاري انقضوا عليها. وبدأت معركة في شارع الحميدي وأبو الحسن من بيت إلى بيت،

٥٥٨) القاهرة، عدد ١١٤٧ في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "القاهرة تشهد محاولات الأعداء الفاشلة وتشترك مع الشياطين السمر في عمليات الكفاح المسلح – كيف كان أبطال المقاومة يفلتون من التفتيش".
٥٥٩) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٢١.
٥٦٠) القاهرة، عدد ١١٤٢ و ١١٤٣ في ١٥ و ١٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص ص١، ٢، "قبعوا كالجرذان"، "١١ حادثة قنابل".

واستشهد ثلاثة من أفراد المقاومة. كما تعرض رجال المقاومة لدورية أمام المسجد العباسي تحت عمارة (قبطان) وتم القضاء على أربعة جنود بريطانيين. وفي شارع كسرى ومحمد علي تم نسف سيارتين جيب بمن فيهم. ومع بزوغ فجر اليوم التالي ١٥ ديسمبر أذاعت القوات البريطانية إنذارا لتسليم السلاح، وأعلنت عن مكافأة لم يرشد عن رئيس الفرقة الانتحارية بشارع أبو الحسن، وبدأت دوريات تجوب شارع سعد زغلول متجهة إلى شارع أبو الحسن لاحتلاله، لكنهم فوجئوا بسيل من الرصاص والقنابل، فاضطروا للتقهقر إلى حي الإفرنج وتمركزوا ناحية سينما الحرية، وقرب الظهر تقدمت سيارة إلى شارع محمد علي تُذيع إنذارا لأفراد المقاومة والجيش بتسليم أنفسهم خلال ٢٤ ساعة، وكالعادة لم يكترثوا، وتابعوا استهداف أي قوة معادية تتجاوز شارع محمد علي للدخول لشوارع سعد وصفية زغلول وعباس وعبادي وأبو الحسن(٥٦١).

إذن لم تحل جهود القوات المعتدية دون وقوع مزيد من العمليات، وتعاون رجال المقاومة والصاعقة، وكان نشاطهم يبدأ دائما مع الظلام وعند حظر التجوال، مع ما في ذلك من الخطر. وذكر إحسان عبد القدوس في مجلة روز اليوسف في ١٤ يناير ١٩٥٧، أن التعليمات كانت قد أُعطيت إلى قائد مجموعة الصاعقة بعدم القيام بأية عملية إلا إذا تلكأ العدو في الانسحاب، وعندما تصدر إليه الأوامر. وتسلل القائد بفرقته إلى بورسعيد، وتفرقوا بين الأهالي، وكان على اتصال بالقاهرة بواسطة جهاز اللاسلكي. وعندما اعتقل الإنجليز خمسة من الجنود بينهم ضابط اللاسلكي، اعتقلوهم على إنهم مدنيين، توقف الاتصال، وخشي القائد أن يكون الإنجليز اكتشفوا الشفرة، بعدما قبضوا على ضابط اللاسلكي، واعتقدت القيادة أن القائد دفعه حماسه للقيام بعملية دون أن يتلقى تعليمات، ولذا قررت إرسال ضابط يحمل تعليمات جديدة لقائد الفرقة، ومعه ضابط لاسلكي يحمل شفرة جديدة. وعند تسللهما لبورسعيد اعتقلهما الإنجليز، فهرب ضابط اللاسلكي، واستطاع الاتصال بالقائد، وأبلغه التعليمات(٥٦٢).

٥٦١) محمد نصر الدين شحبر، المصدر السابق، ص ص٣٣، ٣٤.
٥٦٢) روز اليوسف، عدد ١٤٩٢ في ١٤ يناير ١٩٥٧، ص٩، "تجارب من بورسعيد بقلم إحسان عبد القدوس".

(ISSN : 2536 - 9555)

وفضلا عن خطف مورهاوس واغتيال ويليامز؛ كان الهجوم على معسكر الدبابات الكائن في معسكر الحرس الوطني بشارع ٢٣ يوليو أمام مستشفى المبرة في ١٥ ديسمبر، أحد العمليات الكبرى. وقد أُسندت العملية إلى ضباط الصاعقة المختبئين في سجن قسم ثالث (قسم المناخ) والمتخفين في ملابس المسجونين، وتعاون معهم في العملية بعض رجال البوليس وأعضاء مجموعات المقاومة الشعبية(٥٦٣).

فقد استولى الإنجليز على معظم السيارات، ومنها سيارة رقم (٦٥٦)، وقابل صاحبها أحمد طاهر، فأبلغه أنه يعمل بالقاهرة وجاء في إجازة قبل العدوان. وأصر على أن يصحبه إلى منزله. والحقيقة إنه كان متطوعا في المقاومة الشعبية. وأقنعه أن لديه فرصة لاسترداد سيارته، وقال له: (صديقتك الإيطالية يمكنها أن تدعي إن السيارة مملوكة للقنصلية الإيطالية). وفي الصباح عرضا الفكرة على صديقته فرحبت. ورافقهما طاهر، وذهبوا إلى القيادة البريطانية فصرحت لهم بالدخول للمعسكر للبحث عن السيارة، وكانت فرصة حيث تجولوا داخل المعسكر الذي أقامه الإنجليز على الشاطئ وأحاطوه بالأسلاك. وعندما وجدوا السيارة، رفض الضابط تسليمها لهم إلا بخطاب من القنصلية. ولما تحفظت الفتاة على تزوير خطاب، أقنعها طاهر. وفي اليوم التالي ذهبوا للمعسكر واستلموا السيارة. ووضع طاهر عليها لوحة معدنية برقم (١٢٠٠ القنصلية الإيطالية ببورسعيد).

وعرف طاهر صديقه على شخص يُدعى محمد الجيار، وأخبره إنه تاجر أسماك، وإنه يريده أن يقدم له مساعده، فيذهب معه إلى شاطئ البحيرة لنقل عدة صناديق أسماك في سيارته، لعدم وجود وسيلة أخرى. فذهب معهما، وقاموا بنقل صناديق السمك إلى منزلي عدنان الشامي والدكتور حسن جودة في حي الإفرنج. وطلب طاهر منه خريطة لبورسعيد بشوارعها. ولما كان يعمل في شركة القنال، أحضر خريطة إلى طاهر، وأوصله إلى منزل الدكتور جودة، وعاد إلى منزله.

وفي الواحدة صباحا فوجئ بسيارة إسعاف تقف أمام منزله ونزل منها طاهر، وأبلغه بضرورة أن يتوجه معه بالسيارة إلى بحيرة المنزلة وينتظرا بائع سمك يضع على كتفه شبكته. فتوجها في الصباح إلى هناك، وقابلا صيادا، وحمل الأخير قفص مليء

٥٦٣) ضياء الدين حسن القاضي، موسوعة تاريخ بورسعيد، الجزء الثالث، ص٢٣٩.

بالأسماك ووضعه في السيارة، وانطلقا إلى منزل عدنان الشامي، فكان ينتظرهم الجيار وجلال هريدي وأبو نار وآخرون، وكانت أمامهم الخريطة، ووضعوا عليها علامات باللون الأحمر، كانت تحديدا للعمليات التي سيقومون بها. وفي اليوم التالي علم بخبر نسف معسكر الأعداء بالشاطئ، الذي استلما منه السيارة، فأدرك أن طاهر كان يُصر على التردد على المعسكر لكي يرصد الاستحكامات فيه تمهيدا لتنفيذ عملية فدائية(٥٦٤).

وفيما يتعلق بتفاصيل العملية، يذكر اليوزباشي مصطفى كمال الدين الصياد إن الأوامر صدرت إليهم بالتعاون مع رجال الصاعقة في المدينة في عملية نسف معسكر الدبابات البريطانية أمام مستشفى المبرة. وفي الساعة ١١ صباح ١٤ ديسمبر ١٩٥٦ التقى الصياد بجلال هريدي قائد مدرسة الصاعقة في مكتب الصياد بقسم شرطة العرب. وتوجه الصياد بسيارة القسم وبصحبته ملازم نبيل الوقاد من رجال الصاعقة والسائق بدر الجراحي إلى المخزن الذي كان يتخذه رجال الصاعقة بشارع إبراهيم توفيق بالدور الثالث منزل شقيق الدكتور حسن جودة، وقاما بنقل الأسلحة. كما تم إحضار ثلاث سيارات إسعاف أمام القسم، كان بداخلها عدد من رجال المقاومة(٥٦٥).

وفي الساعة الخامسة مرت دورية بريطانية من ثلاث سيارات أمام قسم العرب، فقام رجال المقاومة داخل سيارات الإسعاف بمناوشتها، فراحت الدورية تتبعهم بعدما تفرقوا في اتجاهات مختلفة، مما أتاح الفرصة لنقل الأسلحة في سيارة البوليس لمكان تنفيذ العلمية. أما رجال الصاعقة المقرر اشتراكهم في العملية: طاهر الأسمر، مدحت الرديني، حسين مختار، فتولى بعض رجال المقاومة من قسم شرطة المناخ الذين يختبئون فيه أخذهم وتوصيلهم لمكان العملية(٥٦٦).

وفي حديثة عن العملية ذكر إحسان عبد القدوس أن قائد الصاعقة رأى تضليل الإنجليز بنصب أربع كمائن في شوارع متفرقة، كل كمين مهمته اصطياد دورية إنجليزية، بينما يكون هو على رأس قوة تهاجم معسكر الدبابات. وفي منتصف الليل اعترض إحدى مجموعات المقاومة دورية على سيارة جيب، واعترض مجموعة ثانية

٥٦٤) الاثنين والدنيا، عدد ١٢٢٠ في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٧، ص٤، "أسرار تذاع لأول مرة".
٥٦٥) ضياء الدين حسن القاضي، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص٢٣٩.
٥٦٦) المرجع نفسه.

(ISSN : 2536 - 9555)

دورية على سيارة لوري، والثالثة قضت على دورية على سيارة جيب، وأبادت مجموعة رابعة دورية مترجلة. وفي الوقت الذي كانت فيه القيادة البريطانية مهتمة بالاعتداءات التي تعرضت لها دورياتها، كان رجال الصاعقة ومعاونوهم يتسللون لمكان العملية، وتم وضع المدافع المضادة للدبابات في الأماكن المعدة للضرب، وسد المنافذ الموصلة للمعسكر لعرقلة الدخول أو الخروج منه، وفي الواحدة صباحا بدأ تنفيذ العملية، وتم تخريب ست دبابات وثلاث سيارات لوري. ثم انسحب الجنود ودفنوا أسلحتهم في أرض حديقة قريبة، وعادوا من حيث أتوا. وفي الصباح رأى الأهالي الدبابات المحترقة، وحملوا أسلحتهم وهاجموا المعسكر، وراح ضحيته عدد من الأهالي(٥٦٧).

وكان رد فعل ستوكويل على عملية معسكر الدبابات عنيفا، فقام بحملة اعتقال شملت ألف شخص(٥٦٨). كما تراجع عن اتفاقه بدعوة للبوليس المصري لدخول بورسعيد، فخشي أن يُلهب وصوله الشعور الوطني للأهالي، فيقوموا بمظاهرات وعمليات ضد قواته التي باتت ضئيلة(٥٦٩).

وكان يوم ١٥ ديسمبر عصيبا على القوات المعتدية، فقامت إحدى مجموعات المقاومة بنسف سيارة فرنسية أمام كنيسة الأقباط، وألقوا القنابل على جميع الدوريات التي مرت بشوارع ١٠٠ ومحمد علي وسعد زغلول. وهاجمت مجموعة ثانية مدرسة الواصفية بشارع محمد علي وأوجيني، وتولت المجموعة الخامسة مهمة منع وصول نجدات للقوات المحاصرة في المدرسة. وقامت المجموعة السادسة والتي شارك أفرادها في عملية معسكر الدبابات، بالقاء قنابل يدوية على سيارتي جنود بشارع عرفات، واعتراضوا دورية أمام مخازن البوليس(٥٧٠). واستمرت معركة الواصفية ثلاث ليال، وتكبد الإنجليز خسائر فادحة، وكان صوت المعركة يهز جنبات المدينة طوال الليل(٥٧١).

٥٦٧) روز اليوسف، عدد ١٤٩٢، المصدر السابق.
٥٦٨) عبد المنعم عبد القادر، المصدر السابق، ص١١٠.
٥٦٩) القاهرة، عدد ١١٤٥ في ١٨ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "لماذا تأخر دخول البوليس المصري بورسعيد"، عدد ١١٤٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "الفرنسيون في بورسعيد يحاولون نسف مركز توزيع الأغذية".
٥٧٠) البوابة الالكترونية لمحافظة بورسعيد.
٥٧١) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٥٩.

وبينما كانت المعارك في ١٥ ديسمبر على هذا النحو، كانت حشود من القوات المعتدية تركب البحر لتغيب عن الأنظار، وحاولت قيادتها تغطية عمليات الانسحاب، فكثفت دورياتها، وفي آخر اعتداء لهم على الأهالي في ذلك اليوم؛ أسفر الحادث عن استشهاد ٢٣ وإصابة ٦٠ بإصابات بالغة(٥٧٢).

والواقع إن العمليات المتلاحقة منذ ١١ ديسمبر خلقت للمحتلين ظروفا لا تُطاق ونشرت الذعر بينهم، وأفقدت قيادتهم أعصابها، فراحت تُصدر الأوامر لإقرار النظام، ولكن ظلت حبرا على ورق(٥٧٣). وبدأت الجبهة المتحدة للمقاومة تفكر في خرق حظر التجوال الذي يُفرض على المدينة من الخامسة مساءً، فعبأت الأهالي؛ وأعد الباعة (كلوبات) لإضاءة محلاتهم، واستعدت المدينة لمواصلة الحياة الطبيعية، وفوجئت قوات العدو أن الناس يمارسون حياتهم غير مبالين بحلول حظر التجوال. وأنذر ستوكويل المحافظ بإطلاق النار إذا لم يلزم الناس بيوتهم، فانطلق رجال الجبهة المتحدة يطالبون الناس بدخول بيوتهم وإغلاق محلاتهم، وكانت الساعة الثامنة(٥٧٤).

وفي ١٦ ديسمبر هاجم أفراد المجموعة الثانية للمقاومة دورية بشارع نبيه، ونسفوا سيارة في شارع محمد علي، واشتبكوا مع دورية في شارع الثلاثيني، وقضوا على دورية في قرية القابوطي(٥٧٥). فاجتاحت قوات العدو ودباباته الشوارع، وراحت تُطلق النار على البيوت والسكان الآمنين(٥٧٦).

وكانت العمليات الأشرس تلك التي شارك فيها رجال الصاعقة هريدي والجيار والأسمر، فعلى الرغم من المسافة وكثرة نقاط التفتيش، تمكنوا ومعهم رجال المقاومة من الوصول إلى منطقة الجميل غرب المدينة، ونسفوا بعض الدبابات، وقتلوا بعض الجنود. وفي إحدى عملياتهم تسللوا إلى مطار الجميل ليلا عن طريق بحيرة المنزلة، وذبحوا

٥٧٢) القاهرة، عدد ١١٤٤ في ١٧ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "تغطية الانسحاب – التلكؤ والاستفزاز لمجرد التغطية"؛ عدد ١١٤٧ في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "مائة حادثة للإنجليز في بورسعيد منذ أول ديسمبر – استشهاد ٢٣ مصريا في آخر اعتداء لهم يوم السبت".
٥٧٣) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣٢
٥٧٤) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص١٠٠، ١٠١.
٥٧٥) البوابة الالكترونية لمحافظة بورسعيد.
٥٧٦) بريماكوف وأروتيونوف، المصدر السابق، ص٣١.

(ISSN : 2536 - 9555)

حُراسه من ناحية البحيرة، وقاموا بنسف طائرتين هليكوبتر ثم عادوا بزوارقهم ذات المجاديف اليدوية التي جاءوا فيها عبر البحيرة(٥٧٧).

وكما سيطر الرعب والشعور بالفشل على القوات المعتدية الباقية، راودتهم رغبة في الانتقام وإرهاب الأهالي؛ ففي ١٨ ديسمبر حاول الفرنسيون نسف مركزا لتوزيع المواد الغذائية أمام المستشفى الأميري، كان يعج بأبناء المدينة. ولكن إحدى عضوات بعثة الهلال الأحمر اشتبهت في لفافة مخبأة بين فروع شجرة ملاصقة للمركز، فتم استدعاء القوات الدولية وقاموا بتفكيك القنبلة(٥٧٨).

على أية حال، تحت وطأة المقاومة؛ أعادت القوات المعتدية النظر في ترتيباتها، وقلصت منطقة احتلالها، ولم تعد دورياتها تجوب الشوارع، واكتفت بالطواف قرب مقارها(٥٧٩)، ورأوا الفصل بينهم وبين الأهالي. فانسحبوا من حي العرب، وأقاموا أسلاكا شائكة من شمال المدينة حتى جنوبها، قسمتها نصفين، وعزلوا حي الإفرنج وبورفؤاد، ومنعوا الدخول إلا بتصريح، عبارة عن ختم على الأيدي. ومع ذلك كان يتسلل للمنطقة الأخرى عناصر المقاومة يلصقون صور عبد الناصر والمنشورات(٥٨٠). مثال ذلك منشور بعنوان (PIRATES) وجاء فيه: (Go To Cold Hunger, If You Try To Come Again, We Are Staying Here, Ready To Send Edn To Death)، وترجمته "أيها القراصنة اذهبوا للبرد والجوع، إذا حاولتم العودة فإننا مستعدون لكي نرسلكم إلى الفناء"(٥٨١).

وإزاء ذلك مدت القوات المعتدية مزيدا من الأسلاك الشائكة حول نفسها في شرق المدينة؛ ووضعت في مدخل الميناء مزيدا من الجنود والأسلحة الثقيلة لحراسة الجنود المنسحبين في الظلام، وتكتمت موعد إنهاء الانسحاب. في حين وقفت القوات الدولية خلف الأسلاك الشائكة لتمنع الأهالي من الانتقام ومهاجمة السفن التي تستعد للرحيل. وقد أعلنت قيادة الوقت المعتدية حالة الطوارئ القصوى لتحمي المنسحبين، وتجمعت

٥٧٧) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٦٠.
٥٧٨) القاهرة، عدد ١١٤٦، المصدر السابق.
٥٧٩) روز اليوسف، عدد ١٤٩٢، المصدر السابق.
٥٨٠) كمال القلش، المصدر السابق، ص ص١٢٦، ١٢٧.
٥٨١) مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، المصدر السابق، ص١٥٣.

حول مقر الجنرال ستوكويل قائد القوات المشتركة ببورسعيد عند اجتماعه وشريكه الفرنسي أندريه بوفر بالجنرال كيتلي القائد العام للقوات المعتدية(٥٨٢).

وأصبحت القوات المعتدية تتعجل الانسحاب، فأخلت المباني العامة والمستشفيات والمدارس التي كانت تتخذها مراكز لها. وانتهت عملية نقل العتاد والذخائر ومواد التموين، وتجمعت القوات الباقية في المنطقة التي تحيط بالميناء ورابطة فصيلة مؤخرة القوات المعتدية في منطقة أحيطت بالأسلاك الشائكة خلفها ستار من ٦٤ دبابة لحماية فلول القوات المنسحبة. كما تسلمت القوات الدولية محطة السكة الحديد بعد انسحاب القوات منها وإخلائها ضمن برنامج انسحابها(٥٨٣).

ولم يفارق الفزع القوات وهي تنسحب من مواقعها، فكانوا يختارون فترة حظر التجوال ليقوموا بالانسحاب من المواقع؛ حتى لا يرى الأهالي أعلامهم وهي تنخفض فوق المباني التي كانوا فيها، فكان الأهالي في الصباح يفاجئون بأماكن قد أُخليت وأعلاما قد اختفت. فقد ظل كثير من الأهالي عدة أيام يراقبون مبنى القنصلية الإنجليزية، وكانت تستعد للرحيل وتنقل أثاثها ومتعلقاتها، وظل العلم الإنجليزي على المبنى والأسلاك الشائكة حوله، وحراس من كل الجهات والمنازل المحيطة مُحتلة، ومنصوب فوقها المدافع، وفي ليلة الأربعاء ١٢ ديسمبر كان العلم لا يزال موجودا، فانصرف الأهالي عندما حل موعد حظر التجوال، وفي اليوم التالي، فاكتشفوا أن العلم تم إنزاله ليلا، وآخر فوج من موظفي القنصلية قد غادرها(٥٨٤).

وفي فجر الجمعة ١٤ ديسمبر أرسلت القوة الموجودة بإحدى المدارس تطلب من القوات الدولية الحضور لتسلم المدرسة وحمايتهم من الأهالي، وقد انسحب الجنود في فوضى، واهتموا بحرق أوراقهم ومتعلقاتهم قبل مغادرتهم الموقع، واستقلوا سياراتهم إلى الميناء. كما انسحبت قوة إنجليزية ليلا من مبنى المستشفى اليوناني، وقد دخلته القوات

٥٨٢) القاهرة، عدد ١١٤١ في ١٤ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "جرائم المعتدين وفزعهم في بورسعيد"، ص٤، "لحظات الانسحاب الأخيرة من بورسعيد – كيتلي يشهد الانسحاب"، عدد ١١٤٢ المصدر السابق.
٥٨٣) المصدر نفسه، عدد ١١٣٩ في ١٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "الأسلاك الشائكة حول مؤخرة المعتدين"، عدد ١١٤٠ في ١٣ ديسمبر ١٩٥٦، عدد ١١٤١ في ١٤ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "إخلاء المدارس والمستشفيات".
٥٨٤) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٩، "الأعلام تنزل في الظلام".

(ISSN : 2536 - 9555)

الدولية، واكتشفوا أن الإنجليز نزعوا أسلاك الكهرباء وألقوها على الأرض، فحرصت القوات الدولية على إزالتها لتفادي الخطر(٥٨٥).

ويبدو أن الإنجليز والفرنسيين قبل انسحابهم أصابهم جنون التخريب، فكانوا يتلفون كل شيء وكل مكان قبل مغادرته، ففي مدرسة بورسعيد الإعدادية التي انتهى بناؤها عام ١٩٥٦، قطعوا أسلاك الكهرباء ونزعوا صنابير المياه. وعندما حضرت قوة الطوارئ لتسلمها، وقف الضابط يقرأ التعليمات على جنوده في ضوء بطارية، وأحضر الأهالي لهم ثلاث كلوبات ليستعملوها لحين إصلاح ما أفسده المنسحبون، مع أن المدرسة كانت مضاءة في الليلة السابقة. وعبث الجنود الإنجليز أيضا بماكينات توليد الكهرباء، مما أدى إلى تلف راديوهات بورسعيد، واحترقت لمباتها(٥٨٦).

وأتلفوا وأحرقوا عدد من المنشآت والمستودعات في الميناء، وخربوا عدد من المؤسسات الخيرية والصحية(٥٨٧). وعز على القوة التي كانت تحتل فيلا الثري (عبد الرحمن لطفي)، أن يتركوها سليمة، فقطعوا الستائر ومزقوا الأثاث بالسكاكين، وحطموا الأرض الباركية برصاص بنادقهم(٥٨٨).

وفي الأيام الأخيرة أيضا أصيب الجنود الإنجليز والفرنسيين بحمى السلب والنهب الممزوجة بالرغبة في الانتقام، فقد نهبوا كميات من الدقيق من مخازن المدينة، ونثروه على الأرض وداسوه بأقدامهم. بينما كان ستوكويل يقف يضم ذراعيه إلى صدره ويراقب العملية. وعلى الرغم من استيلاء القوات المعتدية على محتويات مخازن الجمارك، طلب ستوكويل من محافظ بورسعيد التوقيع على محضر بأن مخازن الجمارك سليمة ولم يحدث بها أي شيء، لكن رفض المحافظ ومدير الجمارك، ولم يكترثا بتهديدات ستوكويل(٥٨٩).

---

٥٨٥) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٦، "آخر ساعة تشهد الهروب من بورسعيد". دخل صلاح جلال ومصطفى شردي بورسعيد ليشهدا آخر أيام الإنجليز والفرنسيين فيها، وليعيشا الأيام القليلة التي تسبق تحررها، وقد واليا مجلة آخر ساعة بتحقيقات صحفية من داخل بورسعيد ترصد حالة الفزع والفوضى التي تبدو على القوات المعتدية.

٥٨٦) المصدر نفسه، ص٦، "بورسعيد من صلاح جلال ومصطفى شردي - كلوبات للقوة الدولية".

٥٨٧) القاهرة، عدد ١١٤١ في ١٤ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "جرائم المعتدين وفزعهم في بورسعيد".

٥٨٨) بنت النيل، عدد ١٣٦ في فبراير ١٩٥٧، ص٧٦، "بورسعيد الباسلة".

٥٨٩) القاهرة، عدد ١١٤٥ في ١٨ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "الله يشفيه"، عدد ١١٤٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "لصوص الجمرك".

ومع إن ستوكويل أعلن أن المدينة باتت محرمة على الجنود الإنجليز والفرنسيين، كثرت منذ منتصف ديسمبر حوادث السلب والنهب عن قبل. فعمدوا إلى سرقة المحال التي لم يسرقوها، والسيارات الخاصة من الجراجات والشوارع، فقد سرق جندي سيارة كاديلاك سوداء يمتلكها التاجر اليوناني كرودتس، وشوهد يقودها في شوارع بورسعيد، ثم اختفت داخل أحد السفن الراسية في الميناء والمخصصة لشحن السيارات العسكرية(٥٩٠). كما شُحن في السفن عدد من السيارات المملوكة للأهالي، كان قد تم مصادرتها(٥٩١).

واحترف الجنود السطو على محال المجوهرات والتحف والأقمشة والساعات، فبمجرد غروب الشمس وحلول حظر التجوال يبدأ الجنود في سرقة المحال والمخازن والبيوت، وغالبا يشعلون النار فيها(٥٩٢). ففي يوم واحد وقع ١٥ حادث سرقة محال تجارية، ٢٠ حادث سرقة من البيوت. وبلغ عدد الثلاجات والمواقد الكهربائية التي سُرقت ٣٠٠، غير الملابس والتحف والمجوهرات(٥٩٣). وأحيانا كانوا ينقلون المسروقات على عرباتهم، ويقصدون الشارع المجاور لعزبة فاروق التي كانت وقرا للصوص والأشقياء، فكانوا يقومون بمبادلة البضائع المنهوبة بزجاجات الوسكي والنقود(٥٩٤).

وفضلا عن ذلك، اعتادوا سرقة الخنازير، ففي إحدى الليالي وأثناء حظر التجوال؛ سمع سكان شارع الثلاثيني أصوات خنازير، ولما أطلوا من النوافذ وجدوا ثلاث سيارات لوري تحمل خنازيرا سرقها الجنود من عزبة الخنازير قرب بحيرة المنزلة. وعلى نفس النهج، سرق الفرنسيين حصانا من إحدى عربات الحنطور، وعادوا به إلى معسكرهم قرب معدية بورفؤاد، وذبحوه وأخذوا فخذه، وألقوا بالباقي أمام المعسكر، وعندما مر حوذي أمروه أن يلقيه بعيدا. ويبدو إنهم كانوا معذورين، ففي أيامهم الأخيرة، كان الجنود

٥٩٠) آخر ساعة، عدد ١١٥٦، المصدر السابق.
٥٩١) القاهرة، عدد ١١٣٥ في ٨ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "سفن الأعداء تشحن سيارات الأهالي المسروقة".
٥٩٢) المصدر نفسه، عدد ١١٣٧ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "أعمال السلب والنهب كما يصفها راديو موسكو".
٥٩٣) طاهر أبو فاشا، المصدر السابق، ص١٤٢.
٥٩٤) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٣٠. كان الأشقياء في عزبة فاروق يقومون أيضا ببعض أعمال السلب والنهب أثناء حظر التجوال، وقد اعترف بعض اللصوص أنهم قاموا فقط بنهب محلات اليهود.

(ISSN : 2536 - 9555)

يجوبون شارع فؤاد طولا وعرضا، ولكنهم يجدونه مغلقا في وجوههم، وقد استعانوا بالقوة لمحاولة إرغام بعض التجار على فتح محلاتهم، ولكن كالعادة لم تجد هذه الطريقة[٥٩٥].

وفضلا عما سبق، أُصيب الإنجليز والفرنسيين بفزع من الخبز البلدي والدراجات والأسماك، والسبب أن قفصا من الخبز ألقي على دورية في شارعي كسرى وبني سويف، كان بداخل أحد الأرغفة قنبلة، انفجرت وأصابت ثلاثة جنود وقتلت رابع، وفي أعقاب ذلك حرص الإنجليز على تفتيش المخابز وأقفاص الخبز، ويعتقدون أن بداخل كل رغيف منفوخ قنبلة ستنفجر. وبالمثل كانت صناديق الأسماك مصدر قلق، ذلك أن دورية كانت تفتش صناديق الأسماك الواردة من بحيرة المنزلة عند قرية القابوطي، فانفجرت فيها لغم كان بداخل الصناديق، وقُتل سبعة جنود، ومن يومها منع الإنجليز دخول الأسماك بورسعيد، ومنعوا الصيادين من الاقتراب من الشاطئ. ولما كانت دراجة قد استعملت في خطف مورهاوس، ونظرا لاستعمال الدراجات في خطف البنادق من أيدي الجنود، أصدرت القوات المعتدية أوامرها بمنع سير الدراجات، وصادرت الموجود منها، وحملته إلى السفن الراسية في الميناء. نوع رابع من الخوف سيطر على جنود الأعداء هو الخوف من عدسات التصوير، فقد كانوا لا تريد أن يسجل أحد تصرفاتهم أو عمليات انسحابهم، ولذلك كانوا يخطفون آلات التصوير ويعتقلون كل من يحمل كاميرا، حتى المصورون الذين كانوا يحملون على أذرعهم شارة الأمم المتحدة، كان يتم التضييق عليهم، ولا يسمحون لهم بالتجول بحرية[٥٩٦].

على أية حال مضت عملية الانسحاب، وفي فجر ١٦ ديسمبر غادرت حاملة طائرات بريطانية بورسعيد، وعلى متنها ١١٠٠ جندي. وأعلن ستوكويل أن السفن اللازمة لنقل باقي الجنود وإتمام الانسحاب تم تجهيزها في الميناء. وفي اليوم التالي تسلمت القوات الدولية القسم الغربي من المدينة، ورُفعت عليه أعلام الأمم المتحدة. وبدأت الحياة تعود تدريجيا للمدينة، وفتحت المتاجر المغلقة أبوابها، وبدأ رفع الأسلاك

٥٩٥) آخر ساعة، عدد ١١٥٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص٨، "الصوص الخنازير"، ص٩، "بورسعيد من صلاح جلال ومصطفى شردي".
٥٩٦) المصدر نفسه، ص٩، "الإنجليز والفرنسيون يخافون من السمك والدراجات والعيش البلدي".

الشائكة التي أقامتها القوات الإنجليزية حول تمركزاتها. وأكد غالبية الأهالي عدم شعورهم بوجود القوات المعتدية التي حبست نفسها خلف الأسلاك في الميناء(٥٩٧).

وقد تحرك إلى بورسعيد قطار الإغاثة الذي أعدته وزارة الشئون الاجتماعية، وكان يحمل ٧٩٧ قفصا من البرتقال، ١١١ طن جزر، ٣٠٠ جوال بطاطس، ٤ أطنان باذنجان، ٦٩ جوال فاصوليا، ١٥٠ جوال عدس، ٣٥٠ جوال فول، وذلك لسد حاجة المدينة من المواد التموينية والغذائية(٥٩٨).

وفي ١٧ ديسمبر أيضا وصل بورسعيد فوج من البوليس المصري يضم ألف فرد، نظمت الجبهة المتحدة للمقاومة مظاهرة حاشدة لاستقبالهم، باعتبارهم رمزا للحكومة المصرية. وقد تعاون البوليس المصري مع قوات الطوارئ في حفظ الأمن بالمدينة. وعلى إثر ذلك انكمشت القوات المعتدية أكثر داخل الميناء. ولم يعد الأهالي يرون حول منطقة الميناء إلا الأسلاك الشائكة، فقد صنعت القوات الباقية من الأسلاك قفصا كبيرا احتماء من غضب الأهالي وعناصر الهاتاشاما. وفي حين لم يكن عناصر الهاتاشاما تعوزهم الحيلة في التسلل للميناء حيث تقبع القوات الباقية، ففي إحدى العمليات تنكر اثنين منهم في ملابس جنود إنجليز، وحملا السلاح، وقصدا منطقة الميناء، واقترب منهم جندي فرنسي وسألهم بالفرنسية فأخذا يتحدثون بالإنجليزية الركيكة بطريقة تشبه لهجة الجنود الموريشيان، فاقترب جندي إنجليزي آخر، وأشار لزميله الفرنسي أن يتركهما. وهكذا دخلوا الميناء، وراحوا يرصدون الحالة داخل المعسكر، ووجدوا الجنود الموريشيان يعملون حمالين والسنغاليين يتجولون بين المواقع والخنادق، كما رصدوا محاولة فاشلة من القوات الإنجليزية والفرنسية لنسف السفن الغارقة ومحاولة فتح الميناء لاستقبال سفن أخرى(٥٩٩).

---

٥٩٧) القاهرة، عدد ١١٤٢ في ١٥ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "١١ حادثة قنابل"، عدد ١١٤٥ في ١٨ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد تعلن أنها لا تشعر بوجودهم".

٥٩٨) المصدر نفسه، عدد ١١٤٥، المصدر نفسه، ص٤، "مواد تموينية لبورسعيد"، ص٥، "حرام"؛ آخر ساعة، عدد ١١٥٧ في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٤، "٤٥ يوما عاشتها المدينة تحت النار".

٥٩٩) القاهرة، عدد ١١٤٦ في ١٩ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "الأعداء يدخلون القفص بعد وصول أول فوج من البوليس المصري"، عدد ١١٤٧ في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦، ص٧، "القاهرة تشهد محاولات الأعداء"، عدد ١١٤٩ في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "بورسعيد في ٢٤ ساعة"؛ شهدي عطية

(ISSN : 2536 - 9555)

على أية حالة تعجلت قيادة القوات المعتدية في بورسعيد قدوم عدد كاف من السفن لحمل الجنود والعتاد الباقي لإتمام الانسحاب، وفي ١٩ ديسمبر ١٩٥٦ وصلت ست قطع من الأسطولين الإنجليزي والفرنسي، وأبلغ ستوكويل محافظ المدينة أن عملية الانسحاب ستتم قبل ٢٤ ديسمبر، دون تحديد موعد الانسحاب بالضبط. وقد أبحرت ثلاث سفن وبقي مثلها(٦٠٠).

وفي اليوم نفسه، تم إنزال العلم البريطاني من فوق مبنى هيئة قناة السويس، والذي كان مقراً لقيادة العدو، وتسلمت القوات الدولية المبنى، ونقل ستوكويل مقر قيادته إلى سفينة حربية في الميناء. وفي ٢٠ ديسمبر سلمت القوات البريطانية مطار الجميل إلى قوة البوليس الدولي. وفي الثالثة مساء الجمعة ٢١ ديسمبر وبحضور القوات الدولية تم في محطة الكاب تبادل الأسرى منهم ٤٧٢ من الأعداء، و٣٧٤ من الوطنيين. وكانت القوات الفرنسية قد نقلت إلى قبرص ١٣٢ أسيرا، فاشترطت مصر إعادتهم، فأعطيت الأوامر للسفينة التي تحملهم بالعودة(٦٠١).

ومنذ فجر ٢٢ ديسمبر نشطت حركة ترحيل القوات المعتدية، وأصبح إعلان الجلاء رسميا متوقعا في أي لحظة، فانسحبت القوات من الميناء، وبقي بعضها عند تمثال ديلسبس. وأعلن ستوكويل حظر التجوال في منطقة الميناء لمدة ٢٤ ساعة، حتى على الأجانب والدبلوماسيين لتجنب تسرب أنباء الانسحاب النهائي للصحفيين وأهالي بورسعيد(٦٠٢). كما تواصلوا مع المحافظ، فهددوه بضرب المدينة بالقنابل لتأمين انسحابهم

الشافعي، المصدر السابق، ص١٨٢. بينما عجز ستوكويل عن التوصل إلى عناصر هاتاشاما، استطاع مراسل صحيفة القاهرة عزت سامي التسلل إلى بورسعيد، وتوصل إليهم في المقهى الذي كانوا يتخذونه مقرا لهم، واصطحبوه للمنطقة التي تقبع فيها القوات المعتدية الباقية ليرى بنفسه عمليات الانسحاب، واخترقوا الستار الحديدي الذي كان يقيمه الأعداء.

٦٠٠) المصدر نفسه، عدد ١١٤٧، ص٢، "تصريح محافظ بورسعيد"، عدد ١١٤٨ في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "ستوكويل ينكمش".

٦٠١) طاهر أبو فاشا، المصدر السابق، ص١٤٣؛ عبد المنعم عبد القادر، المصدر السابق، ص ص١١٠، ١١١.

٦٠٢) القاهرة، عدد ١١٤٩ في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "مع غير سلامة"، ص٥، "إعلان الجلاء رسميا"، عدد ١١٥٠ في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦، ص٥، "كيف تمت عمليات الانسحاب النهائية من بورسعيد".

إذا لم تتوقف المقاومة؛ فانطلقت في شوارع المدينة عربة بميكروفون، تذيع بيانا من المحافظ وآخر من الجبهة المتحدة للمقاومة بوقف المقاومة(٦٠٣).

وفي العاشرة والنصف صباح السبت ٢٢ ديسمبر عبر القناة من بورسعيد إلى بورفؤاد قائد قوات الطوارئ وبصحبته قائد القوة الكولومبية المشاركة في قوات الطوارئ، وقابلهم قائد القوات الفرنسية، وسلم الأخير بورفؤاد إلى القوات الدولية، وانسحبت آخر ثلاث فرق، وتم إنزال العلم الفرنسي ورُفع علم الأمم المتحدة. وعلى الرغم من الحصار الذي فرضه الفرنسيون، ومنعهم الصحفيين وعدسات التصوير من حضور مراسم تسليم المدينة وإنزال العلم الفرنسي، تسلل الأهالي والصحفيين ليشهدوا إنزال العلم الفرنسي عن بورفؤاد. وفي اليوم نفسه سلم الإنجليز مطار الجميل لقوات الأمم المتحدة، ذلك المطار الذي نزلت فيه القوات الإنجليزية، ودفن عدد كبير منهم تحت أرضه(٦٠٤).

وفي ذلك اليوم لم يكن في منطقة الميناء سوى عدد ضئيل من الجنود الإنجليز لا يزيد عن الألف مع بعض عربات وثلاث دبابات، وتم شحنهم على ٤ سفن كانت بالميناء. وفي المساء وأثناء حظر التجوال أتم الإنجليز انسحابهم، وانطلقت صفارات الأمان في بورسعيد إيذانا بانتهاء الغارة الطويلة التي عاشتها قرابة ٤٨ يوما. وأصبحت بورسعيد في ٢٣ ديسمبر بلا أعداء، وعقد المحافظ مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن السلطات المصرية تسلمت المدينة منذ فجر ٢٣ ديسمبر(٦٠٥).

وبدأت الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية في صباح ٢٣ ديسمبر تنظم لمظاهرة كبرى احتفالا بإتمام الانسحاب، واستقبال قوات الجيش التي ستدخل بورسعيد في الساعة الرابعة. وسار في موكب النصر جموع غفيرة الأهالي يحملون بنادقهم التي قاتلوا بها،

٦٠٣) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٣١. أذاعت البيانين الصحفية أمينة شفيق زوجة عبد المنعم القصاص، التي وصلت قبل عدة أيام.
٦٠٤) آخر ساعة، عدد ١١٥٧ في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٦، ص٢، "عدسة آخر ساعة تدخل بورفؤاد"، ص٣، "آخر ساعة لهم في بورسعيد".
٦٠٥) القاهرة، عدد ١١٥٠ في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦، ص١، "بورسعيد بلا أعداء"؛ ص٥، "كيف تمت عمليات الانسحاب النهائية".

(ISSN : 2536 - 9555)

ويطلقون الرصاص في الهواء ابتهاجا بالنصر، وسار في مقدمة موكب النصر بعض أمهات الشهداء، كل منهن تحمل صورة ابنها الشهيد(٦٠٦).

وقد احتشد آلاف من الأهالي، ولم يكن بعضهم يصدق أن الحياة عادت للمدينة، وأنها باتت بلا أسلاك شائكة ولا حظر تجوال، وزحفت الجماهير نحو محطة القطار حيث وصلت قوات رمزية من الجيش وخالد محي الدين وعدد من الصحفيين. وتعالت الهتافات لمصر وعبد الناصر والاتحاد السوفيتي ولرجال المقاومة. وتقدم المظاهرة رجال الصاعقة وفرق المقاومة الشعبية، واخترقت المظاهرة الشوارع حتى وصلت إلى حطام مبنى المحافظة حيث بدأ المؤتمر، وخطب خالد محي الدين وأثنى على صمود بورسعيد، كما خطب محافظ بورسعيد ومندوب عن الجبهة المتحدة(٦٠٧).

وكانت القوات البريطانية قد تركت علمها مرفوعا على ساري طابية السلام، وقاموا بطلاء الساري بالشحم، إلا أن رجال المقاومة استطاعوا تسلق الساري وإنزال العلم(٦٠٨).

وفي اليوم التالي لجلاء القوات المعتدية، ولما كان يوجد في المدينة تمثالان أحدهما لديلسبس عند طرف اللسان الممتد داخل البحر المتوسط عند مدخل القناة، والتمثال الثاني للجندي المجهول ويقع وسط الحي الإفرنجي، فقد قرر نسف رجال المقاومة تمثال دليسبس عند مدخل القناة؛ باعتباره رمزا للاحتلال(٦٠٩). وقد طار التمثال من فوق قاعدته واستقر في صندل بحري في الميناء، بعد نسفه ٣ مرات، وكان لهذا أثر بالغ

٦٠٦) شهدي عطية الشافعي، المصدر السابق، ص١٨٢؛ سمير صادق، المصدر السابق، ص٢٠٠.
٦٠٧) كمال القلش، المصدر السابق، ص١٣٢، ١٣٣؛ الرفاعي وعبد المنعم شتلة، المصدر السابق، ص٤٥.
٦٠٨) مجلة بورسعيد الجديدة، عدد ١٥ في سبتمبر ١٩٨٦، ص٤٨، "بانوراما على شارع ٢٣ يوليو". كانت طابية السلام تشتهر بإطلاق ٢١ طلقة من المدفعية تحية لكل مركب حربي يمر بالقناة
٦٠٩) بنت النيل، عدد ١٣٥ في يناير ١٩٥٧، ص٥، "بنت النيل السياسية"؛ مجلة بورسعيد الجديدة، المصدر نفسه، "بانوراما على شارع ٢٣ يوليو". أزيح الستار عن التمثال في ١٧ نوفمبر ١٨٩٩ في الاحتفال بالعيد الثلاثيني لافتتاح قناة السويس، وقد وضع على حاجز غرب القناة، وتحول الحاجز إلى رصيف دليسبس وأصبح رصيفا للتنزه والتريض. وكان رصيف دليسبس عبارة عن رصيف أسفله بواكي بعدة عيون تقترب من العشرين توصل مياه البحر المتوسط بالقناة، وتم سد هذه الفتحات في عام ١٩٢٠ نظرا لأنها تسمح بمرور طمي النيل إلى المجرى الملاحي الأمر الذي يكلف الشركة أموالا لتطهير مجرى القناة.

حيث عمت الفرحة أرجاء المدينة ابتهاجا بزوال هذا التمثال الذي عدوه أثرا بغيضا من آثار الاستعمار. كما جرى تحطيم النصب التذكاري لقتلى الحرب العالمية الأولى قرب حديقة الباشا، والذي كان يرمز إلى جنود استراليا ونيوزيلندا الذي شاركوا في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤– ١٩١٨)، وقد تم تحطيم التمثال نكاية في منزيس رئيس وزراء أستراليا، وسفير مؤتمر لندن ورئيس اللجنة الخماسية[٦١٠].

وهكذا انسحبت القوات الأنجلو فرنسية من بورسعيد بعد ما يقرب من شهرين، وفي الوقت الذي حاولت فيه الحكومة البريطانية التقليل من حجم الخسائر التي نجمت عن معركة بورسعيد خاصة فيما يتعلق بمن قتلوا من المدنيين، فنفى وزير الدفاع أن عدد الذين ماتوا في بورسعيد يبلغ ٣ آلاف، وصرح إنهم لا يزيدون عن ٦٥٠[٦١١]؛ وصل محافظ بورسعيد القاهرة لأول مرة بعد العدوان، وصرح أن الحياة بدأت تعود للمدينة[٦١٢].

---

٦١٠) طاهر أبو فاشا، المصدر السابق، ص١٤٤. كان هذا التمثال تخليدا لذكرى الجنود الاستراليين والنيوزلنديين الذين ماتوا أثناء الدفاع عن القناة وشبه جزيرة سيناء في الحرب العالمية الأولى، وهو عبارة عن جندي من الخيالة الخفيف، ومعه جواده المصنوع من الرخام، ووافقت البلدية في عام ١٩١٧ على وضعه في مكان بحيث يمكن مشاهدته من البواخر عند مرورها بالقناة، ولذلم تم اختيار حديقة الكازينو بالاس لوضعه فيها. وازيح الستار عنه في ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ في حفل حضره المندوب السامي البريطاني والسير برسي لورين ورئيس الجيش البريطاني في مصر وإسماعيل صدقي رئيس الوزراء وعدد آخر من الشخصيات المهمة. وقد هدم هذا التمثال عام ١٩٥٦، وفي عام ١٩٥٩ أعربت السفارة السويسرية بوصفها الراعية لمصالح نيوزيلاند، والسفارة الكندية بوصفها القائمة على رعاية مصالح استراليا في مصر، عن رغبة حكومة نيوزيلاند واستراليا في نقل بقايا التمثال. انظر وفاء عبد المتجلي، مدينة بورسعيد منذ قيام الحرب العالمية الأولى من عام ١٩١٤ حتى عام ١٩٥٦، رسالة دكتوراة، كلية البنات جامعة عين شمس ٢٠٠٤، ص٣٨٦.

٦١١) الأخبار، عدد ١٤٣٥ في ٦ فبراير ١٩٥٧، ص٤، "ضحايا بورسعيد ٦٥٠ فقط".

٦١٢) الأخبار، عدد ١٤٠٥ في ٢ يناير ١٩٥٧، ص٤، "محافظ القناة يصل القاهرة لأول مرة بعد الاعتداء".

لم تكن السلطات المصرية قد سلمت جثة الضابط البريطاني مورهاوس إلى قوات الطوارئ الدولية في المدينة. فقد عثر عليها البوليس بعد أن نقلها الفدائيون من مخبئها إلى مكان قرب مقابر الأجانب. وفي أول يناير ١٩٥٧ وصل القاهرة الكولونيل بانكس لتسلم الجثة، وقد كان لرحلته أهمية بالغة، وكانت إجراءات تسليم الجثة ينتظر صدور الإذن من القاهرة. وفي ٢ يناير تسلمت قوات الطوارئ في بورسعيد جثة مورهاوس. وقد بدأ تسليم الجثة في العاشرة صباحا، فتوجهت قافلة من أربع سيارات إلى ناحية المقابر غرب بورسعيد: سيارتان للبوليس الدولي، وسيارة يستقلها حسن رشدي مفتش المباحث مندوبا عن الحكومة المصرية، والسويدي ستيفن بيرج قائد البوليس الدولي ببورسعيد، والسيارة الرابعة سيارة مطافئ. وتوقفت السيارات، وسار حسن رشدي بعيدا عن الطريق ٣٠ مترا، ورفع بيديه كومه من السلك الشائك كان يقف على جانبيها اثنين من رجال البوليس، وأشار إلى خمسة من جنود المطافئ، فاتجهوا إلى المكان الذي أزاح عنه السلك الشائك، وبدأت عملية الحفر في العشرة

(ISSN : 2536 - 9555)

وقد خاطب الرئيس جمال عبد الناصر أهالي بورسعيد فكانت كلماته شهادة وإشادة بما أبداه أبناء بورسعيد من مقاومة تحطمت معها أحلام وطموحات أقطاب الاستعمار، فقد خاطب عبد الناصر أبناء بورسعيد قائلا : "لقد انتصرنا يا إخواني لأنكم كنتم جميعا تحت السلاح، وأنا أعرف كيف كنتم تقاتلون، وكيف حمل المدنيون السلاح هنا في بورسعيد، وكيف هب الشعب كله يقاتل في سبيل مصر. لقد كنتم يا أهل بورسعيد طليعة المعركة، قاتلتم بشرف وإيمان من أجل مصر، لا من أجل مصلحة خاصة أو مكسب مادي أو مصلحة ذاتية. في هذا الوقت كنت معكم دقيقة بدقيقة، وكنت واثقا أننا سننتصر، لقد قلت أن بورسعيد فدت مصر كلها والعرب أجمعين"(٦١٣).

الخاتمة:

هكذا كان صمود بورسعيد أمام العدوان الإنجليزي الفرنسي عام ١٩٥٦، صفحة مهمة في تاريخ المدينة، فقد خططت إنجلترا وفرنسا للعدوان على مصر، وكانت بورسعيد نقطة الإنطلاق، لكنهما لم يحسبا حساب المقاومة الشعبية.

وأثبتت الدراسة أن المقاومة الشعبية في بورسعيد برزت واستمرت منذ اللحظة الأولى للعدوان في ٣١ أكتوبر وحتى انسحاب المحتلين في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦. وخلال تلك الفترة كانت بورسعيد فريسة للغارات الجوية، وتعج بدوريات الأعداء، والجدران ملطخة

والنصف، وبعد عشر دقائق ظهر صندوق، كان مدفونا على عمق متر، وكانت المنطقة المدفون فيها تبعد عن مقابر الإنجليز ٥٠ مترا، وحمل الجنود الخمسة الصندوق إلى إحدى سيارات البوليس الدولي، وكان موجود طبيب سويدي وثلاثة ضباط وعشرة جنود سويديين. وعادت القافلة إلى المستشفى النرويجي الذي كان تابعا للقوات الإنجليزية، ونقل الجنود الجثة إلى المشرحة، وكان ينتظرها ٥ من أطباء البوليس الدولي، ولما فتحوا الصندوق وجدوا الجثة عليها فحم ونشارة خشب، فوضعوها فوق مائدة الرخام، وبدأوا في فحصها، ولم يسمحوا بتصويرها، وكانت متعفنة متآكلة تنبعث منها رائحة كريهة. انظر الأهرام، عدد ٢٥٥٩٧ في ٣ يناير ١٩٥٧، ص١، "جثة مورهاوس خالية من آثار القتل"، عدد ٢٥٦٠٠ في ٦ يناير ١٩٥٧، ص١، "بريطانيا تعلن تسلمها رفات مورهاوس"؛ الأخبار، عدد ١٤٠٥ في ٢ يناير ١٩٥٧، ص١، "البوليس الدولي لم يتسلم جثة الضابط المخطوف"، عدد ١٤٠٦ في ٣ يناير ١٩٥٧، ص١، "جثة الضابط البريطاني تسلم إلى الحكومة الإنجليزية في نابولي"، ص٣، "القوات الدولية تسلمت جثة مورهاوس"، عدد ١٤٠٧ في ٤ يناير ١٩٥٧، ص٣، "بعثة من أكبر أطباء بريطانيا تنتظر جثمان مورهاوس".

٦١٣) علي عبده الزغبي، المرجع السابق، ص ص٩، ١٠.

بالدماء، وصوت القنابل والرصاص وأزيز الطائرات وهدير الدبابات لا ينقطع، وكان الأعداء هدف الأهالي ومحل امتهانهم وسخريتهم، والجدران عليها عبارات تصرخ "أخرجوا من بلادنان سندفنكم في القناة كلنا ناصر"، ووضعت علامات النصر على كل جدار، وعلى كل عمود وفوقها صورة عبد الناصر، فكان جنود الأعداء يقضون يومهم في تفتيش المنازل، وتعقب رجال المقاومة، والتماس أية معلومة عنهم، ونزع صور عبد الناصر، وإنزال الدمى التي تمثل إيدن مشنوقا. وعندما يحل حظر التجوال، ينطلق أبناء بورسعيد غير عابئين بالخطر، يحملون أدوات الكتابة والمنشورات وصور عبد الناصر والقنابل والمدافع، يعلقون الصور ويكتبون الشعارات ويتصيدون جنود الأعداء.

وأوضحت الدراسة أن المقاطعة وحرب المنشورات كانت سلاحا فعالا مثل ضغطا كبير على القوات المعتدية. وكانت الأعمال الفدائية لاسيما عملية خطف مورهاوس واغتيال ويليامز، ذات أثر كبير في تعجيل القوات المعتدية بالانسحاب.

وكشفت الدراسة كيف فزع المعتدون من أساليب المقاومة الشعبية، والتي كانت في مجملها أعمال بطولية أو سخرية من المعتدين، يقوم بها الأفراد تطوعا تنفيسا عما قاسوه، وانتقاما وضغطا على القوات المعتدية لتعجل بالانسحاب.

وتبين من الدراسة أن المقاومة الشعبية في بورسعيد خلال الفترة من ٣١ اكتوبر وحتى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ كانت مقاومة شاملة؛ اشترك فيها الرجل والمرأة والطفل والصبي والشاب والشيخ، اشترك فيها الجندي ورجل الشرطة وصياد السمك والموظف والعامل والطالب والفتاة. وفي كل بيت وفي كل شارع كانت هناك قصة بطولة سطرها أهالي بورسعيد بصمودهم ودمائهم.

وقد هزمت المقاومة الشعبية قوى الاستعمار القديم (بريطانيا وفرنسا) وطوتها وأنهت دورهما، وسطرت نهاية حياة إيدن السياسية، فاضطر للاستقالة كانت أشبه بالإقالة، على ندرة ما يحدث في بلاد الإنجليز، وتكرر الأمر في فرنسا؛ فسقطت وزارة شريكة موليه. حدث هذا نتيجة صمود بورسعيد ومقاومتها الشعبية.

(ISSN : 2536 - 9555)

المصادر والمراجع

أولا: الوثائق:

١) الوثائق غير المنشورة:

أ) وثائق عربية:

- وثائق مجلس النظار والوزراء، ملف ٠٥٤٨٥٥ – ٠٠٧٥، جلسات مجلس الوزراء.
- وثائق وزارة الخارجية، الأرشيف السري الجديد، ميكروفيلم رقم ٢، ملف رقم ٢، العدوان الثلاثي على مصر، البيانات الرسمية وتصريحات المسئولين.

٢) الوثائق المنشورة:

أ) وثائق عربية:

- عبد العزيز الشناوي وجلال يحيى، وثائق التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٦٩.
- وزارة الإرشاد القومي، أسرار حرب السويس ٢٩ أكتوبر – ٥ نوفمبر ١٩٥٦.
- وزارة الخارجية، وكالة الشئون السياسية، إدارة غرب أوربا، نشرة الوثائق، الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي، ٢٩ أكتوبر – ٤ ديسمبر ١٩٥٦، ج١، القاهرة ١٩٥٧

ب) وثائق أجنبية:

- Foreign Relations of the United States, 1955-1957. Suez Crisis, July 26-December 31, 1956.
- House of Commons, Deb 5 November 1956 VoL 558, p.1970 , Egypt Military Situation.
- Year Book Of The United Nations 1956, United Nations Publications, New York 1957.

ثانيا: المذكرات والذكريات:

- إبراهيم هاجوج، مذكرات عن الأيام الأولى للعدوان على بورسعيد، القاهرة ٢٠١٤.
- أبو الحجاج حافظ، قصة المقاومة الشعبية في مصر، وزارة الارشاد القومي، القاهرة ١٩٦٢.
- أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، أيام الانتصار، دار الديمقراطية الجديدة، القاهرة ١٩٥٧.
- بريماكوف وأروتيونوف، العدوان المسلح على مصر، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية، موسكو ١٩٥٧.
- رابح لطفي جمعة، سحق العدوان الثلاثي، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٢.
- سمير صادق، قصة العدوان الثلاثي على مصر، الدار القومية، القاهرة ١٩٦١.

- عبد الفتاح أبو الفضل، كنت نائبا لرئيس المخابرات، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١.
- كمال القلش، بورسعيد أيام المقاومة أربعون عاما على العدوان، كتاب الأهالي رقم ٥٩، القاهرة ١٩٩٧.
- طاهر أبو فاشا، يوم النصر ٢٣ ديسمبر، القاهرة ١٩٦٠.
- محمد كمال عبد الحميد، معركة سيناء وقناة السويس، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤.
- محمد نصر الدين شحبر، مذكرات العدوان الثلاثي، مطبعة أخبار بورسعيد، د.ت .
- مصطفى الشكعة وفؤاد هدية، معركة بورسعيد للتاريخ، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، ١٩٥٨.
- يحيى الشاعر، الوجه الآخر للميدالية حرب السويس ١٩٥٦، أخبار اليوم، القاهرة ٢٠٠٦.

ثالثا: **الدوريات**:

- آخر ساعة، ١٩٥٦، ١٩٥٧
- الاثنين والدنيا، ١٩٥٦، ١٩٥٧
- الأخبار ١٩٥٦، ١٩٥٧
- الأهرام ١٩٥٦
- الجمهورية ،١٩٥٦
- القاهرة ، ١٩٥٦، ١٩٥٧
- المساء ١٩٥٦
- المصري، ١٩٤٠
- الهدف، يناير ١٩٥٧
- بنت النيل ١٩٥٦، ١٩٥٧
- روز اليوسف ١٩٥٦ ، ١٩٥٧
- مجلة الرسالة الجديدة، ١٩٥٦
- مجلة الشئون البلدية والقروية، ١٩٥٦، ١٩٥٧
- مجلة العربي، عدد ٤٩ في ديسمبر ١٩٦٢
- مجلة بورسعيد الجديدة، ١٩٨٦

(ISSN : 2536 - 9555)

رابعا المراجع:

- زين العابدين شمس الدين نجم، بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها عام ١٨٥٩، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.
- ضياء الدين حسن القاضي، موسوعة تاريخ بورسعيد، الجزء الثالث، بورسعيد ٢٠٠٦.
- _____ ، المرأة البورسعيدية، ضمن أبحاث مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٢٠١١.
- عبد الرحمن الرافعي، ثورة ١٩١٩ تاريخ مصر القومي ١٩١٤ - ١٩٢١، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧
- علي عبده الزغبي، محافظة بورسعيد، مطبعة عماد الدين، بورسعيد، ١٩٦٩.
- محافظة بورسعيد، إدارة العلاقات العامة، بورسعيد جوهرة مصر، عيد النصر ٢٣ ديسمبر، بورسعيد ١٩٩٣.
- محمد عبد الرحمن برج، دور الشعب في معركة العدوان الثلاثي، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٣.
- محمد مصطفى صفوت، إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ – ١٩٥٦، المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية ١٩٥٦.
- مصطفى البغدادي، مدينة بورسعيد، كتاب المدن المصرية، ج٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٧.
- هنري لورانس، اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية، ترجمة محمد مخلوف، قبرص ١٩٩٢.

خامسا: شبكة الانترنت

- البوابة الالكترونية لمحافظة بورسعيد (www.portsaid.gov.eg/art/history)